



الربيع مع الزمان

تأليف
عبد المطلب
أسعد مرز







الزهد

أحد



ح الزمان

تأليف
عبد الحليم
أستاذ مبرز

16275

6779581

16275



16275

6779581

16275

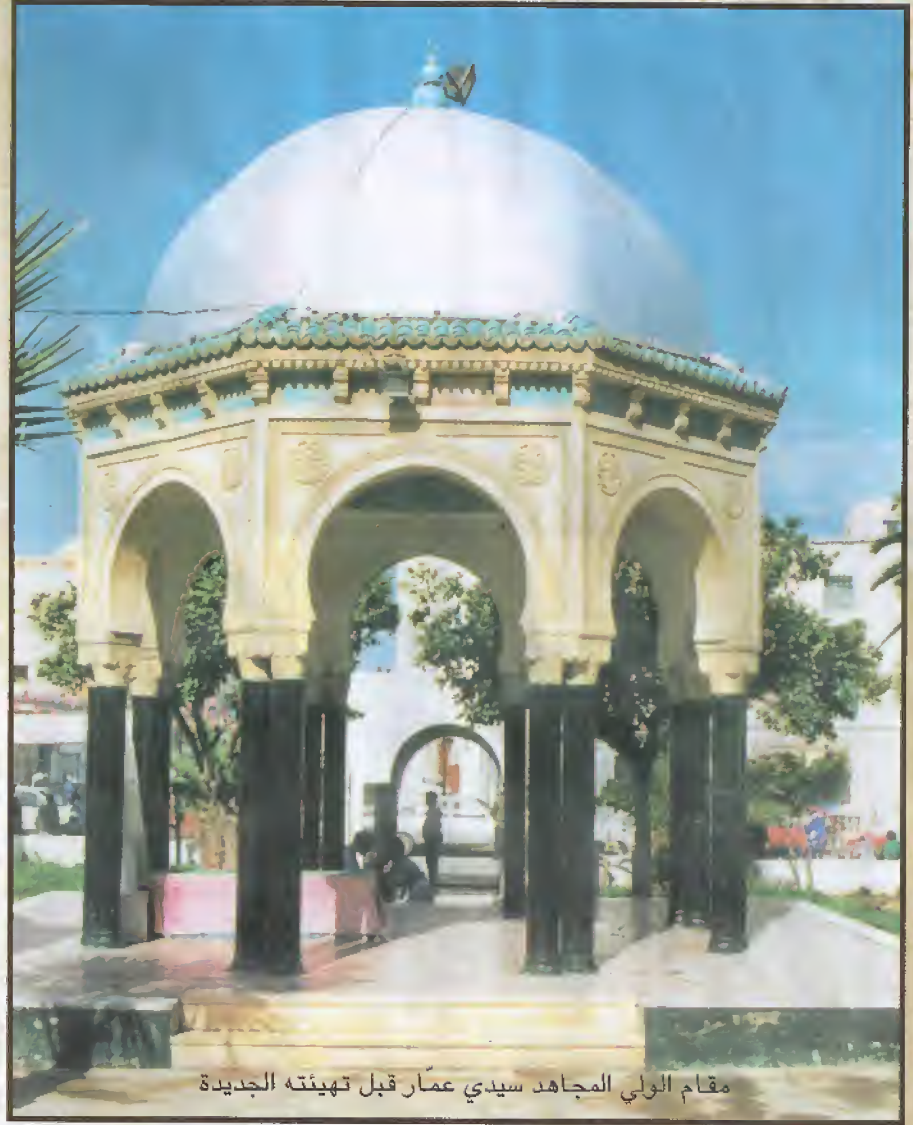


أريانة المجاورة من جهة الشمال
التاريخية. لقد احتلت صدارة العديد
الماضي المجيد لمدينتنا - وقد تجاوزت الأ
فيشير إعجابهم ويتمكن من نفوسهم، و
منشأتها الحديثة.

وما فتئت هذه الذخائر والعلام
مقتضية، تصدرها وهناك في بعض الش
مركزه ضافية يقدمها الأستاذ علي حم
والتحليل والتحصيص، وتميط اللثام عن
ماضيها الحافل الذي غفلت عنه الذكري
المكونات الجمّة والمعطيات الفائقة في قو
النسيان، وربط بين ماضيها التليد وحاض
وبدا لنا هذا التأليف مرجعا ثاب

المؤكدة بالشاهد والدعم التاريخي الذي
المرجع وخرائط بيانية وإحصائيات وصور
الإطار التاريخي الذي تندرج فيه الوق
وقاصديها «مع الزمان». فكانت مواكبة
وخاصة إذا كانت مدينة في مثل هذا
الثري الذي أظهره تأليف الأستاذ علي
تتلمسه وتحسسه في المخططات الإنمائية
في قسمه الثاني، وتعريفا أشمل بمدينة هي
فإن كتاب «أريانة مع الزمان» للأستاذ

من التعريف بماض تناسته الذاكرة الجماع
يقدم لنا الأحداث الجسام عبر مختلف
الريادة والمسؤولية الكبرى دفاعا عن الوطن
وحب الوطن والأرض». من ذلك تصدي
الثامنة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع



مقام الولي المجاهد سيدي عمار قبل تهيئته الجديدة

تقديم الكتاب

أريانة المجاورة من جهة الشمال لعاصمة الجمهورية التونسية، هي مدينة عريقة، وحافلة بالأحداث التاريخية. لقد احتلت صدارة العديد من الوقائع التي عاشتها بلادنا التونسية في ماضيها التليد. ومن هذا الماضي المجيد لمدينتنا - وقد تجاوزت الألف سنة منذ تأسيسها إلى اليوم - مازال جمالها المحتشم يبهز الزائر فيثير إعجابهم ويتمكن من نفوسهم، وهو يتمثل، إلى الآن، في معالمها الأثيلة ومواقعها القديمة وكذلك في منشأتها الحديثة.

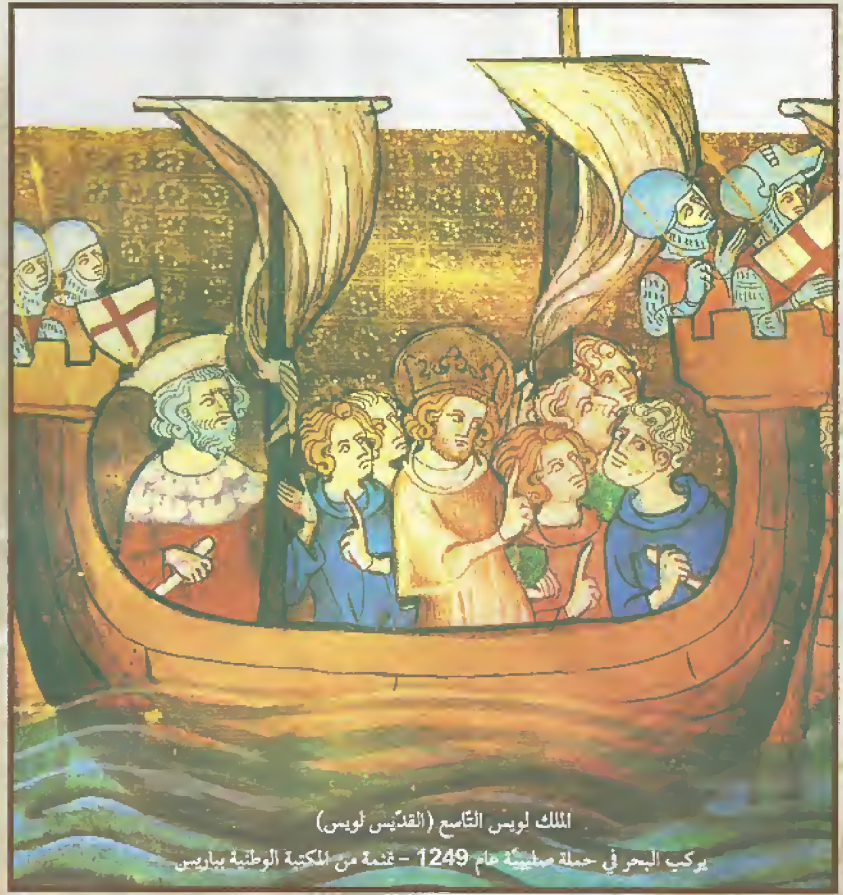
وما فتئت هذه الذخائر والعلاقات المعمارية تحظى، من حين إلى حين، بعناية الباحثين في دراسات مقتضبة، تصدرها وهناك في بعض المنشورات أو المقالات الصحفية. واليوم نرى مدينة أريانة تظفر بدراسة مركزة ضافية يقدمها الأستاذ علي حمريت فتشمل تاريخها ومعمارها وساكنيها وإنجازاتها بلديتها بالنظر والتحليل والتحصيص، وتميط اللثام عن أمجاد مدينة أريانة وأصولها التاريخية والاجتماعية والثقافية، وعن ماضيها الحافل الذي غفلت عنه الذاكرة وغطاه توالي الأيام. وهذا العمل الجدي المتميز قد جمع شتات المكونات الجمّة والمعطيات الفائقة في قيمتها والعريقة في أصلاتها، فبعث أريانة من الغفلة وأخرجها من النسيان، وربط بين ماضيها التليد وحاضرها المشرق.

وبدا لنا هذا التأليف مرجعا ثابتا ودقيقا، على غاية من الأهمية والقيمة فيما يقدمه من المعلومات المؤكدة بالشاهد والدعم التاريخي الذي لا يقبل الدحض والشك. وقد تمثل كل ذلك في وثائق ثابتة المرجع وخرائط بيانية وإحصائيات وصور ومراجع مكتوبة ورسوم توضيحية، تبرز جميعها وبكثير من الدقة، الإطار التاريخي الذي تندرج فيه الوقائع والأحداث فيما عاشته مدينة أريانة وما طرأ عليها وطرق أهلها وقاصديها «مع الزمان». فكانت مواكبة للتحوّلات العمرانية والاجتماعية والثقافية، وهذه سنة كل حي، وخاصة إذا كانت مدينة في مثل هذا التطور العجيب سرعة وإنجازا، وفي حجم مدينة أريانة بين ماضيها الشري الذي أظهره تأليف الأستاذ علي حمريت وضاحا وبهذا الجلاء وبين مستقبلها الكبير الواعد الذي تتلمسه وتتحمّسه في الخطّطات الإنمائية التي لم يغفل عنها صاحب الكتاب وسجلها بعناية، تعميما للفائدة في قسمه الثاني، وتعريفا أشمل بمدينة هي في مسيرة الحداثة التي تعيشها في واقعها الحاضر.

فإن كتاب «أريانة مع الزمان» للأستاذ علي حمريت قد أبرز بحق مجد مدينتنا وأوفاه ما تستحق من التعريف بماض تناسته الذاكرة الجماعية وما هو ذا يطفو وضاء من جديد في هذا التأليف القيم الذي يقدم لنا الأحداث الجسام عبر مختلف أدوار تاريخ تونس وفيها احتلت هذه الضاحية القريبة من العاصمة الريادة والمسؤولية الكبرى دفاعا عن الوطن وأهله وحماية لأعراقه وأصوله ودينه وذودا عن «الهمة والعرض وحب الوطن والأرض». من ذلك تصدّي متساكنيها مع من ناصرهم من جميع البلاد للحملة الصليبية الثامنة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع بنفسه سنة 1270م قصد تنصير البلاد وجعلها قاعدة لزحفه



ثانية على مصر وبيت المقدس. فكان حثفه ثمننا لهذا الغرور، وكانت أريانة الذرع الواقعة لردّ ضلالة المعتدين وخضد شوكة الباغين. وضريح المجاهد الصالح سيدي عمّار المعروف القائم بها هو شاهد على ذلك في وقفها في وجه الطغاة الغاصبين وفي ذودها عن حوزة الوطن.



الملك لويس التاسع (القديس لويس)
يركب البحر في حملة صليبية عام 1249 - غنمة من المكتبة الوطنية بباريس

وليس غريبا أن تكون أريانة قبل ذلك، وفي عهد الدولة الزيرية، موطننا للسُلطان الرّوحيّ لمدينة تونس الحاضرة محرز بن خلف بن رزين الصّديقيّ، ما بين القرن العاشر والقرن الحادي عشر للميلاد. فهذا المرّي الورع الصّالح الذي عرفته أريانة صبيّا، ومؤدّبًا لأبنائها، فيها أنشأ حركة فكريّة وثقافيّة كان لها المدّ والانتشار في كامل البلاد.

إنّ الحديث وإن طال لا يفي - على كلّ حال - بما تضمّنه هذا التّأليف من المعلومات المتنوّعة والمعارف المفيدة التي تبرز من خلالها مدينة أريانة رافلة في حلّة قشبية كالعروس على الدّوام بين حقول الورد والياسمين والتّسرين تتضوّع عطورا «مع الزّمان».

وفي خلاصة القول، يشرف بلدية أريانة وجمعيتها الثقافيّة التّشجيع على طبع هذا الكتاب والحرص على نشر ما تضمّنه من مادّة تاريخيّة وحضاريّة ووصف معماريّ لمعالم مدينة أريانة بين متساكنيها. فبقدر معرفتهم لها يزيد تعلّقهم بها والانكباب على العناية بمكتسباتها والعمل على تطويرها والتّهوض السّريع بمنجزاتها.

وفي هذا المضمار لا يفوتنا أن تقدّم بالشكر الجزيل لسيادة رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي

بأنه الشرع الواقي لردّ ضلالة المعتدين
القديم بها هو شاهد على ذلك في



هذا السلطان الروحي لمدينة تونس
من الحادي عشر للميلاد. فهذا المربي
فكرية وثقافية كان لها المد والانتشار

هذا التأليف من المعلومات المتنوعة
بأنه كالعروس على الدوام بين حقول

على طبع هذا الكتاب والحرص على
أريانة بين متساكنيها. فيقدر معرفتهم
بها والنهوض السريع بمنجزاتها.

يسر الجمهورية زيد الطبعين بدعاه

الذي ما فتح يولي مدينة أريانة وبلديتها بالدعم المادي والأدبي، ويكلاهما بعين الرعاية والسند. والمشاريع
الرئاسية الكثيرة أكبر شاهد على ذلك فيما تراه اليوم متمثلاً في شبكات الطرقات والمحولات الداخلية
والحزامية للمنطقة البلدية، وفي شبكات التطهير وفي المناطق الخضراء المتطورة التي شملت كل حي من
أحياء المدينة وفي المنتزهات العديدة أيضاً. وكل هذا داخل في سياسته الرشيدة التي عمّت كل البلاد،
ونراها اليوم تنهض بمدينة أريانة فتصبح من بين المدن الرئيسية في البلاد. وما تزال المخططات في إنجازها وتحقيق
ما جاء فيها من برامج رئاسية متواصلة أصبحت بها مدينة أريانة دة الإقليم وكعبة القصاد من كل صوب
وحذب يجد فيها المقيمون من سكانها كما يجد فيها كل الزائرين الراحة والمتعة والرفه في منتزهاتها وملاعبها.
وفي مسار الجدوى للعمل البلدي وفي إطار النظرة الاستشرافية لمستقبل الجمهورية التونسية وازدهار
الحياة الاجتماعية في المدن والارتقاء بنوعية الحياة فيها لدى المتساكنين ولرفاهة جميع التونسيين وتيسير
التعامل بينهم والسمو بسير الخدمات في الإدارة البلدية بصفة عامة وفي جميع مصالحها بصفة خاصة مادياً
وأدبياً، أمر سيادة رئيس الجمهورية في نطاق العمل البلدي بإجراءات جديدة ضمن البرنامج الإنمائي في
شتى الميادين. ففاق حينئذ حجم الاستثمارات البلدية بولاية أريانة منذ الإصلاح الشامل 53,5 مليون دينار.
ومكّن كل هذا من الاستجابة لتطلعات المواطنين وقد ظهرت نتائج هذا الإصلاح جلية في إنجازات كان لها
عميم الفوائد وأفضل النتائج على حياة المواطنين وعلى سير أعمالهم في مختلف الميادين.

وإن الزيارة التي قام بها سيادته وإشرافه على الجلسة الممتازة للمجلس الجهوي لولاية أريانة في
الثاني من نوفمبر 2002 وما أعلن عنه أثناءها من قرارات قد أدخلت دفعا جديدا على المسار الإنمائي
للجهة فأتمت إنجازات المخطط السابع بنسق حثيث ثم فتحت المجال لإنجازات جديدة أذن سيادته بتحقيقها
في المخطط الثامن.

وشهدت مدينة أريانة - كمركز للولاية - نماء متزايدا وتحولات اقتصادية واجتماعية ظهرت جلية في
المخططات الاستثمارية للبلدية متناغمة مع البرامج المستقبلية التي أقرها سيادته لتونس في عهدها الجديد.
وهي استثمارات تعزز ما أنجز في ولاية أريانة في مجال البنية الأساسية وتحسين ظروف العيش وتطوير
الخدمات والعناية بالقطاع الثقافي والرياضي.
والله نسأل أن يوفقنا جميعا في كل ما نقوم به من عمل لتعميم الفائدة والنفع وأداء الواجب وخدمة تونس.

د. صلاح البلطي
رئيس بلدية أريانة

إنّ ما نرمي إلى القيام به في هذا الكتاب عن مدينة أريانة يدخل ضمن مشاغلنا في كتابة ما يمكن أن نسميه «تاريخ المدن التونسية». وقد لاحظنا أن مدينة أريانة لم تتل حظها في جميع ما كتب عن مدينة تونس المحاذية لها، وقد كانت أريانة تعتبر ضاحية من ضواحي العاصمة. ولم نعث فيما قرأنا عن تونس عبر التاريخ منذ نشأتها إلى اليوم شيئا ذا بال يذكر عن مدينة أريانة، وبصفة مستفيضة.

وقد تعود غفلة المؤرخين عن ذكر أريانة - عدا لمع أو إشارات عابرة بمناسبة الحديث عن سكنوها من أعلام الرجال أو ممن أستطابوا الإقامة فيها بصفة مستمرة أو في فترات من السنة - إلى أسباب سنحصر على تقصّيها في غضون هذا التّأليف الذي نعتبره البادرة الأولى، نقدّم فيها بعض المعلومات عن أريانة. وهذه الضاحية كان لها منذ نشأتها وفي عهود ازدهارها دور هامّ في حياة سكّان تونس العاصمة، في فترات السّعة أو فترات الضّيق أو في الأفراح أو الأتراح. فأريانة هي مربعهم ومصيفهم، وهي أيضًا درعهم الواقية في أزمنة الحرب والحصار وفي الأحداث العصيبة من تاريخ تونس. ذلك لأنّها شاركت في أحداث جسام، واضطلعت بمسؤوليّة الدفاع عن حوزة الوطن كلّما داهمته المخاطر. وسنحلّل ذلك مفصّلا في إبانة. فكان لها الفضل من هذا الجانب في حماية العاصمة من جليل المخاطر خاصّة في العصر الوسيط. وقد يرجع التّقصير في الحديث عن دور مدينة أريانة في كتب التّاريخ إلى أنّ مصيرها كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بتونس العاصمة فقد مثّلت السّويداء في قلبها التّابض والفلذة في أحشائها، إذ كانت متنفس سكّانها في العديد من المواسم والأعياد في السّنة وخاصّة في فصل الرّبيع، فمن من أهل تونس العاصمة لا يتوجّه إلى أريانة طلبا للترّهة وللّهواء النّقي في حقول الرّباتين الشّاسعة، في مرح لا ينتهي بين السّواقى الممتدّة والأبار ذوات النّواعير يحدوه الشّوق إلى التّقلّب في مرابعها وبساتينها الخضر وحياتها البهيجة في فصل الزّهور وكذلك في صيفها على شاطئها الجميل برّواد؟ وقد تغافل بعض المتقولّين عليها - والعهد عليه - في التّغاضي عن بحرّها حين يقول: «لو كان أريانة فيها بحر، ما يعرف أحد غمّة القبر». ويعزى ذلك في ما مضى لبعث شاطئ برّواد عنها وقد أضحى اليوم لصيقا بها، بسبب تواصل بناء الأحياء والمجمّعات السّكنيّة منها إليه.

وأريانة هي درع تونس العاصمة في أدوار متعدّدة من تاريخها، سواء في الحملة الصّليبيّة الثّامنة بقيادة ملك فرنسا نفسه - «لويس التاسع» الملقّب بالقديس لويس، أو في زحفة الإسبان بقيادة الملك شارل الخامس المعروف «بشارل كان».

ولسائل أن يسأل - في بادئ الأمر - عن معنى هذه التّسمية «أريانة»؟ ومتى أسّست هذه القرية ثمّ أصبحت مدينة مترامية الأطراف؟ وكيف ازدهرت عبر التّاريخ؟ ومن هم ساكنوها؟ ثم كيف كانت تتوزّع الملكيّة السّكنيّة والفلاحيّة فيها؟

فإن بحثنا شموليّا ومتقصّيّا يجيب عن هذه الاستفسارات الهامّة والمشروعة يحتمّ الرّجوع إلى كتب

حل ضمن مشاغلنا في كتابة ما يمكن
حفظها في جميع ما كتب عن مدينة
تونس. ولم نعتز فيما قرأنا عن تونس عبر
لغة متقضية.

وإن نسبة الحديث عن سكنوها من
تونس من السنة - إلى أسباب سنحصر
فيها بعض المعلومات عن أريانة.
سكان تونس العاصمة، في فترات
ومصيفهم، وهي أيضا درعهم الواقية
ذلك لأنها شاركت في أحداث
وتمسح ذلك مفصلا في إبانها.

حاجة في العصر الوسيط. وقد يرجع
سكانها كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بتونس
بأن كانت متنفس سكانها في العديد
تونس العاصمة لا يتوجه إلى أريانة
بين السواقي الممتدة والآبار ذوات
البيجة في فصل الزهور وكذلك
والعهد عليه - في التغاضي عن
وعزى ذلك في ما مضى لبعد شاطئ
اجتماعات السكنية منها إليه.

سواء في الحملة الصليبية الثامنة
في راحة الإسبان بقيادة الملك شارل

أريانة؟، ومتى أسست هذه القرية ثم
ومن هم ساكنوها؟، ثم كيف كانت

والشروعة يحتم الرجوع إلى كتب

التاريخ وجمع المعلومات المتفرقة والإشارات العابرة، كما يستدعي تصفح سجلات الملكية العقارية، ودفاتر
الولادات - وهي حديثة مهما كان قدمها - ونحن لا نملك كتبنا للأنسب ولأسماء الأسر ولا لسير الرجال،
كما يتعذر علينا استقراء المدينة العتيقة نفسها في كل مكوثاتها المعمارية قديمها وحديثها، إذ قد عملت فيها يد
التجديد والتعديل والتغيير عملها عبر الأيام.

وإن ما يذكر في أريانة من قصور الطبقة الأرستقراطية التي كانت تسكنها في فترات من السنة لا
تتجاوز أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

وإن الإحاطة بهذه المرجعية الثرية الواسعة - وقد لا تتوفر بسهولة - تستدعي مجهودا ووقتا
ويعسر العثور عليها حتى يقع استثمارها. ولا يفوتنا أن نبادر القارئ الكريم بالقول إن البحث عن تاريخ
مدينة أريانة طلب منا - رغم كل هذا - جهدا كبيرا، كان يحفزنا أثناء القيام به حبنا العميق لأريانة ولأهلها
الطيبين، نعزهم ونحملهم في سويداء العين منا ونريد أن ننير سبيلهم في معرفة مدينتهم في أعماقها وأصالتها
وتحدر عراقتها في مطاوي تاريخ وطننا التونسي العزيز حتى يتعلقوا بها كما تعلقنا بها كلما تقدمنا في البحث
عن مكنوناتها وفي الكشف عن أسرارها وإماطة اللثام عن محاسنها.

فهي الجميلة التي بخلت بحسنها على طالبها والبوح بسرّها الدفين. ولا يدركه إلا من وطّد النفس
على الصبر والأناة في إمعان النظر. وفي ذلك لذة الاكتشاف وعذوبة الفوز. وإنما يعرف الصّباة من يعانها
فيستبشر بالخصب بعد الحُل، ولا بدّ دون الشّهد من إبر النّحل.

وقد تجمّعت لدينا - بعون الله - رغم صعوبة المأتمى مادة متنوعة الجوانب غزيرة الفوائد تأكّد بها لدينا
أن أريانة مدينة عريقة ضاربة الجذور في التاريخ، شأنها شأن المدن التونسية ذات الصيت المجيد عبر الأزمان.
وإن هذا التأليف الذي نقدّمه عنها هو فاتحة أبحاث وأعمال قد يبادر ذوو العزائم من محبّي هذه المدينة
القيام بها في مستقبل الأيام لزيادة التعريف بخصائص مدينة أريانة قديما وحديثا. وإنّ ما تقدّم عنها في هذا
العمل يمكن أن تنعته «بباكورة السعد» ويمثّل، ككلّ بداية لعمل معمّق ستثبت أسسه مع الأيام، باقة من
ورد أريانة الفواح تتضوّع بأريج مدينة أنتشر نفحها زكيّا يسري في لطف بين السنين كأعمال رجالها منذ
القديم إلى اليوم، فجعل من ذلك «البلد الأمين» الحالم في الأمس الغابر، في بساتين الفلّ والياسمين
والورود، مدينة مترامية الأطراف تعجّ بالسكان وتحبى كخليفة نحل، في عمل متنوّع دؤوب في حاضرها
الزّاهر تحدوها المطامح الكبيرة والأمال العريضة.

ومن مظاهر الرّسوخ الحضريّة لمدينة أريانة أنّها كانت ولاية منذ عهد الدّولة الصّنهاجيّة وقد كان يدير
شؤونها وال من قبل دولة بني زيري بالقيروان - كما سنبيّن ذلك - ثمّ حدث ثابّ يؤكّد تقدّمها العمراني وهو بعث
أول مجلس بلدي بها في الفاتح من جويلية سنة 1908 لذلك ينطبق على أريانة قول النّواصي: «فهي ترب الدّهر
في القدم». ولعلّ من يراها اليوم يرّدّ قوله كذلك: «ثمّت أنصات الشّباب لها بعد ما جازت مدى ألهم»
ويحقّ لسائل أن يسأل: هل وجدت أريانة، فعلا، في العهد الوسيط؟ وهل هي مدينة فينيقية؟ أم

رومانية؟، أم قوطية؟، أم هي في نهاية الأمر مدينة عربية؟.

إننا نحيب عن هذه الأسئلة بتقصي العديد من المصادر والمراجع التي نراها حرة بالتحليل والمقابلة والمراجعة والنقد أيضا، وبالتصديق أو التجريح إن لزم الأمر غايتنا في ذلك كشف الحقيقة والاهتداء إلى الإجابة التي تقنع ولا تتعارض مع منطق الأحداث وترابط الأمور وتماسك الرأي المركز السليم. «والله ولي التوفيق».

أريانة، في السبت 4 شوال 1421 الموافق لـ 30 ديسمبر 2000

في ماء
أوازي



مع التي نراها حرةً بالتحليل والمقابلة
ككشف الحقيقة والاهتداء إلى الإجابة
الفرحة السليم. والله ولي التوفيق».

1421 الموافق 30 ديسمبر 2000

لأريانة

في ماضيها التاريخي المجيد
أواريسانة في مطاوي كتب التاريخ



مخطط عام لمدينة أريانة قبل التوسع العمراني

المكونات الجغرافية لمدينة أريانة

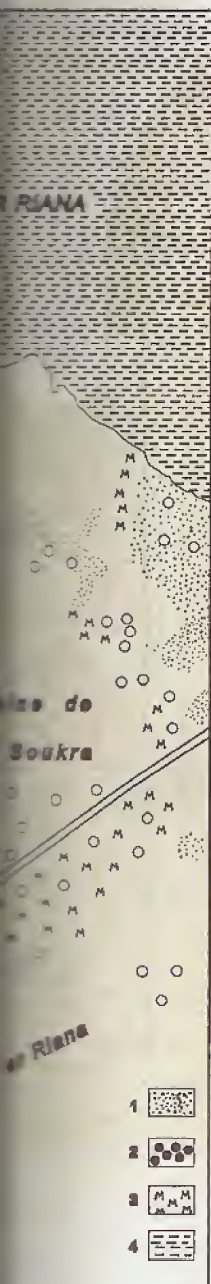
1 - المحيط الطبيعي:

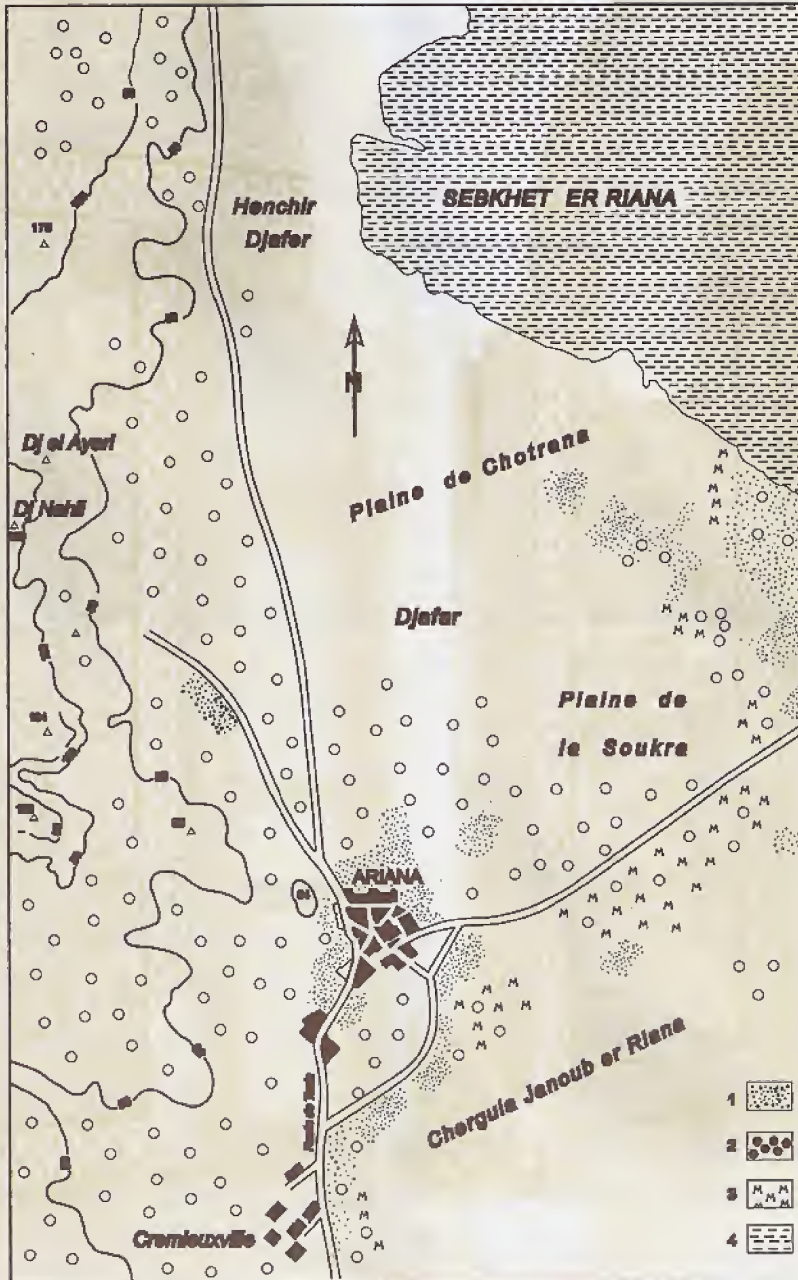
تقع مدينة أريانة في شمال العاصمة تونس في منبسط من الأرض يبلغ اثني عشر كيلومترا طولاً وستة كيلومترات عرضاً. ويحدها من الجهة الشمالية جبل التحلي الذي يصل ارتفاعه مائتي متر على مستوى البحر. وتمسح هذه الضاحية الشمالية للعاصمة ما بين أحد عشر ألفاً واثني عشر ألف هكتار. وتمثل هذه الأرض في جلّها مساحة فلاحية سرعان ما تبدلت بحكم الضغط السكاني في العاصمة إلى أحياء سكنية أحلت بلدية أريانة المرتبة الثالثة من بين بلديات الجمهورية من حيث التوسّع العمراني والكثافة السكانية. وينتهي هذا المنبسط من جهته الشمالية بسبخة أريانة التي كان يغمرها طمي وادي مجردة وتفصلها عن البحر الكثبان الرملية لشاطئ رواد كما يلتصق هذا المنبسط من جهة الجنوب ببحيرة تونس على مستوى منطقة الشرقية والعوينة. ويبدأ هذا المنبسط في انحداره من مرتفعات البليدير ورأس الطابية ليلتصق بجبل قمرت المجاذي - هو الآخر - لسبخة أريانة الشاسعة من جهتها الشرقية كما يرتبط بهضبة جبل النار ومدينة قرطاج العتيقة.

إن التربة المكوّنة لهذه المساحات الفلاحية هي من النوع الطيني الغليظ وتضمّ من 20% إلى 30% من المكونات الكلسية أو الجيرية ممّا يخفّف في بعض الأماكن تركيبها، هذا مع إضافة جانب التّنوُّع والاختلاف من جهة أخرى باعتبار بعض الفوارق في الطبقات وإنّ ما يلاحظه بعض المحلّلين المختصّين في مختلف أنواع هذه التربة كثافة الصوديوم (أو المركّبات الملحية) في المنطقة الجنوبية من مدينة أريانة على مستوى المعهد الأعلى للفلاحة. وهذا يلاحظ للعين الباصرة من لون الأشجار والمزروعات التي تفقد يخبورها (La chlorophylle) بصفة تدريجية، ثمّ تنقلب شيئاً فشيئاً إلى الصّفرة. أمّا في جهة جعفر فإنّ هذه الأملاح تأخذ في التناقص إلى الاضمحلال تماماً. لذلك تصبح التربة في هذه الجهة صالحة لزراعة الأشجار المثمرة وللزيتون. أمّا على حدود بحيرة تونس وسبخة أريانة فإنّ الأرض تصبح غير صالحة. وإنّ ما توصّل إليه البحث فيما يتعلّق بالرّي يجعلنا على بينة من كمّيات الماء المتسرّبة من المنحدرات المحيطة بمنبسط أريانة من الغرب إلى الشرق، فيزود المائدة المائيّة - وهي الموجودة بين 5 و8 أمتار عمقاً - بما يقدر بـ 0,5 إلى حدود المتر في السنة. وهذه المياه هي دون 3 غرامات من الملح في اللتر الواحد ممّا يجعلها صالحة للفلاحة. وما يلاحظ أنّ الأمطار رغم قلّة ثبات أوقات نزولها في الموسم الملائم للزراعة - بحسب السّنوات - فإنها تتساقط بمقدار 425 ملمّترا في المعدّل سنوياً. وهذا يساعد المزارعين على إنتاج فلاحية مقبول ومتنوّع سواء في توالي إنتاج الغلال أو في تواصل محصول الخضّر على كامل السّنة.

2 - الإطار الإداري

تدخل مدينة أريانة في عداد البلديات المكوّنة لإقليم تونس الكبرى الذي يضمّ على التّوالي والترتيب حسب عدد السكّان، بدءاً من استقلال البلاد سنة 1956 ودون اعتبار التّطوّر العمراني الذي انتهت إليه في مستهلّ الألفيّة الثالثة:





Relief du sol et cultures
1. Jardins 2. Oliviers 3. Vignes 4. Sebkhia
مثال تضريس الأرض والمزروعات

من الأرض يبلغ اثني عشر كيلومترا طولاً
تحتل الذي يصل ارتفاعه مائتي متر على
أحدهم ألفا واثني عشر ألف هكتار. وتمثل
الضغط السكاني في العاصمة إلى أحياء
هجرية من حيث التوسع العمراني والكثافة
التي كان يغمرها طمي وادي مجردة
هذا التباين من جهة الجنوب ببحيرة تونس
تحدده من مرتفعات البليديير ورأس الطابية
سعة من جهتها الشرقية كما يرتبط بهضبة

قرع الطيني الغليظ وتضم من 20% إلى 30%
لكن تركيبها، هذا مع إضافة جانب التنوع
توان ما يلاحظه بعض المحللين المختصين في
المنطقة الجنوبية من مدينة أريانة على
سرة من لون الأشجار والمزروعات التي تفقد
شبهاً قسماً إلى الصفرة. أما في جهة جعفر فإن
تصبح التربة في هذه الجهة صالحة لزراعة
أريانة فإن الأرض تصبح غير صالحة.

لنا على بيئة من كميات الماء المتسربة من
والمائدة المائية - وهي الموجودة بين 5 و8 أمتار
دون 3 غرامات من الملح في اللتر الواحد مما
لأوقات نزولها في الموسم الملائم للزراعة -
تعمل سنوياً. وهذا يساعد المزارعين على إنتاج
محصول الخضر على كامل السنة.

تليم تونس الكبرى الذي يضم على التوالي
سنة 1956 ودون اعتبار التطور العمراني الذي

تونس المدينة (410.000 ساكن)، حلق الوادي (26.323 ساكن)، حمام الأنف (22.060 ساكن)، أريانة (16.341 ساكن)، باردو (15.779 ساكن)، منوبة (14.780 ساكن)، المرسى (22.514 ساكن)، رادس (13.184 ساكن)، قرطاج (8.232 ساكن)، بن عروس (2.487 ساكن)، مقرين (5.383 ساكن)، الزهراء (3.926 ساكن)، وسيدي أبو سعيد (3.438 ساكن) ومجموع سكان الاقليم (94.776 ساكن).

المكونات التاريخية لمدينة أريانة

أريانة في المصادر القديمة:

إن من يحاول استقراء المعالم الباقية من مدينة أريانة القديمة لا يهتدي إلى أدلة مادية ملموسة كالتقوش والآثار الباقية التي تؤكد بصفة قطعية نشأة هذه المدينة في العهود الغابرة أو حتى في القرون الوسطى. وإن الشائع في أذهان الناس أن أريانة مدينة حديثة قد لا يتعدى قدمها بعض القرون. ولكن التعمق في هذا الجانب تسعفه العديد من المصادر القديمة التي تبسّطت في هذا الموضوع، ومنها الأجنبية ومنها العربية.

يذكر «ليون الإفريقي» Léon L'africain - وهو الحسن الوزان، جغرافي من مواليد غرناطة سنة 1483، ودفن مدينة تونس سنة 1552- في كتابه الذي ألفه سنة 1550 وقد نشر في باريس باللغة اللاتينية سنة 1632 بعنوان «وصف إفريقيا» - وصفا لمدينة أريانة، (في صفحة 569) فيقول: «تحيط بها حدائق باسمه تنتج ثمارا كثيرة. ويحيط بها سور متين ويسكنها عدد كبير من الفلاحين».

Hortis amoenissimis maximeque fructiferis, cingitur murum habet munitissimum, agriculturalum maxime frequentiam,(1)

ونستنتج من هذا القول أن أريانة كانت مدينة حصينة يحيط بها سور متين وهي ذات نشاط فلاحي متميز بمقتضى العدد الكبير من الفلاحين الذين يسكنونها والإنتاج الوافر في حدائقها وخاصة من الثمار. وهذه شهادة مباشرة لجغرافي في القرن السادس عشر.

ويؤكد «ليون الإفريقي» من جانب آخر في كتابه «وصف إفريقيا» أن القوط (Goths) الوندال هم الذين أسسوا مدينة أريانة. ولسنا ندري ما هي مرجعيته في الجزم بذلك حين يرجع تأسيس أريانة في القرن الخامس الميلادي؟ والوندال قد حكموا إفريقية بعد الرومان من سنة 439 للميلاد، وهي السنة التي امتلك فيها قائدهم «جنسريق» قاعدة البلاد قرطاجنة، إلى انتصار القائد البيزنطي بليشار (Bélisaire) سنة 534 على آخر ملوك الوندال جليمار. فيكون قد مرّ على تأسيس أريانة حسب قوله 15 قرنا.

ونجد ذكر أريانة عند مؤرخ آخر هو «مرمول» Marmol في كتابه «إفريقيا» وقد نقله إلى الفرنسية بيرو دبلنكور (Perrot d'Ablancourt) في باريس سنة 1667. فيقول في جزئه الثاني صفحة 496 «أن نشأة أريانة هي أقدم من ذلك إذ تعود إلى العهد الروماني وهو أسبق من العهد الوندالي». ولكن المؤرخ مرمول الذي يجعل أريانة رومانية النشأة لا يقدم دليلا على ما يقول، على غرار سابقه ليون الإفريقي.

(ترجم الكتاب إلى الفرنسية بباريس سنة 1830 تنبورال J. Temporal)

ومن الباحثين المعاصرين من ينفي الأصول العربية لمدينة أريانة، ويميل إلى اعتبار الاسم «أريانة» مشتقا من الجنس الآري أي الجرمني إذ القوط أو الفندال هم شعب من ألمانيا غزوا إسبانيا، ثم شمال

MOHAMED EL HABIB BEY

0 50 100 m

7. Palais Hamadi ben Ayed

8. Palais Ben Achour



مثال قرية أريانة القديمة

الألف (22.060 ساكنًا)، أريانة

سي (22.514 ساكنًا)، رادس (13.184 ساكنًا)

5.383 ساكنًا)، الزهراء (3.926 ساكنًا)،

ساكنًا).

يعتدي إلى أدلة مادية ملموسة كالنقوش
عديدة أو حتى في القرون الوسطى. وإن
القرون. ولكن التعمق في هذا الجانب
بها الأجنبية ومنها العربية.

بوران، جغرافي من مواليد غرناطة سنة
1511 وقد نشر في باريس باللغة اللاتينية
56 (فيقول: «تحيط بها حدائق باسمه
حين»).

Hortis amoenissimis maxime
agriculorum maxime frequen-

بها سور متين وهي ذات نشاط فلاحي
الوافر في حدائقها وخاصة من الثمار.

أن القوط (Goths) الوندال هم الذين
يرجع تأسيس أريانة في القرن الخامس
لميلاد، وهي السنة التي امتلك فيها
بشار (Bélisaire) سنة 534 على آخر
قرنا.

تاليه «إفريقيا» وقد نقله إلى الفرنسية بيرو
الثاني صفحة 496 «أن نشأة أريانة هي
الوندالي». ولكن المؤرخ مرمول
عزل سابقه ليون الإفريقي.

(J. Te)

أريانة، ويميل إلى اعتبار الاسم «أريانة»
سب من ألمانيا غزوا إسبانيا، ثم شمال

إفريقيا. ويذهب إلى هذا التفسير «بلقران» Pellegrin في بحثه عن أسماء الأمكنة بالجزائر وتونس:

«Essai sur les noms de lieux d'algerie et de tunisie»

S.A.P.I. TUNIS, 1949, page 139

ويعود إلى نفس الموضوع في كتابه:

«Histoire illustrée de Tunis et de sa banlieue»

Saliba, Tunis 1955 page 163

ولمجد نفس التفسير دون مرجعية مدعّمة بإلحاق إسم أريانة بالجنس الأري: (Ariens - Ariana) عند كل من «دبر» في كتابه «وصف إفريقيا» الصادر بأمر ماستردام سنة 1686 في صفحة 195

O. dapper : " Description de l'Afrique "

وكذلك في كتاب قرنيل ت. تمبل: «جولة في البحر المتوسط»

Grenville T. Temple "Excursion in the Mediterranean, and Tunis"

Londres, 1835 tome I, page 208

كلّ هذه المراجع الأجنبية لا تذكر المصادر العربية ولا تحيل عليها، بل منها ما ورد فيها نفي قطعي لوجود أيّ مصدر عربيّ يورد اسم أريانة. وقد تأكد لدينا بعد الاطلاع على هذه المصادر العربية وتقصّي ما ورد فيها والتثبت من صحة مضامينها بعد المقابلة والنقد أن هذه المصادر في واقع الأمر هي الأصل وما دونها عالة عليها فلا يخرج الوصف الذي أورده «ليون الإفريقي» و«مرمول» في القرن السابع عشر لمدينة أريانة، وخاصة لجامعها القديم وللحمام، عمّا ورد في المصادر العربية كما سيتبين لنا فيما يأتي. وهي أقدم من كتابيهما، وإنما يطمسان الأصل العربيّ للمدينة ويعوّضانه: فهو عند الأول قوطي وندالي، وعند الثاني رومانيّ ولا دعامة لكل واحد منهما في ذلك كما ذكرنا.

أريانة المدينة العربية:

ورد الحديث عن مدينة أريانة، في المصادر العربية، منذ تولّى بنو زيري الصنهاجيّون الحكم، بعد انتقال الفاطميّين إلى مصر، وتأسيسهم عاصمتهم الجديدة «القاهرة المعزية» نسبة إلى الخليفة الفاطميّ المعزّ لدين الله (931-985م) وهو الذي أرسل قائده جوهر الصقليّ (الصقليّ في الأصل وقد توفي سنة 992م) على رأس جيش يضمّ مائة ألف محارب إلى مصر فدخل عاصمتها القديمة الفسطاط، سنة 358 هـ / 969 م واختطّ مدينة جديدة سمّاها القاهرة المعزية.

وبمجرد انتقال المعزّ إلى عاصمته الجديدة في مصر سنة 362 هـ / 973م، ظهرت إمارة بني زيري في إفريقية وهم من قبيلة صنهاجة البربرية. وعهد لأحد مخلصيه من بني زيري، وهو «بلكين» بن زيري حكم إفريقية، وكناه بأبي الفتوح يوسف، وكان قائدا ذا رأي ثاقب وعزم ثابت. وهو الذي اختط مدينة الجزائر وكذلك مدينة مليانة وغيرها من المدن. وذكرت عديد المصادر العربية مدينة أريانة في سياق الحديث عن تاريخ دولة بني زيري الصنهاجية، وأكدت وجودها في جوار قرطاجنة الفينيقيّة، ووصفت بساتينها الخلاصة الفيحاء التي تتصل بسهول قمرت وبيحرها اللازوردي السّاحر.

أسماء الأماكن بالجزائر وتونس:

«Essai sur les noms de lieux d'
S.A.P.I. TUNIS, 1949, page 1»

«Histoire illustrée de Tunis et
Saliba, Tunis 1955 page 163»

س (أري: (Ariens - Ariana) عند
16 في صفحة 195

O. dapper : "Description de TA

Grenville T. Temple "Excursion
Londres, 1835 tome I, page 2

عليها، بل منها ما ورد فيها نفي قطعي
على هذه المصادر العربية وتقضي ما
سار في واقع الأمر هي الأصل وما
ومرسل) في القرن السابع عشر لمدينة
كما سيتبين لنا فيما يأتي. وهي أقدم
عند الأول قوطي وندالي، وعند الثاني

بنو زيري الصنهاجيون الحكم، بعد
هرة العزبة» نسبة إلى الخليفة الفاطمي
ي (الصقلي في الأصل وقد توفي سنة
حسنتها القديمة الفسطاط، سنة 358 هـ

هـ / 973م، ظهرت إمارة بني زيري في
بنو زيري، وهو «بلكنين» بن زيري حكم
ثابت. وهو الذي اختط مدينة الجزائر
ية مدينة أريانة في سياق الحديث عن
ة الفينقية، ووصفت بساتينها الخلابة

وتحدثت هذه المصادر القديمة عن تعيين وال صنهاجي على أريانة من قبل دولة بني زيري
الصنهاجيين (بعد انتقال الفاطميين من إفريقية إلى مصر) وذلك عندما كان يقيم في أريانة الشيخ الورع
الصالح «محرز بن خلف» المتوفى سنة (413 هـ / 1022م) وكانت وقعت له مع هذا الوالي الصنهاجي
حادثة سنورها عند الحديث عنه.

ما معنى أريانة في هذه التسمية العربية؟

ورد في مرجعين هامّين، هما «مناقب أبي الحسن الجبنياني» وهو من تأليف أبي القاسم الليدي،
و«مناقب محرز بن خلف» وهو من تأليف أبي الطاهر الفارسي - وقد اعتمدهما هادي روجي إدريس في
أطروحته التكميلية لدكتورا الدولة وقد طبعت في تونس سنة 1959 - كما ورد في كتاب «السير» لأبي
العباس أحمد الشماخي (المتوفى سنة 928 هـ / 1522م) أن مدينة أريانة تستمد اسمها من قبيلة
«أريان» الإياضية التي كانت تسكنها. وهذه الفرقة تيمية من أصول يمنية أعطت اسمها لهذا المكان ولهذه
المجموعة السكانية التي كانت تقطن بها.

ولعل هذا يعود إلى القرن الثالث للهجرة، أي القرن التاسع الميلادي، أي في بداية نشأة الدولة
الأغلبية أو قبلها في عهد الولا المهلبيين والأغلبية وهم أيضاً من تميم أي من عرب الجنوب. والإياضية
ينتسبون إلى عبد الله أباض المقاعسي المزي التميمي المتوفى سنة 86 هـ / 705م) وهو رأسهم وإليه
نسبتهم وقد عاصر معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الأول وعبد الملك بن مروان. وأخبار الإياضيين
كثيرة في القديم والحديث. ولا يزال مذهبهم منتشرا في جزيرة جربة بتونس وفي الجزائر بوادي ميزاب وفي
جنوب اليمن وخاصة في سلطنة عمان ولهم فيها الإمامة والسيادة. وهم يعيشون على وتيرة منظمة وتقاليدهم
عريقة. ولا تحكم بينهم محاكم الدولة. وإذا ما طل مدين داتنه دخل الدائن المسجد وأعلن ذلك. وحينئذ
يقاطع الناس المدين ولا يسلمون عليه ولا يعاملونه حتى يوفي ماعليه. وفي جنوب الجزائر لهم في كل بلد
مجلس يسمى «مجلس العزاية» وهو جمع عازب. ويعنون به من انقطع للعلم والدين عزويا عن الدنيا.
ويتألف المجلس من نحو عشرة أشخاص يجتمعون في مجلس البلد ويفصلون بين المتقاضين ابتعادا عن
الرجوع إلى المحاكم غير الإسلامية (وهي فرنسية زمن الحماية). ومن أبى حكمهم أعلنوا البراءة منه فيقاطع
حتى يرد الحق ويتوب.

ونحن نعلم أن اسم أريان مازال موجودا في اليمن، بل توجد مدينة في جنوب عاصمة
الجمهورية اليمنية صنعاء تسمى إريان وإليها تنسب العديد من الشخصيات العلمية والسياسية قديما
وحديثا. فيقال «فلان الإرياني، نسبة إليها». ورجعنا إلى كتاب «الموسوعة اليمنية» من تأليف مجموعة من
الباحثين يعرفون فيه بمدن اليمن ومواقعها وأصول سكانها. وجاء فيه «إريان» (بكسر الهمزة وسكون الراء
آخرها نون) قرية في رأس جبل بني سيف الذي يرتفع عن سطح البحر نحو ألفي متر في فضاء يزيد على
مسافة 155 كلمترا جنوبا من صنعاء. وهي من أجمل القرى اليمنية وأعدلها هواء. وتسمى كشك اليمن
(وهو شبه رواق بارز عن بقية البيت) لإشرافها على بلاد اليمن وغيره. وتحيط بها الأودية كشييعان وهران
وعبدان وغيرها.

وفيهما القضية الأعلام النبلاء الفضلاء الأدباء آل الإرياني. وبيتهم من البيوت المعمورة بالعلماء والأدباء منذ قرون. ولعلّ جدّهم الصديق بن محمد خرج من العراق وسكنها في نحو القرن الثامن للهجرة. وفي أهل هذا البيت من العلماء الكملاء الأدباء في هذا القرن العدد الكثير.

واستنتاجا بما ذكرنا فإن السكّان المؤسسين قد جاؤوا من إريان اليمينية وأنشؤوا مدينة أريانة التونسية وأعطوها اسم قبيلتهم. وبذلك تكون تسمية أريانة تسمية عربية أصيلة. وتتأكد لنا التسمية العربية لمدينة أريانة بعدة قرائن تاريخية وبائبات كثير من المصادر القديمة. ونحلّلها فيما يلي: لقد قلنا إنّ النسب القديم للسكّان العرب المؤسسين لأريانة يرجع إلى جدّهم الصديق بن محمد كما ورد ذلك في كتاب الموسوعة اليمينية. وسكّان إريان باليمن مازالوا ينعتون إلى اليوم بسلالة الصديق ونجد هذه النسبة للجدّ الأول في اسم الشيخ محرز بن خلف سلطان مدينة تونس كما يلقبه عامة الناس تبرّكا به وإجلالا لفضائله، وهو من أبناء مدينة أريانة، وكان ميلاده فيها حوالي سنة 348 للهجرة الموافق لـ 975 للميلاد، فيقول كلّ من ترجم له أنه محرز بن خلف الصديقي. ولعلّ هذه النسبة هي قرينة أخرى تؤكد أنّ الشيخ محرز، وهو ابن مدينة أريانة التونسية مولدا ونشأة كما ذكرنا، هو بحقّ سليل هذا الجدّ اليميني الصديق بن محمد لذلك يكتفى بكلّ علماء مدينة إريان اليمينية بالصديقي. وإن صحت هذه النسبة اليمينية للشيخ محرز بن خلف، ولا نرى الأمر إلّا كذلك، فإنّ بها تبطل نسبة هذا الوليّ الصالح إلى أبي بكر الصديق حسب ما ذهب إلى ذلك من ترجم له من التونسيين ومن بينهم حسن حسني عبد الوهّاب في كتاب «مجلد الأدب التونسي» وتبعه في ذلك الشيخ الشاذلي التيفري في محاضراته التي ألقاها في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الدينية في جانفي 1994 بعنوان: «الإمام محرز بن خلف رائد التسامح ومقاومة التطرّف» وقد جمعت كلّ محاضراتها في الكتاب السادس من سلسلة آفاق إسلامية. هذا وإنّا لا نعرف في كتب التراجم من ينتسب إلى أبي بكر الصديق وكان قد دخل إفريقية أو بلاد المغرب مع الفاتحين أو الولاة الذين تداولوا الحكم في هذه البلاد.

والمذهب الإباضي لقبيلة إريان المؤسّسة لمدينة أريانة التونسية هو مذهب واسع الانتشار في اليمن وفي سلطنة عمان، وهو المذهب الرسمي للدولة ولعامة السكّان اليوم في هذه الرّبويع.

وإن كلّ القرائن التاريخية التي تعرّضنا لبعضها تؤكد أنّ مدينة أريانة التونسية نشأت من حيث اسمها وعمرانها نشأة عربية. ويثبت ذلك أيضا ابن ناجي في الجزء الرابع من كتابه «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» (طبعة تونس 1330 هـ في الصفحات 21-27)

وزيادة منا في التّثبت من الأصل العربي لكلمة أريان وفي اشتقاقها اللّغوي رجعنا إلى «لسان العرب» لابن منظور وتأكدنا أنّها كلمة عربية فصيحة. فمن جملة ما جاء في هذا المعجم اللّغوي وهو مرجع ثابت في جزئه الثالث عشر من طبع دار صادر ببيروت في الصّفحة السادسة عشرة:

«وذكر ابن الأثير في حديث عبد الرّحمان النّخعي: «لو كان رأي الناس مثل رأيك ما أذي الأريان - وهو الخراج والإتاوة» قال الخطّابي: الأشبه بكلام العرب أن يكون الأريان (بضمّ الهمزة والباء المعجمة بواحدة)، وهو الزّيادة على الحقّ يقال فيه أريان فإن كانت معجمة باثنتين الأريان فهو من التّأرية لأنّه شيء قرّر على النّاس.

ويتهم من البيوت المعمورة بالعلماء
العراق وسكنها في نحو القرن الثامن
قرن العدد الكثير.

اليمينية وأنشؤوا مدينة أريانة التونسية
سبلة. وتؤكد لنا التسمية العربية لمدينة
ها فيما يلي: لقد قلنا إن النسب القديم
محمد كما ورد ذلك في كتاب الموسوعة
يقع نجد هذه النسبة للجد الأول في إسم
تركاه به وإجلالا لفضائله، وهو من أبناء
97 للميلاد، فيقول كل من ترجم له أنه
أن الشيخ محرز، وهو ابن مدينة أريانة
الصادق بن محمد لذلك يكتفى ككل
للشيخ محرز بن خلف، ولا نرى الأمر
بحسب ما ذهب إلى ذلك من ترجم
محسن الأدب التونسي، وتبعه في ذلك
وزارة الشؤون الدينية في جانفي 1994
قد جمعت كل محاضراتها في الكتاب
يحم من ينتسب إلى أبي بكر الصديق
أولوا الحكم في هذه البلاد.

ية هو مذهب واسع الانتشار في اليمن
في هذه الربوع.

مدينة أريانة التونسية نشأت من حيث
الرابع من كتابه «معالم الإيمان في معرفة

تفاتها اللغوي رجعنا إلى «لسان العرب»
هذا المعجم اللغوي وهو مرجع ثابت في
عشرة:

رئي الناس مثل رأيك ما أدّى الأريان
الأريان (بضم الهمزة والباء المعجمة
سين الأريان فهو من الثأرية لأنه شيء

والمعنى الغالب لكلمة الأريان في كل ما تقدم إنما هو الفضل والزيادة وهو المعنى التوفيقي لجميع
المفاهيم التي عرضها ابن منظور في معجم «لسان العرب». أما إذا توسعنا في مدلول الفضل في الحيز
الأخلاقي فهو كل شيء موصوف بالحمد والاستحسان. وإذا مددنا هذا المفهوم على السلوك الخلقي
لمؤسسي مدينة أريانة كما وصفته المراجع القديمة، وإذا اعتبرنا أن إسم مدينة أريانة مشتق من الأريان، فيكون
سكان أريانة هم أصحاب الفضل، وهي مدينة الفضل أو «المدينة الفاضلة» حسب عبارة الفيلسوف العربي
أبي النصر الفارابي (378 - 950م) لما لها من اكتمال الصفات - طبيعة وهواء ورغد عيش - فيلقى فيها
ساكنوها ما يلقيه أهل الجنة في فردوس النعيم من السعادة وهدوء نفس ولذة حياة وصحة أبدان وراحة بال.
هذا فيما يتعلق بالجوانب المادية

أما فيما يخص الثقافة الروحية التي تحدثت عنها المصادر القديمة التي تتعرض لتاريخ الإياضية
أمثال «كتاب السير» للشماخي أو «كتاب الطبقات» لمحمد بن زكريا الباروني أو كتاب «الكشف والبيان»
لمحمد بن سعيد القلهاثي فإنها تظهر فيما وصلنا من الأخبار عن سلوكهم وتعاملهم في حياتهم الاجتماعية
ومقاومتهم للفساد في كل مظهره، وبثهم للكلمة الطيبة والتسامح مع الأقليات ورد الظلم والدعوة إلى
التضامن بين الناس وإعانة المنكوبين والضعفاء منهم، وهي خلال وصفات حميدة توارثوها جيلا بعد جيل
ويتفوقون بها إلى توحيد طبقات المجتمع وتمتين التضامن بين أفرادها.

لذلك كان سلوكهم ينزع إلى الأخلاق التوفيقية ونبد التصدع والانقسام قصد إنشاء الأمة المثالية
في «المدينة الفاضلة». ومن هنا جاءت تسمية أريانة المشتقة من اسمهم لأنهم يبحثون عن تأسيس هذه
المثالية الخلقية بارساء أسس سلوك أمثل في التعامل وطريقة العيش ونمط الحياة.

إن هذه الاستنتاجات قد أوصلتنا إلى تحديد اسم أريانة العربية باستقراء المصادر العربية القديمة
وبجمع شتات القرائن التاريخية التي لا يمكن بأية حال أن تنسئ للباحثين الأجانب أن يهتدوا إليها كما
أسلفنا ذكر نظرهم وعرض تحليلهم. وإن ما جعلنا نتمتع في بحث هذا الموضوع والبت فيه إنما التعليل
الضعيف والسطحي فيما وجدناه معروضا عند من بسطه من المؤلفين الأجانب قديما وحديثا. ورجاؤنا أن
نكون قد وقفنا في تقديم بحث منطقي ومتماسك العناصر اعتمدنا فيه مصادر ووثائق اعتبرناها جديرة
بالعناية والاعتبار، ووجدنا فيها الدعامة الفضلى لإعطاء هذا الموضوع حقه من التدقيق والشمول. وما هذا
العمل إلا مقارنة علمية حسب منهجية دقيقة المراحل نرجو أن تكون لبنة أولى لبحث يكون أكثر تعمقا
يتولى القيام به ذوو العزائم الصادقة ممن يتفوقون للأفضل بنزاهة ونقاوة طوية.

من هم سكان أريانة من الأصول إلى اليوم:

إن العديد من المصادر التاريخية التي عدنا إليها قصد تحديد نوع السكان الذين عمروا مدينة أريانة لا
تقدم توضيحا دقيقا في هذا المضمار عدا التعرض إلى سيرة المدينة في نشأتها وتقديم بعض الإشارات التاريخية
عن التابيين من رجالاتها مما ساعدنا على توضيح بعض الجوانب المتعلقة بضبط مفهوم التسمية والأدوار التي
قامت بها أريانة في مواعيد محددة من تاريخها المديد. وقد عرضنا لبعض ذلك فيما سبق وسنقدم تفصيلا
أكثر تركيزا وتوسعا بمرجعياته المحددة فيما سيأتي من فصول الكتاب في القسم التاريخي منه.

أما فيما يتعلق بأصول سكّان أريانة ومآثهم ونوعيتهم من حيث الأسر والوظائف والأعمال التي قاموا بها فيما توضّح لنا من تاريخ مدينة أريانة فقد أفدنا إفادة كبيرة من مرجع حديث تمثل في بحث جامعي تقدّم به السيّد جاك طيّب لنيل شهادة الدّراسات العليا في الجغرافيا بإشراف الأستاذ جاندي بوا من جامعة السّربون بباريس، ونوقش في تونس في شهر جوان سنة 1960 تحت عنوان «أريانة إحدى ضواحي تونس». وتبيّن لنا من هذا المرجع الهامّ المتمثّل في دراسة جادّة ومركّزة رغم اختصار مضامينها وإيجاز محتواها أنّ تحديد أصول سكّان مدينة أريانة لا يمكن أن يتعدّى القرن السّابع عشر رغم أنّ نشأة المدينة ضاربة الجذور في قدمها في أعماق التّاريخ. وقد يكون قد مضى على تأسيسها أكثر من ألف سنة، أي في حدود القرن الثّالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي. يقول جاك طيّب في تحليله لأصول سكّان أريانة: «تضاف إلى سكّان أريانة القرويين الضّاربة أصولهم في أعماق القرون الوسطى جالية أندلسيّة انضمت إليهم في أوائل القرن السّابع عشر». ويتطرق بعد ذلك إلى ذكر أسماء بعض الأسر التي لا تزال تعرف إلى الآن



بعض شيوخ أريانة في مقهى السوق

بانتماها الأندلسيّة. ونذكر من بين هذه الأسر مرياح وبلغيث، كما نذكر من أسماء الأسر القديمة الأخرى: العباسي، عبد الله، عبد النّبي، موسى عبد الرّحيم، عريوشي، عياد، بركات، ابن جابر، بلّيل، الشّريف، فليس، حمدانة، حميد، جمعة، المدّب، محيسن، سنان، سلامة، زواغي. ويثبت صاحب البحث أنّه يعسر التّأكيد من بين هذه العائلات من هي أندلسيّة الأصل في حقيقة أمرها أم من هي دون ذلك. ويقف الأصل في حدود الادّعاء دون مبرّر صحيح. وتوجد بعض الافتراضات، من ذلك أنّ في عائلة عياد على سبيل المثال من يكتنّى صنديد ولعلّه من أصل كلمة صنديدو ذات الإيقاع الإسبانيّ الأندلسي. أمّا عائلة سلامة فلعلّها من أصل يهوديّ قد اعتنق أجدادها الإسلام في زمن قديم غير محدّد. وتنقل لنا الحافظة الشعبيّة أسماء بعض الأسر التي انضمت إلى سكّان أريانة في مراحل قريبة

وحديثة. ففي نهاية القرن الثّامن عشر المستحدثة كمدينة للثّروة وقد إليها نذكر من سكّان جربة عائلات النّسب البنزرتي وبعض الجزائريّين من عائلات الغربي والمرباط ومسكي، ومن عائلات إلى أريانة بعد هذه العائلات كنواة سكّانيّة أولى جموع قروية أخرى منطقة الأوراس وكان مستقرهم على وفي أواخر القرن الثّاسع عشر أريانة بعدما كانت تؤمّها في مرابعها وشعيّب والسّنوسي وجمال والمستحيّ هامّ من العمّال الفلاحين من سواعدهم. وباعتبار هذا التنوّع السكّاني عدد المتساكنين فيها بألف نسمة أو أكثر يؤكّد جاك طيّب في المرجع المذكور أنّ القرن الثّامن عشر. فمنهم من يلقبون بأمة متنقلون يحملون بضاعتهم إلى وتتنصّح هذه المجموعة اليهود عشر. ومن الأسماء نذكر شطبون وبونان وفيورنتينو وبنعطار وبورجل يتراوح من 250 إلى 300 نسمة وتفيدنا الإحصائيّات السكّانية سنة 1911. وفي هذه السنة يوزعون من غير هذه الجنسيّات. وضمّ هذا عطار أو الكسراوي الذين قدموا من أمر فان عدد سكّان أريانة قبيل الحرب ويمكن الرّجوع إلى الجدول الاجتماعيّة من مسلمين ويهود و 1926 و 1931 و 1936 و 1946 وفي التّركيبة السكّانية لجميع المدن

حيث الأسر والوظائف والأعمال التي
من مرجع حديث تمثل في بحث جامعي
بإشراف الأستاذ جاندي بوا من جامعة
تونس «أريانة إحدى ضواحي تونس».
احتصار مضامينها وإيجاز محتواها أن
عشر رغم أن نشأة المدينة ضاربة الجذور
كثير من ألف سنة، أي في حدود القرن
في تحيله لأصول سكان أريانة: «تضاف
سوى جالية أندلسية انضمت إليهم في
الأسر التي لا تزال تعرف إلى الآن



ذكر من أسماء الأسر القديمة الأخرى:
بركات، ابن جابر، بليل، الشريف،
وغيره. وثبت صاحب البحث أنه يعسر
تتبع أمرها أم من هي دون ذلك. ويقف
أمامنا من ذلك أن في عائلة عياد على
الإيقاع الإسباني الأندلسي. أما عائلة
قديم غير محدد.
تت إلى سكان أريانة في مراحل قريبة

وحديثة. ففي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وهو التاريخ الذي بدأت فيه أريانة وظيفتها
المستحدثة كمدينة للنزعة وفد إليها سكان جدد استطابوا الإقامة فيها. وقد جاؤوا إليها من جهات مختلفة
نذكر من سكان جربة عائلات اللّمسلي والجريبي وحجّيج، ومن الأندلسيين ممن نزحوا من بنزرت كعائلة
البنزرتي وبعض الجزائريين من مدينة خنشلة عائلات قنونة وعبيد وعبود، ومن المغرب الأقصى نذكر
عائلات الغربي والمرايط ومسكي، ومن القطر الليبي عائلة ابن ميلاد.

ونزح إلى أريانة بعد هذه العائلات الجديدة التي انضمت إلى الرّصيد القديم من سكان القرية الفلاحية
كنواة سكانية أولى جموع قروية أخرى تنتمي إلى قبائل ريفية شبه مستقرة منها الليبية ومنها الجزائرية من
منطقة الأوراس وكان مستقرهم على هضاب تشرف على أريانة وتحيط بها كتلك التي توجد بجهة برج تركي.
وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأت بعض الأسر الأرستقراطية من العاصمة تستقر بصفة دائمة في
أريانة بعدما كانت تؤمّها في مراتها أو اصطيفائها، ونذكر بعضها: عائلات بوسن وحّداد وعبّاس والزوّاري
وشعيب والسّنوسي وجمال والمستيري. ويضاف إلى هؤلاء السكان الجدد في بداية القرن العشرين عدد
هام من العمّال الفلاحين من أولاد عيّار وكان النشاط الفلاحي في غابة الزيتون يحتاج إلى
سواعدهم. وباعتبار هذا التنوع السكاني وأفواجه القادمة إلى أريانة من كل الجهات فإن الإحصائيات تقدّر
عدد المتساكنين فيها بألف نسمة أو أكثر بقليل، وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)

يؤكد جاك طيّب في المرجع السابق أن بعض العائلات اليهودية قد استقرت في أريانة منذ منتصف
القرن الثامن عشر. فمنهم من يلقّبون بجورنو وقد نزحوا من الجزائر وكانوا يشتغلون بصناعة الأحذية، ومنهم
باعة متنقلون يحملون بضاعتهم البسيطة على ظهور الأحمر ويتجولون بها في البوادي بجهة وادي مجردة.
وتتضح هذه المجموعة اليهودية الأولى بقدم أسر من العاصمة في النصف الثاني من القرن التاسع
عشر. ومن الأسماء نذكر شطبون وبيجاوي وكسكاس وبشموط. وحوالي سنة 1900 تنضم إليها عائلات
بونان وفيورنتينو وبنعطّار وبورجل وكسراوي وشيالوم. وتعدادهم جميعا قبيل الحرب العالمية الأولى
يتراوح من 250 إلى 300 نسمة.

وتفيدنا الإحصائيات السكانية لتحديد عدد الأوروبيين بما يلي: 173 نسمة سنة 1906، و135
سنة 1911. وفي هذه السنة يوزعون على سبيل المثال كما يلي: 84 فرنسيًا و37 إيطاليًا و13 بريطانيًا وواحد
من غير هذه الجنسيات. وضمّ هذا التعداد اليهود الإيطاليين كأسرة فيورنتينو أو البريطانيّين أمثال ابن
عطّار أو الكسراوي الذين قدموا من جبل طارق، وهي مقاطعة تخضع للهيمنة البريطانية. ومهما يكن من
أمر فإن عدد سكان أريانة قبيل الحرب العالمية الأولى لا يتجاوز 1500 نسمة.

ويمكن الرجوع إلى الجدول الخاص بضبط التّنوع السكاني حسب الجنسيات والانتماءات
الاجتماعية من مسلمين ويهود وغيرهم. وهو يمثل ملخص الاستنتاجات للتعداد السكاني في سنوات
1926 و1931 و1936 و1946 وفي سنة 1956 وهي سنة استقلال البلاد التونسية وفيها وقع تحوّل جذري
في التركيبة السكانية لجميع المدن وخاصة مدينة أريانة كضاحية مفضلة لمدينة تونس العاصمة. وقد تغيّرت

صبغتها كمنتزه لسكان تونس في فترتي الربيع والصيف إلى موطن سكني قارّ طيلة السنة. ومن سنة 1956 تاريخ الاستقلال تعدّدت الأحياء السكّانية وامتدّت رقعتها على حساب المناطق الفلاحية والبساتين خاصّة في الجهة الشماليّة والغربيّة.

وبالاعتماد على دراسة جاك طيّب نذكر أن سكّان أريانة من اليهود يصل إلى 1169 نسمة في سنة 1926. ومن اليهود من تجنّس بالجنسيّة الفرنسيّة أو البريطانيّة. وبهذه الصّفة يصل عدد اليهود الأريائيّين إلى 1250 أو 1300 نسمة، أي بين أربع أو خمس مرّات عددهم قبيل الحرب العالميّة الأولى. وتعود هذه الزّيادة لا إلى الولادات وتزايد المجموعة بصفة طبيعيّة وإنّما يرجع ذلك إلى نزوح عائلات بأكملها قبل الحرب العالميّة الثانية بقليل من حيّ الجارة بتونس العاصمة. وقد استطابوا الإقامة في أريانة مع مواصلة أعمالهم وأشغالهم فيما كانوا يقومون به في العاصمة. ونشأت بذلك حركيّة مضاعفة في التّنقّل بين أريانة



بيعة الغربية بأريانة (بالقرن الثامن عشر)

وتونس. ونلاحظ أن عدد اليهود قد وصل إلى 2637 نسمة سنة 1931. وإذا اعتبرنا اليهود ذوي الجنسيّات الفرنسيّة والإيطاليّة والبريطانيّة فإن عددهم يصبح قرابة 3000 نسمة، وهو ضعف عددهم في سنة 1926 أو أكثر. ويقابل هذا العدد 1800 من المسلمين في سنة 1931 بعدما كان 1927 في سنة 1926. ونستنتج من هذا التّعداد السكّاني أن ظاهرة التّزوح من تونس إلى أريانة قد استفحلت عند اليهود بين سنتي 1926 و1931.

ومّا يجلب الانتباه أن عدد اليهود في سنة 1931 (2637 نسمة) قد تقلّص قليلا في سنة 1936 إذ بلغ 2619 ويفسّر هذا التّدنّي بين إحصاء وآخر للسكّان بما يلي: إن عدد الفرنسيّين ارتقى من 336 إلى 584 نسمة على حساب تدنّي عدد اليهود، وذلك أن عدد الفرنسيّين قد تضاعف في مدّة خمس

سكني قار طيلة السنة.

للمدينة. ويقابل هذا تطوّر طفيف في عدد السكّان المسلمين بين سنة 1931 وسنة 1936 (من 1800 إلى

1832 نسمة). وهذا ناتج عن التطوّر الطبيعي للمجموعة السّكنية.

ونصل إلى سنة 1946 عند انتهاء الحرب العالميّة الثانية فنجد أنّ المجموع السّكاني للمدينة يقفز من 5530 إلى 9668 نسمة، وأنّ للتونسيّين من المسلمين ضلعا كبيرا في مضاعفة العدد في مدّة عشر سنوات إذ مرّوا من 1832 نسمة في سنة 1936 إلى 5091 في سنة 1946. وإنّ الارتفاع في عدد السكّان تفسّره ظاهرتان: الأولى نزوح بعض السكّان من الطبقة المتوسّطة جاؤوا من العاصمة إثر قذف جيوش المحور مدينة تونس بالقنابل سنة 1943 والثانية خروج سكان من المدينة العتيقة بالعاصمة بسبب الضّغط السّكاني والالتجاء إلى الأحواز وخاصّة إلى أريانة التي كانت مفضّلة لديهم. هذا إلى جانب هجرة بعض العائلات القروية من الفلاحين الذين جاؤوا من أقاصي البلاد وأحاطوا مدينة أريانة بأحياء قزديرية أزيلت منذ سنوات قليلة بمقتضى التطوّر العمراني الحديث. ويقدر عدد القادمين من العاصمة ومن القرى

بحوالي نصف السكّان الأصليين لمدينة أريانة بعيد الحرب. وتواصل هذا التطوّر السّكاني في إطار ليصل في سنة 1956 إلى 11.490 نسمة. ومما يلاحظ أنّ هذه العشريّة بين 1946 و1956 قد عرفت تقلّصا في عدد السكّان من اليهود فأصبحوا 2678 نسمة مقابل ما كانوا عليه سابقا: 3128 نسمة في 1946. ويعزى هذا النقص إلى هجرة الخمس من عددهم إلى فرنسا وأربعة أخماس إلى إسرائيل.

وفي نهاية هذه العشريّة التي كانت خاتمة مدّة أربعين سنة من النّمو السّكاني الكبير بلغ عدد سكّان مدينة أريانة في تطوّره عشر مرّات العدد الأصلي، ومثلّ التونسيّون المسلمون الثّلثين وكان للنازحين النّصيب الأوفر منهم إلى جانب الفلاحين القدامى في حقول أريانة وبساتينها التي لم يغيّرها إلى حدّ هذا التاريخ الزّحف العمراني.

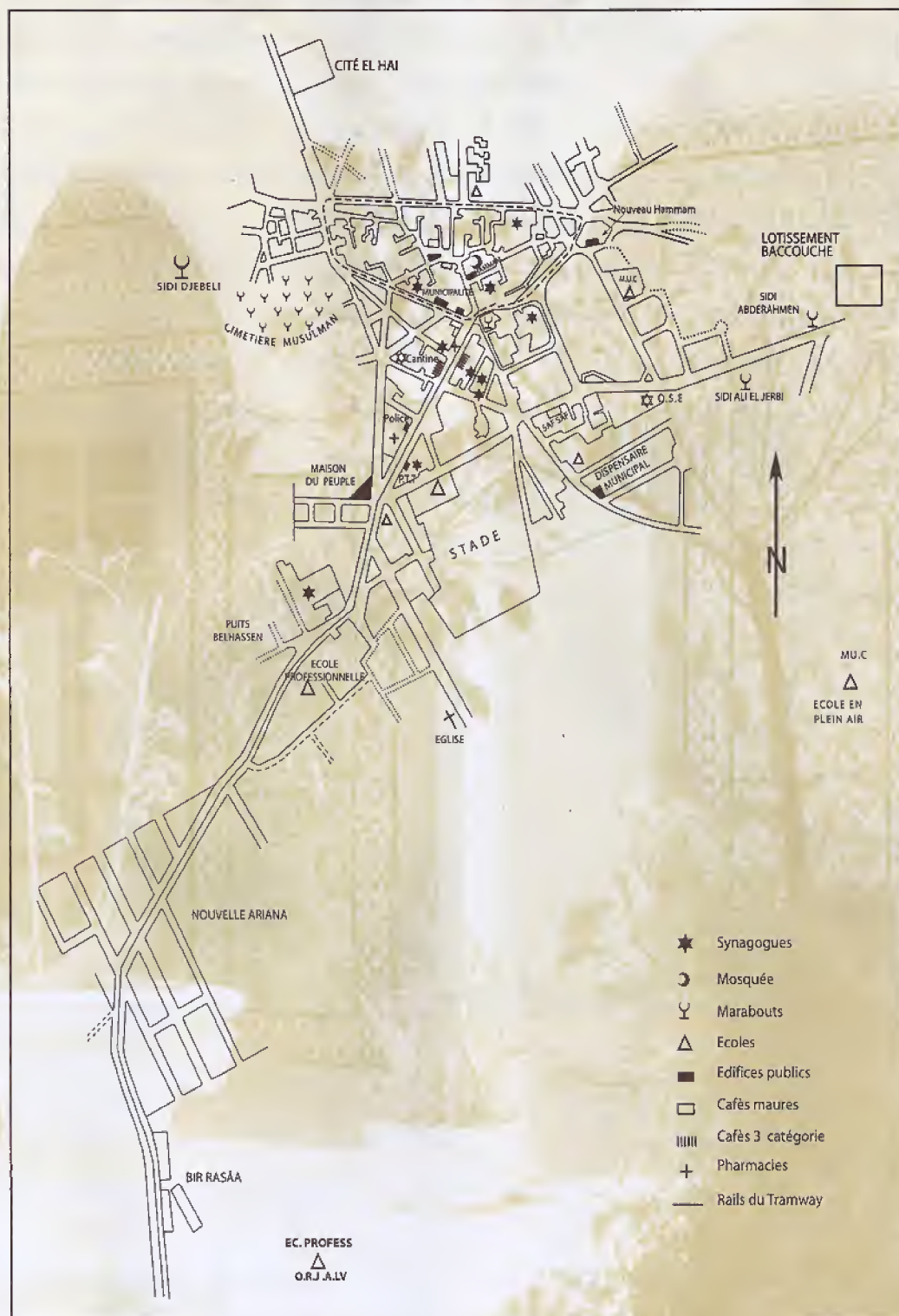
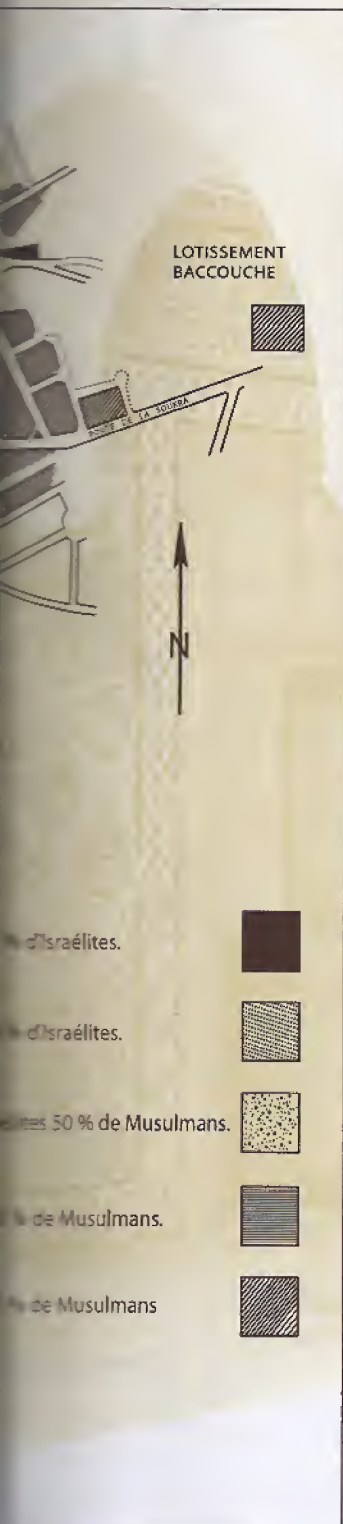
اليهود يصل إلى 1169 نسمة في سنة هذه الصّفة يصل عدد اليهود الأريائيّين قبل الحرب العالميّة الأولى. وتعود هذه إلى ذلك إلى نزوح عائلات بأكملها قبل استطابوا الإقامة في أريانة مع مواصلة حركيّة مضاعفة في التّنقل بين أريانة

2



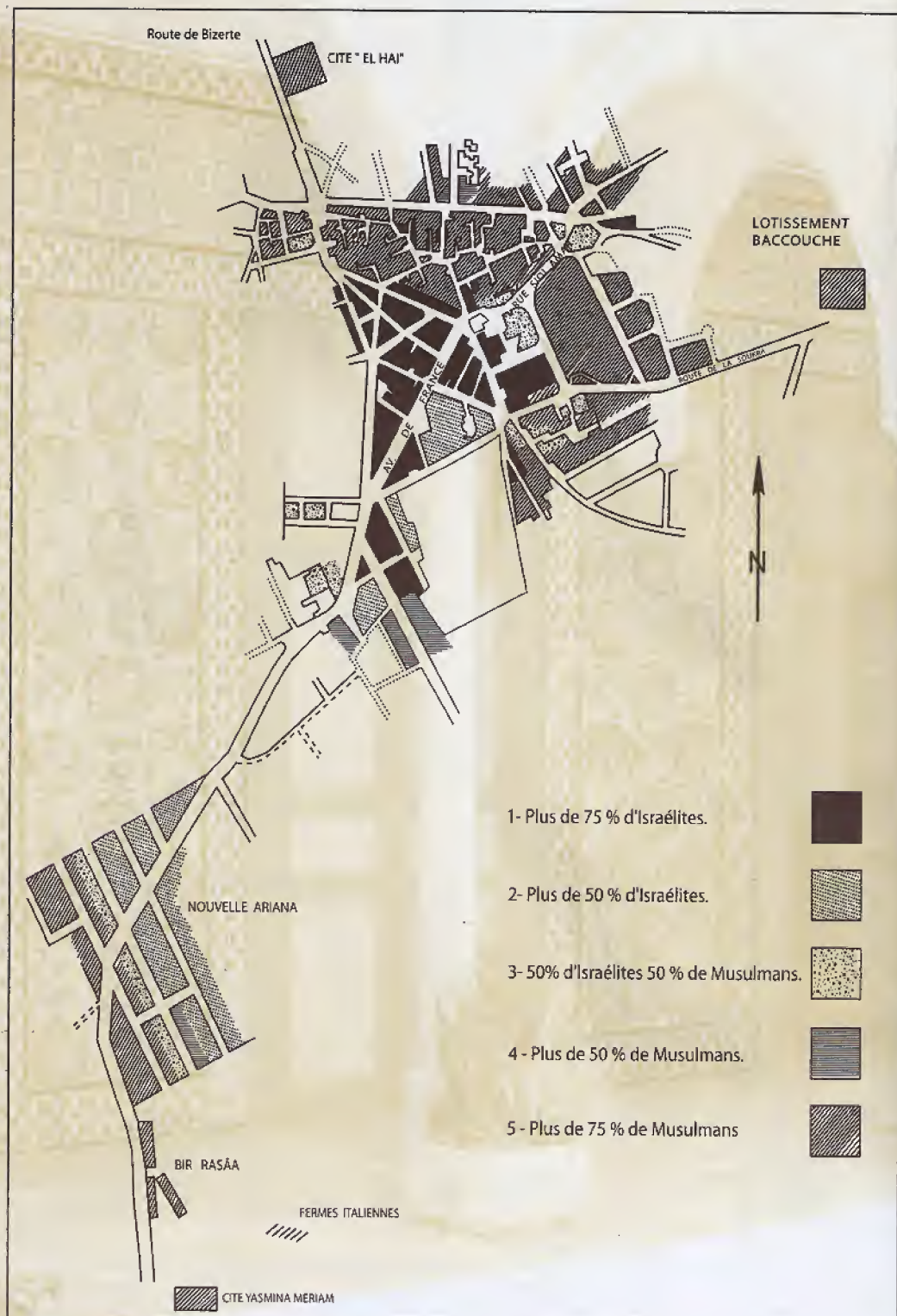
سنة 1931. وإذا اعتبرنا اليهود ذوي 3000 نسمة، وهو ضعف عددهم في سنة 1931 بعدما كان 1927 في سنة 1931 إلى أريانة قد استفحلت عند اليهود

نسمة) قد تقلّص قليلا في سنة 1936 إلى عدد الفرنسيّين ارتقى من 336 الفرنسيّين قد تضاعف في مدّة خمس



Répartition de l'équipement urbain

توزيع التجهيز الحضري



Répartition territoriale des éléments de la population

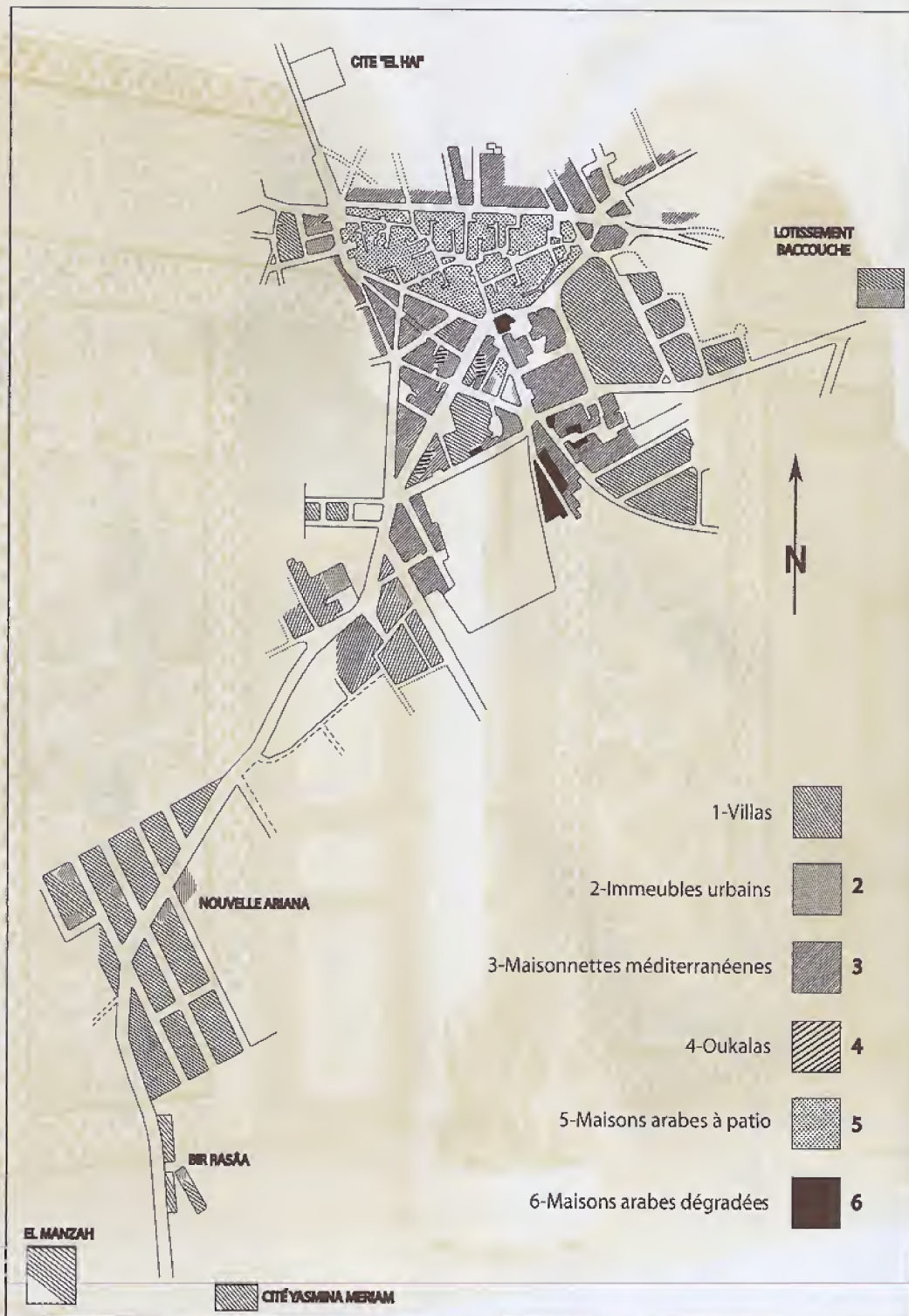
توزيع ميداني للعناصر السكانية





التعداد السكاني في 1896, 1901, 1906, 1911, 1926, 1931, 1936.

المجموع العام	الأوروبيون					مسلمون غير تونسيين	تونسيون		السنوات
	المجموع	غيرهم	البريطانيون	الإيطاليون	الفرنسيون		اليهود	المسلمون	
-	-	-	-	-	19	-	-	-	1896
-	-	-	-	-	68	-	-	-	1901
-	173	22	25	79	47	-	-	-	1906
-	135	1	13	37	84	-	-	-	1911
-	367	-	22	209	136	-	-	-	1921
3.115	319	22	2	145	150	-	1169	1627	1926
5.144	707	51	19	251	386	-	2637	1800	1934
5.530	1079	19	93	383	524	-	2619	1832	1936
9.668	1426	19	40	418	949	17	3128	5097	1946
16.341	1987	43	-	401	1543	186	2678	11.490	1956
المرجع الحوليات التونسية من سنة 1940 إلى 1946 و الإحصائيات السكانية للبلاد التونسية في أول فيفري 1956									



Répartition des constructions selon le type

توزيع المباني حسب الأنماط

التعداد السكاني في 1936, 1931, 1926, 1911, 1906, 1901, 1896

السنوات	تونس		مسلمون غير تونسيين	الأوروبيون			المجموع
	اليهود	المسلمون		الإيطاليون	البريطانيون	غيرهم	
1896	-	-	-	19	-	-	-
1901	-	-	-	68	-	-	-
1906	-	-	-	47	-	-	-



Répartition des constructions selon l'âge

توزيع المباني حسب الأعمار

أريانة ونشأتها العربية
(في نضالها تحت راية السنة السنية)
أريانة، اسم ترتاح لذكره الأسماء
التاريخ. ولم تبج المصادر القديمة بهذا
شذى ورد أريانة بين بساينها البهجة
ونظفر ببعض هذا العبير يسري
(369 هـ / 979 م)، و«كتاب مناقب»
«كتاب السير» لأبي العباس أحمد

فجميع هذه المصادر تؤكد أن أريانة هو إسم له معناه وهو مشتق من اسم فرقة أريان الإباحية اليمنية الأصل. وهي التي أنشأت هذه المدينة وحصنت مساكنها فيها وأعطت إسمها لها. ويتأكد من هذا التأليف أن اسم «أريانة» يعود إلى الفترة الإسلامية من تاريخ إفريقية. وقد بينا وجه هذه التسمية في الفصل الذي خصصناه للمكونات التاريخية لمدينة أريانة في هذا التأليف.

ولنا أن نسأل عن أطوار نشأة مدينة أريانة. فما هي البواعث التي دعت لبناء هذه القرية في أول عهدها وكيف تطورت عبر العصور لتصبح مدينة يحكمها وال من قبل بني زيري لما ازدهرت دولتهم بالقيروان؟ وماهي الأدوار التي قامت بها في فترات عصيبة وأزمات حرجة عاشتها تونس العاصمة بجوارها؟

أريانة وحضورها التاريخي بجوار العاصمة تونس:

إن من يتصفح كتب التاريخ سواء المطبوعة أو المخطوطة وكذلك كتب السير والتراجم ويعن في الدرس والبحث يأخذه العجب بما يطالع. ذلك أن أغلب المؤرخين لا يهتمون بحياة الكادحين والفلاحين والعامة من الناس في عاداتهم وتقاليدهم، وكذلك بنمط المجتمعات التي يكوّنونها فلا ينقلون وصفا ضافيا عن طرق عيشهم وأساليب تعاملهم، وعن السلبيات والإيجابيات في كل ذلك بما يتأثرون به أو يؤثرون فيه. ولا تعتني هذه المصادر القديمة مهما تنوعت إلا بالخاصة من رجال الدولة والحكام. ويبقى الوجه الآخر من المجتمع غائبا. وقد يتوقف الباحث لجمع معطيات متفرقة تحصل بها صور قد تقترب وقد تبتعد عن الواقع الذي عليه الطبقة الاجتماعية في حياتها ونمط عيشها، وخاصة الطبقة الكادحة منها. ومن المراجع التي يقع الرجوع إليها - وهي قليلة وضمنية في واقع الأمر - الأقوال المنثورة والأخبار المنقولة من مصادر متنوعة، كذلك إن لزم الحاجة ينظر في الأدب شعرا أو قصصا. وانطلاقا من هذه الملاحظة، فإن المؤرخين لم يعيروا كبير أهمية فيما سجلوا لما يمكن أن نسميه «بسيرة المدن». وضمن هذا يقع تتبع أطوار حياة مدينة وعيش سكانها في مختلف طبقاتهم ونوع نشاطهم عبر الأزمنة المتعاقبة.

وفي هذا السياق يبقى تاريخ أي مدينة موكولا لمجهود مضمّن يبذله الباحث متقصيا أخبار هذه المدينة أو تلك في مطاوي الكتب والسجلات والدفاتر أو بمناسبة سير رجالات نشؤوا فيها أو تقلّبوا في مناصب دفعتهم الصدف أو الأحداث إلى الاضطلاع بها، أو في نهاية الأمر بمناسبة أحداث كانوا سببا فيها أو ضمن من شاركوا فيها.

وسيرة مدينة أريانة - رغم شهرتها ودورها الكبير في تاريخ عاصمة تونس وفي حمايتها والدود عنها في كثير من المناسبات وفي أدوار هامة من تاريخ البلاد - تبقى، كسيرة سائر المدن التونسية وهي ضاربة القدم في التاريخ، ماثورة هنا وهناك، قلما ضمّمها كتاب موحد إلى الآن وهو عمل لابد من القيام به. وبهذه الصفة لم يعرف تاريخها في أطوارها المتعددة وبالذقة المرجوة كي يسهل الاطلاع على المقومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهي جميعاتساعد على تحليل التراكمات الحضارية بخصوصياتها الدقيقة لبلادنا التونسية عبر الزمن.

ومهما يكن من أمر، فإن الوثائق المتوفرة والمصادر التي عدنا إليها تثبت أن مدينة أريانة بلغت مستوى من الازدهار كبيرا، فقطعت شأوا من الرقي والتقدم منذ بروزها في سجل التاريخ على عهد بني زيري الصنهاجيين في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة أي النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي. وقد امتد حكم بني زيري الصنهاجيين قبل قدوم الموحديين في القيروان والمهدية من

سنة (363 هـ إلى السنة 543 هـ / 3

مدينة أريانة في نشأتها الأولى:

إن نشأة مدينة أريانة على عهد بني

أن مدينة أريانة ارتبطت - قديما - بالشيخ

عمره (413 هـ / 1022م). ويؤكد بعض

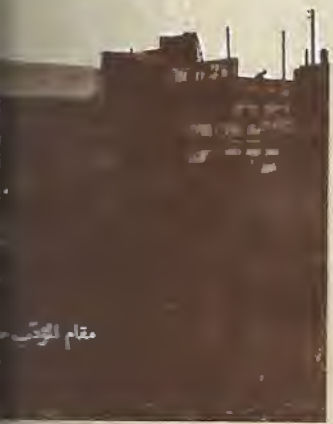
الرابع أي حوالي (348 هـ / 975م) و

عمر مدينة أريانة أكثر من ألف سنة إلى

ونما هو متأكد في كتب السير والمناقب أن

وفيهما يعرف البيت العتيق الذي سكنه

السقّاتين في تونس العاصمة (حي باب



مقام الخليفة

كتابه الذي درس فيه لطلبته أصول الفقه

الكتاب المعروف «برسالة ابن أبي زيد» و

أريانة العتيقة أخذين من بركات هذا

الحجة ودحض شبهات الضلالة والإفك

المتطرفون الباطنية الذين قضى على ضلال

في القرن الثالث الإمام سحنون «سراج

وما زالت البئر القديمة قائمة في

من مائها الصافي زلالا عذبا طليبا للشقاء

مثل الإمام «محرز بن خلف»

والكادحين، وكذلك سكان الحاضرة

المعالم الأثرية الممتازة يحظى بكل عناية

محرز هذا البيت الفسيح في قلب حي

تحت من اسم فرقة أريان الإباحية اليمنية
تحت اسمها لها. ويتأكد من هذا التأليف
بما وجه هذه التسمية في الفصل الذي

تحت التي دعت لبناء هذه القرية في أول
من قبل بني زيري لما ازدهرت دولتهم
حرجة عاشتها تونس العاصمة بجوارها؟

وكذلك كتب السير والتراجم ويعمن في
لا يهتمون بحياة الكادحين والفلاحين
تحت التي يكونونها فلا ينقلون وصفا ضافيا
في كل ذلك بما يتأثرون به أو يؤثرون فيه.
للذلة والحكام. ويبقى الوجه الآخر من
بصور قد تقترب وقد تبتعد عن الواقع
سقة الكادحة منها. ومن المراجع التي يقع
والأخبار المتقولة من مصادر متنوعة،
من هذه الملاحظة، فإن المؤرخين لم
وضمن هذا يقع تتبع أطوار حياة مدينة
معية.

الساحث متقصيا أخبار هذه المدينة أو تلك
فيها أو تقلبوا في مناصب دفعتهم الصدف
سببا فيها أو ضمن من شاركوا فيها.
تونس وفي حمايتها والذود عنها في كثير
التونسية وهي ضاربة القدم في التاريخ،
القيام به. وبهذه الصفة لم يعرف تاريخها
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهي
لادنا التونسية عبر الزمن.

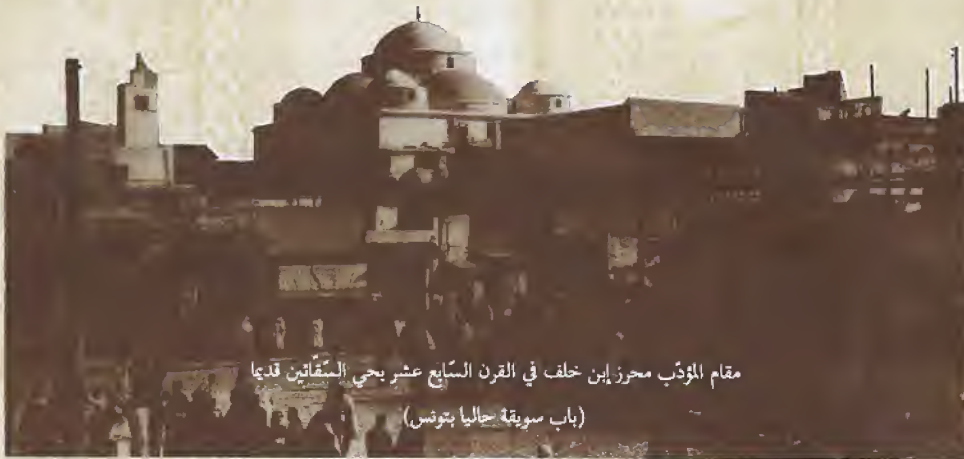
تحت إليها تثبت أن مدينة أريانة بلغت
بوزها في سجل التاريخ على عهد بني
هجرة أي النصف الثاني من القرن
يوم الموحدون في القيروان والمهدية من

سنة (363 هـ إلى السنة 543 هـ / 973 م - 1148 م).

مدينة أريانة في نشأتها الأولى:

إن نشأة مدينة أريانة على عهد بني زيري الصنهاجيين لم يكن محددا بتاريخ دقيق أو بحادثة مضبوطة. وإنما نعلم
أن مدينة أريانة ارتبطت - قديما - بالشيخ المتزهّد الصّالح «محرز بن خلف» الذي توفي بمدينة تونس، وقد تجاوز السبعين من
عمره (413 هـ / 1022 م). ويؤكد بعض المؤرخين أن محرز بن خلف ولد بأريانة قبيل نهاية النصف الأول من القرن
الرابع أي حوالي (348 هـ / 975 م). واعتمادا على ميلاد هذه الشخصية الأريانية الشهيرة يمكن أن نحزم بآله قد مر من
عمر مدينة أريانة أكثر من ألف سنة إلى حدود يومنا هذا.

ومما هو متأكد في كتب السير والمناقب أن المؤدّب محرز بن خلف، كما كان يلقّب، قد قضى سنيّ شبابه في مدينة أريانة.
وفيها يعرف البيت العتيق الذي سكنه وما زال إلى اليوم مقصد الزوّار المتزوّد من بركات هذا الولي الصّالح دفين حيّ
السّقّاتين في تونس العاصمة (حي باب سوقة اليوم) حتى ابتنى بيتا جديدا في الأرض التي اشتراها قبيل وفاته وبجانبها



مقام المؤدّب محرز بن خلف في القرن السابع عشر بحي السّقّاتين قديما
(باب سوقة حاليا بتونس)

كتابه الذي درّس فيه لطلبته أصول الفقه المالكي بالاعتماد على تأليف خصّه به ابن خالته ابن أبي زيد القيرواني وهو
الكتاب المعروف «برسالة ابن أبي زيد» وعنوانها الأصلي هو «باكورة السّعد». واستمر الزوّار يؤمّون بيته القديم في مدينة
أريانة العتيقة آخذين من بركات هذا الولي الصّالح مستنيرين بأتوار تقواه، ومتحمسين لمنهجهم القويم في التّسامح وروح
الحبّة ودحض شبهات الضّلالة والإفك وترسيخ القيم الدّينية السّميحة وذلك بمقاومة المتطرّفين من أهل البدع. ويذكرنا
المتطرّفون الباطنية الذين قضى على ضلالتهم وإفكهم الإمام محرز بن خلف المتطرّفين الذين بدّد فلولهم وسفّه رؤاهم
في القرن الثالث الإمام سحنون «سراج القيروان».

وما زالت البئر القديمة قائمة في صحن البيت العتيق (بيت سيدي محرز) بأريانة القديمة تسقي الزّائرين فيرتوون
من مائها الصّافي زلالا عذبا طليّا للشّفاء وكلّه عين الشّفاء.

مثل الإمام «محرز بن خلف» الضّمير اليقظ والقلب النّابض في كيان سكّان مدينة أريانة من الفلاحين
والكادحين، وكذلك سكّان الحاضرة تونس حيث يوجد مزاره في حيّ السّقّاتين القديم (باب سوقة اليوم) وهو من
المعالم الأثرية الممتازة يحظى بكلّ عناية واهتمام ويعتبر رمزا من رموز الفنّ المعماري التونسي الأصيل. سكن المؤدّب
محرز هذا البيت الفسيح في قلب حيّ ينبض حيوية ونشاطا تحيط به المتاجر والأسواق وقرب إليه الفقراء والغرباء فتعلّق

به الناس جميعا وخاصة المحرومين والمظلومين، فهابه الحكام واستمعوا بعناية لنصائحه ومواعظه، وأصبح حاميا ذمة المحرومين والصوت الصادح بكلمة الحق والداعي إلى اتباع السنة السمحة الخالية من الشبهات والضلالات. ولقد أقامت له وزارة الشؤون الدينية ندوة بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته في 11 و12 و13 نوفمبر 1992، وجمعت نصوص المحاضرات في شلته في كتاب بعنوان: «الإمام محرز بن خلف، رائد التسامح ومقاومة التطرف» وصدر هذا التأليف في شهر جانفي 1994 ضمن سلسلة: آفاق إسلامية العدد السادس. وما من شك أن الأخبار التي وصلتنا عن محرز بن خلف تعرفنا عن كتب بمشغل سكان أريانة في العهد الوسيط، زمن حكم بني زيري الصنهاجيين ومما جاء في محاضرة الشيخ «الشاذلي النيفر» في المرجع أعلاه، (صفحة 37): «كان محرز بن خلف في شبيبته يعلم القرآن بأريانة فهي مقره الأول».

ويبدو أن أريانة كانت من المدن الكبيرة إذ أنها زمن الدولة الصنهاجية كانت ولاية من الولايات كما يدل عليه ما جاء في مناقبه، وأخبرنا الشيخ «أبو محمد من الله» قال: «أخبرني المؤدب محرز رحمه الله قال: «أتى إلى بلد أريانة وال من قبل صنهاجة فرعون من الفراعنة في تكبره وعتوه. فغرم أهل الموضع، وتعسف عليهم. فسألوني أن أعظه وأذكره وألين لهم جانبيه، فوعظته فوجدته كالصخرة الصماء لا يلين لواعظ فأدمت الموعظة وخوفته من النار تبعات الخلق وحذرتة». ويتضح من هذا الخبر أن العابد محرز بن خلف كما يسميه القاضي عياض في كتابه «ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك» (ج 7 ص 264) كان يمثل لسكان أريانة المدافع عن الحق فلا تردده من أجله سطوة المتجبرين من الحكام والظالمين من أصحاب السطان. فكان الفلاحون والكادحون يحتمون به ويذرعون إليه فيما يضرونهم ويسين إليهم، وهم فوق هذا مقتدون بسيرته وتقواه وورعه ونقاوة سريره وهو المدافع عنهم في كل حين بشجاعة المصلح الورع. فمن قوله في الظلم: (طويل)

إذا ظالم قد عاهد الظلم مذهباً	وجار غلوا في علو اكتسابه
فكله إلى ريب الزمان وجوره	سيبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم ذا رأينا ظالما متجبجراً	يرى النجم تبها تحت ظل ركابه
فلما تمادى واستطال بجوره	أناخت صروف الحادثات بنابه
وعوقب بالذنب الذي كان يجتني	وصب عليه الله سوط عذابه
فلا فضة تحميه عند انفضاضه	ولا ذهب يثنيه عند ذهابه

(عن مجمل الأدب التونسي لحسن حسني عبد الوهاب طبعة المنار 1968 ص 116)

وقد ترجم للإمام محرز بن خلف زميلنا توفيق البشروش في أطروحته التي تقدم بها لنيل دكتورا الدولة ونشرتها كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس سنة 1989 (صفحة 82-89) وهي بعنوان «المصلحاء والأمراء في تونس أو النخبة التونسية من أصحاب السطان والعبادة»

(Le saint et le prince ou les élites tunisiennes du pouvoir et de dévotion)

ويعرض ضمن هذا الفصل سيرة هذا الولي الصالح ودوره الديني الإصلاحية في المجتمع الأرياني أولا وفي الأماكن الأخرى التي انتقل إليها ثانية قبل استقراره نهائيا في حي السقائين (باب سويقة) في حاضرة

تونس.

ومن هذه الأماكن التي حل بها الإمام الطاهر الفارسي «نذكر تردده على مد ابن أبي زيد القيرواني» (310 - 386) ليدرس بها الإمام محرز تلامذته ومن وعنوان هذا التأليف هو «باكورة السعد» e la loi de l'Islam selon le

وأما ابن خالته الثاني فهو أبو 935 م - 1012 م) وهو صاحب حققها وترجمها إلى الفرنسية زميلته le conduite et celles des maît- (J.C), (pédagogue tunisien du

وكانت الصلة متينة بين المالكيين عبد الله بن أبي زيد وضريحهما مزاران معروفان إلى يوم محرز بن خلف عليها قصد التزود من التي اعتمدها مرجعا أساسيا لتعليم لأصول الفقه المالكي إلى جانب ترجم ومن أريانة كان الإمام محرز «المرسی» الآن، فيشارك أهلها صيد وينقطع إلى العبادة حينما آخر مع جمع قريص (بالوطن القبلي)، وهي تقابل كذلك على قرطاج. ومن طريف ما قال شعر يدخل في باب الوعظ والوقوف خليلي مرآ بالديار طلولا بها تبكي لنفسه وقولا لها ما بال ريعا وخلاك بعد اجتماع تصفق فيك الريح

تأية لتصاحه ومواعظه، وأصبح حامياً ذمة
الخالبة من الشبهات والضلالات.

على وفاته في 11 و 12 و 13 نوفمبر 1992،
الحق، رائد التسامح ومقاومة التطرف، وصدر
شخص.

كتب بمشاغل سكان أريانة في العهد الوسيط،
«التيق» في المرجع أعلاه، (صفحة 37): «كان

ية كانت ولاية من الولايات كما يدل عليه ما
محرز رحمه الله قال: «أتى إلى بلد أريانة وال
عصف عليهم. فسلوني أن أعظه وأذكره وألين
عصف وخوفته من النار تبعات الخلق وحذرنه».

عياض في كتابه «ترتيب المدارك لمعرفة أعلام
لا تزد من أجله سطوة المتجبرين من الحكام
يعرضون إليه فيما يضرهم ويسين إليهم، وهم
كل حين بشجاعة المصلح الورع. فمن قوله في

لوا في علو اكتسابه
ما لم يكن في حسابه
م تها تحت ظل ركابه
سروف الحادثات بنابه
به لله سوط عذابه
شفيه عند ذهابه»

لجنة المنار 1968 ص 116)

في أطروحته التي تقدم بها لنيل دكتورا
صفحة 82 - 89) وهي بعنوان «الصلحاء

(Le saint et le prince ou les é
الإصلاح في المجتمع الأرياني أولا وفي
في السقائين (باب سوقية) في حاضرة

تونس.

ومن هذه الأماكن التي حل بها الإمام «محرز بن خلف» نقلا عما ورد في مناقبه التي كتبها حفيده «أبو
الطاهر الفارسي» نذكر تردده على مدينة القيروان حيث كان ينزل في ضيافة ابني خالتيه، الأول «عبد الله
ابن أبي زيد القيرواني» (310 - 386 هـ / 922 - 996 م) صاحب الرسالة في الفقه المالكي وقد كتبها
ليدرس بها الإمام محرز تلامذته، وابن أبي زيد كان يلقب بمالك الصغير في عصره لتبحره في العلوم الفقهية،
وعنوان هذا التأليف هو «باكورة السعد» وقد ترجمه إلى الفرنسية «ليون بيرشي».

La Risala ou Epitre sur les éléments du dogme et de la loi de l'Islam selon le
rite malikite. (5ème Edition Alger. 1968)

وأما ابن خالته الثاني فهو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (324 هـ - 403 هـ /
935 م - 1012 م) وهو صاحب «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين». وقد
حققها وترجمها إلى الفرنسية زميلنا أحمد خالد بعنوان:

Epitre détaillée sur les situations des élèves, leurs règles de conduite et celles des maîtres
d'Abu-I-Hassen Al-qâbisi (324-403 de l'hégire 935-1012 J.C.), (pédagogue tunisien du
Xe.s (Edition S.T.D, 1986)

وكانت الصلة متينة بين المؤدب محرز بن خلف أصيل مدينة أريانة وبين ابني خالتيه الفقيهين
المالكيين عبد الله بن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن علي القابسي، وهما دفينا مدينة القيروان،
وضريحاهما مزاران معروفان إلى اليوم فيها. وإن وجود هذين العلمين في عاصمة بني زيري أثبت يفسر تردّد
محرز بن خلف عليها قصد التزوّد من علمي ابني خالتيه والأخذ من فقههما وخاصة من صاحب الرسالة
التي اعتمدها مرجعا أساسيا لتعليم طلبته الفقه المالكي وهي مازال إلى اليوم محل شرح وتفسير ودرس
لأصول الفقه المالكي إلى جانب ترجمتها إلى الفرنسية ترجمة سليمة كما ذكرنا.

ومن أريانة كان الإمام محرز بن خلف يتوجّه من حين لآخر إلى مرسى الرّوم كما تسمّى قديما وهي
«المرسى» الآن، فيشارك أهلها صيد السمك وبعض أعمالهم اليومية ويلتحم بالطبقة الكادحة من العمال،
وينقطع إلى العبادة حيناً آخر مع جمع من أصحابه في خلوة قرب مسجدها. كما ينطلق أيضاً من أريانة إلى
قربص (بالوطن القبلي)، وهي تقابل مرسى الرّوم شرقا على مسيرة نصف يوم بحرا. ومن أريانة كان يتردّد
كذلك على قرطاج. ومن طريف ما قال في هذه الزيارات متعظا بآثار هذه المدينة الخالدة وبمن فات من ساكنيها
شعر يدخل في باب الوعظ والوقوف على مجد الماضين من أسلافنا، نذكر منه هذه الأبيات: (البحر الطويل)

خليلسي مرّا بالمدينة واسمعا	مدينة قرطاجنة ثم ودعا
طلولا بها تبكي لفقدان أهلها	كما ندب الأطلال كسرى وتبعا
وقولا لها ما بال ربك دارسا	وما بال وفد قد بكاك وودعا
وخلاك بعد اجتماع وغبطة	ومن بعد تشييد خلاء وبلقعا
تصفق فيك الرّيح من كل جانب	وفرق منك الدّهر ما قد تجمعا

فمزق ذاك الشمل بعد اجتماعه
أثاها الجلندي بعد ألف تواليا
أقام بها مستأثر الملك طاغيا
إلى أن رمته الحادثات بصرفها
ومن بعده الرومان ياصاح قد بنى
وألف من بعد العريضة فرضها
فلله دهر ما أغر وأفجعا
فأوصل منها كل ما قد تقطعا
ومغتصبا كل السفائن مقععا
فجرر ذيلا خاضعا متضرعا
طياطرها ثم القناة فأبدعا
وشد ببعض بعضها فتجمعا

وهذه القصيدة طويلة أراد بها استنطاق الأطلال والوقوف على الدوارس منها عبرة لمعاصريه وتنبهها لهم بزوال الدنيا وعبث الأقدار وفعلها الغاشم بالظالمين من الحكام الذين جعلهم الله أمنا على عامة الناس، فساعت سيرتهم وتفانوا في إيذاء رعاياهم بالعسف والقهر. ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه المواقف تدخل في المنحى التربوي الذي عرف به محرز بن خلف وفي المنهج الخلقي الذي ارتآه لنفسه وأراده لأصحابه ومريديه ولعامة الناس كذلك من بلدته أريانة وللأماكن التي زارها ولمدينة تونس التي استقر بها فأحاط نفسه فيها بهالة من التقدير والاحترام، وسن سلوك حسن التصرف والإصداح بالأقوال الفاضلة والقيام بالأعمال الصالحة، فطبع معاصروه بطابعه في كل ما يصدر عنه قولاً وفعلًا ولقبوه بالمؤدب محرز وبسلطان تونس. فسلطانه سلطان فكري وسلوكه خلقي يدعو إلى الالتزام بالسنة السمتة والتسامح بين الأقليات باجتنب التطرف وتجاوز الضغائن والأحقاد وإرساء الأمن والتعايش السلمي والوفاء التام.

وإنما لسيرة هذا الإمام الصالح نذكر أنه توجه إلى الحج لأداء الفريضة، ومنه إلى مصر حيث لازم أستاذه «ابن الأدفوي المقرئ» (304 - 388 هـ / 916 - 998 م)، وهو أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي نحوي ومفسر من أهل أدفو بصعيد مصر الأعلى. له كتاب «الاستغناء في علوم القرآن» في مائة جزء ومؤلفات في الأدب، أخذ عنه محرز بن خلف القراءات السبع فكانت عنايته بقراءة القرآن كبيرة حفظًا وتجويدًا وعلمًا بالقراءات، وهو أول من سن قراءة القرآن بعد صلاة الصبح، حسب الشيخ «الشاذلي النيفر» في محاضراته عنه (انظر الصفحة 40 من أفاق إسلامية عدد 6 جانفي 1994).

إن الشيخ محرز بن خلف قد حظي باهتمام وجدان الناس وعقلهم الباطن سواء في مدينة أريانة موطنه الأصلي ومربع شبابه، وهي مسقط رأسه أيضا، أو في أماكن أخرى قصدها واحتك بأهلها من قريب كمرسى الروم قرب سيدي أبي سعيد اليوم، وقرطاج، وقربص وعاصمة بني زيري آنذاك مدينة القيروان، والعاصمة المعزية القاهرة، وفي خاتمة المطاف مدينة تونس.

وتبعنا سيرة هذا الرجل الصالح والمربي الورع فوجدناه قد ملأ نفسه حبًا للآخرين وتسامحا مع كل طبقات الشعب، فدافع عنهم بلسانه وقلمه، وتصدى لكل ظالم غاشم جاءهم متجبرا ومتسلطا عاتيا في أي مكان حل به وخاصة في مدينته أريانة. وقد تمكننا من معرفة مميزات هؤلاء السكان الطيبين البسطاء في حياتهم وسكناتهم، وجلهم من الفلاحين والصناع الكادحين يجمعهم سلوك موحد يقيم وزنا كبيرا للتأخي وحب الخير والتفاني في التعاون في السراء والضراء فلا يقيمون فروقا ولا حواجز بين الأجناس والأديان ويقاومون البغضاء والأثرة والتطرف ونبد الأقليات المسالمة.

كانت هذه مميزات المجتمع الأرياني
الفقراء والمحرمين في الحالات العصية
الشخصية الفذة في أبعادها الإنسانية
والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر)
وترسيخ الجذور في الأصالة العربية الإسلامية
المؤسس لهوية مدينته الأولى أريانة
ياقوت الحموي (574 - 626 هـ / 1178 - 1228 م)
محرز بقوله: «وتونس قبر المؤدب محرز
معه وينذرون له» (ج 2 ص 434)
وينقل لنا شيخ المؤرخين في تونس
(ص 118 - 119) خبرا يتضح منه
كتبها إلى الأمير الصنهاجي باديس بن
يقول: «باسم الله الرحمن الرحيم
عليهم من طاعته، أنا رجل عرف كثير
وفضل، وربما أتاني المضطر يسأل الحاجة
من الطلبة طوب بدراهم ظلما ولا شرف
واستحق ممن بنعمته وجلت لذيد العيش
الله «ومن يتقي الله يجعل له من أمره
الله فهو حسبه» والسلام. (راجع الألفية)
إن ما عرضناه من أخبار تتعلق
القرن الرابع الهجري أي القرن العاشر
الموافقين لـ 975 و 1022 للميلاد.
الشيخ محرز بن خلف الخلاف الذي
وإن كل من تحدث عن أريانة
جاء في كتاب «الروض المعطار في خبر
وبتحقيق الدكتور إحسان عباس
إفريقية بمقرية من تونس مسندة إلى
المشهور، قبره بتونس بداره يتبرك به
وإن ما يفيدنا به هذا المؤلف
إليه في بداية بحثنا أنه ينمي الأصل
تيمم القبيلة اليمنية، وهو أيضا من مدينته

لما أغر وأفجعا
كل ما قد تقطعا
كل السفائن مقمعا
لا خاضعا متضرعا
نم القناة فأبدعا
س بعضها فتجمعا

توارس منها عبرة لمعاصريه وتنبيهها لهم
دين جعلهم الله أمناء على عامة الناس،
وتأني نذكر أن هذه المواقف تدخل في
في الذي ارتآه لنفسه وأراد له لأصحابه
ها ولمدينة تونس التي استقر بها فأحاط
ف والإصداح بالأقوال الفاضلة والقيام
وفعلا ولقبوه بالمؤدب محرز وبسلطان
لسته السمة والتسامح بين الأقليات
في السلمي والوفاء التام.

في الغريضة، ومنه إلى مصر حيث لازم
وهو أبو بكر محمد بن علي بن أحمد
ب «لاستغناء في علوم القرآن» في مائة
مكتبت عنايته بقراءة القرآن كبيرة حفظا
الصحيح. حسب الشيخ «الشاذلي النيفر»
س 1994).

بقيهم الباطن سواء في مدينة أريانة موطنه
ما واحتك بأهلها من قريب كمرسى الروم
لك مدينة القيروان، والعاصمة المعزية

لأهله حبا للآخرين وتسامحا مع كل
حامهم متجبرا ومتسلطا عاتيا في أي مكان
الطيبين البسطاء في حياتهم وسكناهم،
بها كبيرا للتأخي وحب الخير والتفاني في
أفكارهم ويقاومون البغضاء والأثرة والتطرف

كانت هذه مميزات المجتمع الأرياني حول هذا الرجل التقى الطاهر السريرة المنجد للضعيف الحامي حمى
الفقراء والمحرومين في الحالات العصبية وما أكثرها في ذلك التاريخ. وإن زيادة التعمق في دراسة مقومات هذه
الشخصية الفذة في أبعادها الإنسانية وما طبعت به المجتمع الأرياني أولا، وفي مدينة تونس ثانيا، في القرنين الرابع
والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر الميلاديين) من خلق كريم وصبر على المكاره وحب للتأخي والسلم
وترسيخ الجذور في الأصالة العربية الإسلامية. إن كل هذا يجعلنا نتأكد من أن محرز بن خلف كان ولا يزال المرئي
المؤسس لهوية مدينته الأولى أريانة ووطنه إفريقية (تونس). فلقد طبقت شهرته الأفاق شرقا وغربا حتى أن
ياقوت الحموي (574 - 626 هـ / 1178 - 1229 م) في كتابه «معجم البلدان» حين تكلم عن تونس ذكر الشيخ
محرز بقوله: «وتونس قبر المؤدب محرز يقسم به أهل المراكب إذا جاش عليهم البحر، يحملون من تراب قبره
معهم وينذرون له» (ج 2 ص 434).

وينقل لنا شيخ المؤرخين في تونس حسن حسني عبد الوهاب في كتابه «مجلد تاريخ الأدب التونسي»
(ص 118 - 119) خبرا يتضح منه دور محرز بن خلف في إعانة بعض المظلومين من طلبة العلم، وذلك في رسالة
كتبها إلى الأمير الصنهاجي باديس بن المنصور (374 - 406 هـ / 984 - 1016 م) يوصيه خيرا بحامل رسالته.
يقول: «باسم الله الرحمن الرحيم. حقق الله الحق في قلوب العارفين من عباده ونقل المذنبين إلى ما افترض
عليهم من طاعته، أنا رجل عرف كثير من الناس أسمى - وهذا من البلاء - وأنا أسأل الله أن يتغمدني برحمته منه
وفضل، وربما أثناني المضطر يسأل الحاجة فإن تأخرت خفت وإن ساعدت فهذا أشد. وقد كتبت إليك مسألة رجل
من الطلبة طولب بدراهم ظلما ولا شئ له. وحامل رقعتي يشرح لك ما جرى، فعامل فيه من لا بد لك من لقائه،
واستع ممن بنعمته وجدت لذيق العيش واحذر بطانة السوء فإنهم إنما يريدون دراهمك، وشاور في أمرك من يتقي
الله «ومن يتقي الله يجعل له من أمره يسرا، ومن يتق الله يجعل له مخرجا» واستعن بالله فإن «من يتوكل على
الله فهو حسبه» والسلم. (راجع الآيتين 2,3 من سورة الطلاق).

إن ما عرضناه من أخبار تتعلق بسيرة محرز بن خلف تثبت أن مدينة أريانة كانت مدينة مشهورة في
القرن الرابع الهجري أي القرن العاشر الميلادي إذ قد نشأ فيها هذا المتعبد بين سنتي 348 و413 للهجرة
الموافقين لـ 975 و1022 للميلاد. وكان يحكمها وآل صنهاجي من دولة بني زيري بالقيروان، وكان له مع
الشيخ محرز بن خلف الخلاف الذي ذكرناه والمتعلق بتصديده لظلمه للرعية والسكان الطيبين في هذه المدينة.
وإن كل من تحدث عن أريانة من المؤلفين الجغرافيين قديما يقرنها بهذا العابد المشهور، من ذلك ما
جاء في كتاب «الروض المعطار في خبر الاقطار» لمحمد عبد المنعم الحميري (المتوفى سنة 900 هـ / 1494 م)
وبتحقيق الدكتور إحسان عباس (لبنان 1975). قال في صفحة 25: «أريانة قرية من عمل قرطاجنة
إفريقية بمقربة من تونس مسندة إلى الحنية العادية، منها كان العابد محرز بن خلف التميمي المؤدب العابد
المشهور، قبره بتونس بداره يتبرك به، وتوفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وله أخبار مصنفة».

وإن ما يفيدنا به هذا المؤلف نسبة التميمي التي أثبتتها للمؤدب محرز بن خلف. وهذا يؤكد ما ذهبنا
إليه في بداية بحثنا أنه يمني الأصل فهو من عرب الجنوب. ومثله في ذلك كمثّل الأمراء الأغلبية إذ هم من
تيمم القبيلة اليمنية، وهو أيضا من مدينة إريان باليمن ويتصل بالجد الأول لسكان هذه المدينة وهو الصديق

بن محمد، لذلك يدعى: محرز بن خلف الصديقي.

ويشير عبد المنعم الحميري في كتابه «الروض المعطار» أن الساقية الرومانية الشهيرة والمعروفة بالحنية أو الحنايا وهي التي تزود مدينة قرطاج بماء عين جبل زغوان تمرّ فعلا بأريانة، وتقطع المدينة قطعا. وهذا ما سنفصل الحديث فيه فيما يلي من هذا الكتاب عند التعرّض إلى تاريخ مدينة أريانة في العصر الحفصي. وقد قامت هذه الساقية بدور كبير بما أدخله عليها الحفصيون من ترميم وإصلاح قصد تزويد جامع الزيتونة وفسقية بستان أبي فهر بأريانة بالماء الصالح للشرب والرّي أيضا.

أريانة في عهد الدولة الحفصية (المدينة المجاهدة)

ذكر «حسن حسني عبد الوهاب في كتابه: «خلاصة تاريخ تونس» (ص 103): «أن الفاتحين من العرب ابتنوا القيروان واتخذوها عاصمة البلاد الإفريقية. وسبب اختيارهم هذا المركز على سواء هو توسط موقعه الجغرافي وبعده عن الساحل إذ لم يكن للدولة الإسلامية إذ ذاك أسطول يحمي قاعدتها من هجمات الرّوم الذين كان لهم ملك البحر. وبقيت القيروان تختا إلى أن انتصب العبيديون وقوي ساعد الدولة المغربية بأسطول رهيب، فلم يخش حينئذ عبيد الله المهدي من جعل مدينة المهدية التي أسسها مقرا لسلطانه المتسع، وأقام الملك هناك إلى يوم تغلب النّorman عليها. فلما دانت إفريقية إلى عبد المؤمن بن علي وإلى خلفائه من بعده استحسنوا نقل مركز الحكومة إلى حاضرة تونس، وتبعهم في الإقامة بها الحفصيون ومن والاهم من الدّول. ولم تزل هذه المدينة عاصمة القطر التونسي إلى يومنا هذا، ولله عاقبة الأمور».

لا بدّ أن نسجّل أن البلاد التونسية عرفت ازدهارا كبيرا على عهد بني حفص في الاقتصاد والفلاحة والعمار. وهي الفترة التي تعيننا من حياة مدينة أريانة التي نحن بصدد دراستها. وازدهرت المدن وعظم شأنها خاصّة في خلافة المستنصر بالله الحفصي (1229 - 1277م)، وقد تواصل حكمه من سنة 647 هـ / 1249 م، تاريخ وفاة أبيه «أبي زكرياء الحفصي» الذي ترك له ملكا عتيدا وملكة ممتدة الأطراف وهو يومئذ في العشرين من عمره إلى سنة وفاته في 675 هـ / 1277م.

وأمّ المستنصر أم ولد إسمها عطف، وهي التي أمرت ببناء جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية قبالة زاوية الشيخ أبي القاسم الزليجي بتونس العاصمة. ويطلق الآن على جامع التوفيق اسم جامع الهواء وهو يوجد بنهج جامع الهواء (عن ابن أبي دينار، 135؛ والسراج 3؛ 694 وابن الخوجة 266، 178).

وعقد للمستنصر البيعة عمّه الأمير عبد الله محمد اللّحياني، وقد كان أبوه عهد إليه، فتّم له ذلك عمّه. وثبت ابن السّمّاع في كتابه «الأدلة البيّنة النّورانية في مفاخر الدولة الحفصية» في سياق حديثه عن أحداث سنة 648 هـ / 1250م ما يلي: «وفي هذه السنة نصبت المقصورة بجامع الموحّدين (وهو جامع القصبة اليوم) وفي آخرها ابتدئ البناء في أبي فهر». فتأكّد لدينا حينئذ أن المستنصر بالله الحفصي وقع اختياره على ضاحية مدينة أريانة للشروع في بناء قصوره وتركيز إقامته ببستان أبي فهر الذّائع الصّيت (حيث توجد مدينة العلوم اليوم المحيطة بفسقيته الكبيرة) وتتوزع هذه القصور على بساتين جهة سكرة الشرقية كما سنبيّن ذلك في بحثنا الموالي عن مشروع الساقية والرّي وجلب المياه لأريانة في العهد الحفصي. ويرجع

الفضل للمستنصر بالله الحفصي في جامع الزيتونة بالماء وكذلك إلى أريانة ومثلت مدينة أريانة درة العهد السلطان ومربعه على طول السّنة. وعلية القوم سكنا ومنزها.

وتوافد عليها القادمون من العدا وبلنسية ومرسية وغيرها... فنزل بها «وذاع صيت المستنصر في

سنة 657 هـ / 1259 م، فاهتزّ السّلم المؤمن، ثم وافته بيعة بني مرين مسلمون، وقاعدتها مدينة كوكة» (عن مشروع السّاقية والرّي في العدا نركّز في هذا المبحث على

الذي شمل سقاية جهة تونس الكبرى قرطاج مروراً بمدينة أريانة. والحنايا (Les Nymphées) ومن عين جفم

- أولاً: طيلة حكم المستنصر بالله الحفصي - ثانياً: المدة المتراوحة بين سنة 677 - ابنه يحيى الواثق (1277 - 1279) (1284 - 1295م) وأبي عصيدة (1311م) وأبي زكرياء بن اللّحياني الثاني (1318 - 1346م)

- ثالثاً: مدة حكم أبي فارس عبد الله - رابعاً: مدة حكم أبي عمر عثمان ويشمل هذا المبحث أشغال

الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277م) أو الحوريّات) إلى مدينة قرطاج. ومن ولم يرمم الأمير الحفصي منها إلا قرطاج وأريانة الذي لم يستعمل منذ وهذه الحنايا قد بناها الأمير

ساقية الرومانية الشهيرة والمعروفة بالحنية
بأريانة، وتقطع المدينة قطاعاً. وهذا ما
تاريخ مدينة أريانة في العصر الحفصي.
ومبم وإصلاح قصد تزويد جامع الزيتونة

ح تونس» (ص 103): «أن الفاتحين من
اختارهم هذا المركز على سواء هو توسط
في أسطول يحمي قاعدتها من هجمات
العبيدون وقوي ساعد الدولة المغربية
بالمهنية التي أسسها مقرراً لسلطانه»
يقية إلى عبد المؤمن بن علي وإلى خلفائه
في الإقامة بها الحفصيون ومن والا هم من
لغة عاقبة الأمور».

على عهد بني حفص في الاقتصاد
في نحن بصدد دراستها. وازدهرت المدن
1277 م. وقد تواصل حكمه من سنة
ك له ملكاً عتيداً وملكة ممتدة الأطراف

مع التوفيق والمدرسة التوفيقية قبالة زاوية
مع التوفيق اسم جامع الهواء وهو يوجد
من الخرجة 266, 178).

وقد كان أبوه عهد إليه، فتم له ذلك
الدولة الحفصية في سياق حديثه عن
التصور بجامع الموحدين (وهو جامع
حيث أن المستنصر بالله الحفصي وقع
بستان أبي فهر الذائع الصيت (حيث
على بساتين جهة سكرة الشرقية كما
لأريانة في العهد الحفصي. ويرجع

الفضل للمستنصر بالله الحفصي في إعادة الساقية المنقولة على الحنايا من جبل زغوان إلى تونس وتزويد
جامع الزيتونة بالماء وكذلك إلى أريانة وتعبئة جابية بستان أبي فهر. وسنبين ذلك مفصلاً فيما سيأتي.
ومثلت مدينة أريانة درة العقد بين الأمصار الجديدة حول العاصمة الحفصية تونس إذ أصبحت مقر
السلطان ومربعه على طول السنة. وقد زاد علو شأنه عندما اختارها السلطان وكذلك الطبقة الأرستقراطية
وعلية القوم سكنا ومنتزها.

وتوافد عليها القادمون من العدو الغربية أرض الأندلس الجميلة من غرناطة وإشبيلية وقرطبة ومالقة
وبلنسية ومرسية وغيرها... فنزل بها العلماء والفنانون وأهل السياسة وأهل البيوتات الأندلسية المرموقة.
«وداع صيت المستنصر في الأفاق، وعظم شأنه حتى أرسل له أمير مكة وأهل الحجاز يبعثهم بالخلقة
سنة 657 هـ / 1259 م، فاهتز السلطان لهذه البيعة، واحتفل بها احتفالاً مشهوداً، وتلقب من يومئذ بأمر
المؤمن، ثم وافته بيعة بني مرين بفاس، وهاداه ملك «برنو» وهي سلطنة بأواسط السودان يسكنها زنوج
مسلمون، وقاعدتها مدينة كوكة» (عن حسن حسني عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس ص 108).

مشروع السقاية والزّي في العهد الحفصي في مدينتي تونس وأريانة:

تركز في هذا المبحث على أربع مراحل هامة قصد إبراز ما انتفعت به منطقة أريانة من مشروع الري
الذي شمل سقاية جهة تونس الكبرى وذلك عندما وقع ترميم الحنايا الممتدة بين مدينة زغوان ومدينة
قرطاج مروراً بمدينة أريانة. والحنايا هي التي تحمل ساقية الماء المتدفق من جبل زغوان أو غار الحوريات
(Les Nymphées) ومن عين جقار:

- أولاً: طيلة حكم المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277 م)

- ثانياً: المدة المتراوحة بين سنة 1277 وسنة 1343 أي من وفاة المستنصر بالله سنة 1277 م وتضم حكم
ابنه يحيى الواثق (1277 - 1279 م) وأبي اسحاق إبراهيم (1279 - 1284 م) والمستنصر بالله الثاني
(1284 - 1295 م) وأبي عصيدة (1295 - 1309 م) وأبي بكر الشهيد (1309 م) وأبي البقاء (1309 -
1311 م) وأبي زكرياء بن اللحياني (1311 - 1317 م) ومحمد أبي ضربة (1317 - 1318 م) وأبي بكر
الثاني (1318 - 1346 م)

- ثالثاً: مدة حكم أبي فارس عبد العزيز (1434 - 1394 م)

- رابعاً: مدة حكم أبي عمر عثمان (1435 - 1488 م)

ويشمل هذا المبحث أشغال الريّ في جهتي تونس وأريانة في العهد الحفصي بداية من منتصف القرن
الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر. فإن أهم إنجاز في السقاية والريّ تمثل في الترميم الذي حققه
المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277) للحنايا الرومانية الحاملة لساقية الماء من جبل زغوان (غار الصبايا
أو الحوريات) إلى مدينة قرطاج. ومن الملاحظ أن الساقية (الحنايا) يبلغ امتدادها في الأصل 132 كيلومتراً.
ولم يرمم الأمير الحفصي منها إلا 116 كيلومتراً إلى حدود بستان أبي فهر بأريانة. وأهم القسم ما بين
قرطاج وأريانة الذي لم يستعمل منذ كسر الساقية حسان بن النعمان في حصاره لقرطاج سنة 668 للميلاد.
وهذه الحنايا قد بناها الامبراطور الروماني هديران (HADRIEN) (76 - 136 للميلاد) بين سنتي

الماء وجريانه في السّاقية التي تشكّل حالات الذّروة من وفرة الدّفق لعين وهذه السّاقية فوق المنحنيات أو طولها من أسفل إلى السقف يكون السّاقية (0,90 م 1,00X م) صبغت اليوم، أي بما يقارب 320 لترا من الماء يدفعها الينبوعان الإثنان: مجّمع الماء ما بين 14.000 و 15.000 م في الحالة القصوى لارتفاع الدّفق في وتثبت دراسة قامت بها الإدارة

وأحوازاها بالماء الصّالح للشّراب، ثمّ الماء (étiage) في حالة الجفاف فيك الحوريّات (La Nymphée) وبمقدّر ومن الملاحظ أنّ السّاقية يقدّر طولها، يرتفعان حوالي أربعين سنتيمتر أقراس من البناء الصّخري الضّخمة انخفاضاها، وذلك حفاظا على ميلان وهذا ما سنبيّنه لاحقا في حديثنا عن وقد كانت ساقية الحنايا محو

اللّه محمّد العبدري الحياحي (نسبة رأى من الحنايا في ما كتب عن رحلته الفاسي رئيس جامعة محمّد الخامس يقول العبدري صاحب الرّوح سنة 668 للهجرة أي 1289 للميلاد عمل الرّوم مجلوبة من جبال بجنوبي وأكام فإذا انتهوا بها إلى جبل أو تل فوق بعض حتّى يستوي مع مجرى يتسرّب الماء منها في مستوى معتدل الغرب، وانتهت إلى مدينة قرطاجنة فيما يحكي عنها من فرط الاعتناء الرّخام فمنها يجلب إلى كلّ موضع



المطبخ والحمام (القرن 19) العهد الحفصيّ

120 و 138 للميلاد. وتثبت بعض الأبحاث أنّ الانتهاء من بناء هذه السّاقية تمّ في عهد الامبراطور سبتيم سيفار (Septime Sévère) (193 - 211 للميلاد) وذلك بزيادة ربطها بعين جقّار، فازدادت كمّيّة الماء المندفعة فيها.

ويبلغ طول السّاقية كما أسلفنا 132 كيلومترا رغم أنّ المسافة التي تفصل مدينة زغوان عن قرطاج مروراً من تونس وأريانة لا تتجاوز السّبعين كيلومترا. ونفسر ذلك بأنّ السّاقية فوق الحنايا التي تكون أحيانا مزدوجة المنحنيات تتّبع في مسارها منحدرات الأرض التي تمرّ فوقها مع الالتزام بميلان مدروس لتسهيل سيل



الحنايا في القرن السادس عشر في اتجاه تونس لتزويد المدينة وجامع الزيتونة بالماء

الماء وجريانه في السّاقية التي تشكّل منعطفات ومنعرجات دقيقة، الغاية منها كذلك كبح غزارة الماء في حالات الذّروة من وفرة الدّفق لعين زغوان وعين جقّار معا.

وهذه السّاقية فوق المنحنيات أو الحنايا لها شكل مستطيل عرضه ما بين 80 و90 سنتمترا وارتفاعه أو طوله من أسفل إلى السقف يكون في معدّل المتر تقريبا على كامل امتدادها. واعتمادا على مقاييس هذه السّاقية (0,90 م 1,00 م) ضببطت الكميّة من الماء المتدفق بما قدره 32.000 متر مكعب من الماء في اليوم، أي بما يقارب 320 لترا من الماء في الثّانية. وهذا الدّفق من الماء هو ما يساوي الكميّة المائيّة التي يدفعها الينبوعان الإثنان: مجمّع الماء بجبل زغوان وعين جقّار وهو بحساب المتر المكعب من الماء ما بين 14.000 و15.000 من الأمتار المكعبة في اليوم الواحد. وهذا الدّفق الكمي من الماء ضببط في الحالة القصوى لارتفاع الدّفق في المنبعين مجتمعين.

وتثبت دراسة قامت بها الإدارة العامّة للأشغال العموميّة سنة 1927 تحت عنوان «تزويد مدينة تونس وأحوازاها بالماء الصّالح للشّراب» أنّ دفق الماء قد ينخفض إلى مستوى أدنى جدّا وهو ما يسمّى بالبراض لعين الماء (étiage) في حالة الجفاف فيكون بمقدار 2300 متر مكعب في اليوم من مجمّع جبل زغوان أو غار الحوريّات (La Nymphée) وبمقدار 3300 متر مكعب من عين جقّار في اليوم الواحد أيضا.

ومن الملاحظ أنّ السّاقية يغطّيها سقف مقوّس يبلغ سمكه ثلاثين سنتمترا يحمله عضدان على طولها، يرتفعان حوالي أربعين سنتمترا، على جانبي هذه السّاقية التي تحملها محنيّات أو حنايا في شكل أقراس من البناء الصّخري الضّخم تتفاوت في ارتفاعها حسب الأرض التي تمرّ فوقها في علوّها أو انخفاضها، وذلك حفاظا على ميلان قارّ من ينبوعي الماء إلى الخزّانات بجوار تونس وأريانة وكذلك قرطاج. وهذا ما سنبينه لاحقا في حديثنا عن الحفريات والأبحاث الجديدة التي وقع القيام بها أخيرا.

وقد كانت ساقية الحنايا محلّ إعجاب كلّ من زار بلادنا في القديم فيصفها الرحّالة المغربيّ أبو عبد الله محمّد العبدري الحبيحي (نسبة إلى بلاد حاحة في جنوب المغرب الأقصى) وقد عبّر عن إعجابه بما رأى من الحنايا في ما كتب عن رحلته التي سمّاها «الرحّلة المغربيّة» وقد حقّقها وقدّم لها ونشرها محمّد الفاسي رئيس جامعة محمّد الخامس سابقا بالربّاط سنة 1968.

يقول العبدري صاحب الرّحلة في صفحتي 40 و41 متحدثا عن آثار الرّومان بتونس عندما زارها سنة 668 للهجرة أي 1289 للميلاد: «وأما السّاقية المذكورة فهي من جملة غرائب الدّنيا وهي قديمة من عمل الرّوم مجلوبة من جبال بجنوب تونس على مسيرة يومين أو نحوها في أوعار وأوديّة منقطعة وجبال وأكام فاذا انتهوا بها إلى جبل أو تلّ خرّقوه وسرّبوا الماء فيه. وإذا انتهوا إلى واد أو هدد بنوه قناطر بعضها فوق بعض حتّى يستوي مع مجرى السّاقية بصخر منحوت أثقن ما يكون من البناء وأغربه وأوثقه حتّى يتسرّب الماء منها في مستوى معتدل. واتّصلت هذه السّاقية بهذا العمل حتّى دارت من وراء تونس إلى الغرب، وانتهت إلى مدينة قرطاجنة، وبينها وبين تونس إثنا عشر ميلا، وهي من أعجب مدن الأرض وأغربها فيما يحكى عنها من فرط الاعتناء وغبابة الصّنع. وحسبك أنّ هذه السّاقية من جملة الاعتناء. بها وأما الرّخام فمنها يجلب إلى كلّ موضع بأفريقيّة قديما وحديثا ولا يفنيه ذلك منها. وهي الآن دائرة لا أتيّس بها



السّاقية (القرن 19) العهد الحفصي

السّاقية تمّ في عهد الامبراطور سبتيم
سها بعين جقّار، فازدادت كميّة الماء

التي تفصل مدينة زغوان عن قرطاج
سّاقية فوق الحنايا التي تكون أحيانا
الترام بميلان مدرّوس لتسهيل سيل



وأهل تونس يخرجون إليها تفرّجاً وتعبداً والقناطر من تونس إليها معطّلة. وهذه القنطرة تعرف عندهم بالحنايا. وهي ممّا يقصر الوصف عنه لفرط إتقانها وغرابتها. ويذكر أنّ الروم أقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها أربعمئة سنة، وهذا بعيد وأما أبو عبيد البكري فحكى أنّ عملها فرغ حتى استوى فيها جري الماء في أربعين سنة. وهذا يشبه مع الاعتناء التام والإدارة الكاملة والقوّة الوافرة. وقد كان بعض الأمراء، وهو أخو القائم بها الآن احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها ممّا يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطّلة قبله، فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة ولم يمكنه ردّ ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاهته بالإضافة إلى غيره.

ويعتقضى ما تسمح به تضاريس الأرض فإن هذه الساقية أو القناة المعلّقة تتسلّق الهضاب أو تغوص في أنفاق أو تشقّ منخفضات ومنبسطة وادي مليان أو وادي الليل أوسكرة تحملها الحنايا أو القناطر ذات الصّخور الضخمة. وقد تصبح هذه الحنايا ذات طابقين عند قطعها لوادي مليان أو لمنبسط سكرة بجوار مدينة أريانة.

ولنا عن ذلك صورة ممتازة للرّسام يان فرماين Juan Vermey الذي شارك سنة 1535 في حملة «شارل كان» مع الجيش الإسباني على حلق الوادي وتونس وأريانة. وإنّ الرّسوم التي أنجزها هذا الفنان كانت أمثلة ودعامة لصناعة مجموعة من الرّبابي المعلّقة اليوم على جدران متحف القصر الملكي بمدريد بإسبانيا. وهي أروع نقل حيّ للحنايا ولهذه الساقية العجيبة في بنائها وجذق التّقنية التي جلب بواسطتها الماء من زغوان إلى تونس العاصمة وبستان أبي فخر الحفصي بأريانة، وقبلها وقديما إلى مدينة قرطاج. وهذه الرّبابي المعلّقات أوحّت «لجان هودوا» تأليف كتاب عن حملة شارل كان على تونس بعنوان «الرّبابي المعلّقات الممثّلة لحملة شارل كان على مملكة تونس»:

J.Houdoy (Tapissries représentant la conquête du royaume de Thunes par l'empereur Charles Quint-Lille 1873 in 8e page 33

ولا بد أن نعرّج على تاريخ هذه الساقية أو القناة العجيبة المعروفة عندنا إلى اليوم بالحنايا لأنّ مصيرها ارتبط ارتباطا وثيقا بأريانة وبضواحيها وخاصة ببستان أبي فخر وبجانيته العظيمة التي بناها المستنصر بالله الحفصي وما زالت بقاياها إلى اليوم وسط مدينة العلوم. ونذكر بإيجاز ما حلّ بها من العطب والتعطيل في تعاقب السنين إلى أن توقّفت نهائيا عن العمل. وقد بقي منها اليوم بعض الأجزاء تتمّ على مجدها الزاهر ووظيفتها الكبرى في عصور قديمة متتالية، فقامت هذه الساقية بعمل جليل تمثّل في تزويد سكّان مدينة قرطاج في العهد الرّوماني بالماء الصّالح للشّراب وربّما للرّي لبساتينا الغناء، ومن بعدها مدينتي تونس وأريانة كذلك بالماء لبستان أبي فخر وفي جزء قليل للرّي أيضا.

فلقد أصاب ساقية الحنايا منذ بنائها في بداية القرن الثاني للميلاد بين سنتي 120 و138 بأمر من الامبراطور الرّوماني هديران إلى عهد المستنصر بالله الحفصي (1249-1277) تشويه متعدّد المظاهر، كما أدخلت عليها العديد من أعمال التّرميم والإصلاح وكذلك بالإضافة أو القطع.

وقع تهديمها جزئيا سنة 439 للميلاد عندما استولى الوندال على مدينة قرطاج، ثمّ رمّمها القائد البيزنطي العظيم بليزار (Bélisaire) عندما تغلّب على الغازين الونداليين سنة 533 للميلاد. وفي سنة

698 للميلاد قصد حسان بن النّعمان فحاصرها وكسّر قناتها (أي الحنايا) لقطع إليها من النّصارى تحت راية البطريرك قرطاج مصنعا لإنشاء السّفن والمراكب وقد جلب لهذا الغرض ألف عائلة من مروان، فاندمجوا في مجتمع المدينة. ويسجّل بعض المؤرّخين أنّ من

يذكر فيما تمثّلت أعمال ترميم ساقية الحنايا أي فترة تواصل ذلك؟ لقد بقيت هذه وأهمّ ترميم وقع لهذه الساقية

في القرن الثالث عشر بأمر من المستنصر العمل ولوظيفتها الأصليّة للسّاقية والرّي من الأصل للحنايا: الأولى لتزويد مدينة سعدون لتصل إلى باب الأرناسي أو رصاص إلى تونس (إلى ميضاء جامع الرّي الثانية الفرعية وهي الأهم وتزوّد فسقية سعدون في وسط مدينة العلوم اليوم ومقاييسها وتنطلق هذه الساقية الفرعية

لتصبّ في الجابية قرب بئر البطوم. والرحالة المغربي محمّد العبدري: يقول فقد استأثر بها قصر السّلطان وجنّتها من رصاص، ويستقي منها الغرياء والحاضرة يقول: «ولو اتّفق أن يكون ديارها مصانع (المواجل) ماء المطر وهو نستنتج من أقوال محمّد العبدري

في فسقية بستان أبي فخر بجوار مدينة قرطاج آخر من الحنايا يمرّ من باب سعدون وسكّان الحاضرة يخزنون مياه الأمطار وترك لنا عبد الرّحمان بن خلدون

فهر، وكذلك للحائط المرتفع الذي يحيط بمدينة قرطاج، وهو الذي يمرّ بجانب مقاييسها

لها معطلة. وهذه القنطرة تعرف عندهم
بأن الرّوم أقاموا في تدبيرها والنظر في
صلها فرغ حتى استوى فيها جري الماء
قوة الواقعة. وقد كان بعض الأمراء، وهو
تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة
بكته رد ذلك على ما كان عليه ولا ما
قته إلى غيره.

العلقة تتلقى الهضاب أو تغوص في أنفاق
سكرة تحملها الحنايا أو القناطر ذات الصخور
و شبط سكرة بجوار مدينة أريانة.

الذي شارك سنة 1535 في حملة
وأن الرسوم التي أنجزها هذا الفنان
جنوان متحف القصر الملكي بمدير
ها وحذق التقنية التي جلب بواسطتها
وقبلها وقديما إلى مدينة قرطاج. وهذه
كان على تونس بعنوان «الزرايبي

J.Houdoy (Tapisseries représen
l'empereur Charles Quint-Lille

المعروفة عندنا إلى اليوم بالحنايا لأن
في فهر وبجايته العظيمة التي بناها
وم. ونذكر بإيجاز ما حل بها من العطب
بقي منها اليوم بعض الأجزاء تنم على
ه الساقية بعمل جليل تمثل في تزويد
للمري لبساتينا الغناء، ومن بعدها
زري أيضا.

ميلاد بين سنتي 120 و138 بأمر من
1277-12 تشويه متعدد المظاهر، كما
قته أو القطع.

على مدينة قرطاج، ثم رممها القائد
والتين سنة 533 للميلاد. وفي سنة

698 للميلاد قصد حسان بن النعمان مدينة قرطاج التي لم تزل حينئذ قاعدة ملك الروم البيزنطيين،
فحاصرها وكسّر قناتها (أي الحنايا) لقطع الماء عنها وشدّد الحصار عليها إلى أن فتحها عنوة، وأذعن من التجأ
إليها من النصارى تحت راية البطريق يحنّا. ومن المآثر التي تذكر لهذا القائد العربي تأسيسه بقرب مدينة
قرطاج مصنعا لإنشاء السفن والمراكب الحربية وهو المكان المعروف اليوم «بدار الصناعة» (L'Arsenal).
وقد جلب لهذا الغرض ألف عائلة من قبط مصر، فأقرهم هناك تبعا لسياسة مخدومه الخليفة عبد الملك بن
مروان، فاندمجوا في مجتمع المدينة. ومن أعمال حسان أيضا حفره للقناة الرابطة بين تونس وحلق الوادي.
ويسجل بعض المؤرخين أن من أعمال الفاطميين في القرن العاشر ترميم ساقية الحنايا من جديد. ولا
يذكر فيما تمثّلت أعمال ترميم ساقية الحنايا، وأي جزء منها وقع ترميمه وهل بقيت صالحة بعد هذه الصيانة، وإلى
أي فترة تواصل ذلك؟ لقد بقيت هذه الأخبار المنقولة موجزة وعلى جانب من التعميم والغموض.

وأهم ترميم وقع لهذه الساقية المائية العظيمة (الحنايا) في العهد العربي الإسلامي من تاريخ بلادنا إنما أنجز
في القرن الثالث عشر بأمر من المستنصر بالله الحفصي (1249-1277). وهذا الترميم أو إرجاع الساقية إلى
العمل ولوظيفتها الأصلية للسقاية والمري لم يشمل إلا جانبا جزئيا منها. أمّا الأهم فهو إضافة ساقيتين فرعيتين
من الأصل للحنايا: الأولى لتزويد مدينة تونس وخاصة مضاء جامع الزيتونة بالماء، وهي تمر من باردو ومن باب
سعدون لتصل إلى باب الأرناسي أو برج الأعناق حيث خزان القصب الكبير، ومنه ينطلق الماء في قنوات من
رصاص إلى تونس (إلى مضاء جامع الزيتونة والحنفيات الموزعة في أحياء المدينة المعروفة بالمصاصات) والساقية
الثانية الفرعية وهي الأهم وتزود فسقية بستان أبي فهر بأريانة (وتضم 475.50 مترا مكعبا من الماء) وهي الموجودة
في وسط مدينة العلوم اليوم ومقاييسها هي: $3 \times 80,5 \times 209 = 50475 \text{ م}^3$

وتتعلق هذه الساقية الفرعية من الحنايا الأصلية على مستوى وادي «قرب» في غربي مدينة أريانة
لتصب في الجابية قرب بئر البطوم. وعنّها يحدثنا شاهد عيان زار المكان في سنة 668 هـ / 1289 م، وهو
الرحالة المغربي محمد العبدري: يقول عنها، في رحلته صفحة 40: «وأما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان
فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلا رشحا يسيرا سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب
من رصاص، ويستقي منها الغرباء ومن ليس في داره ماء، ويكثر عليها الازدحام». وعن قلّة الماء في تونس
الحاضرة يقول: «ولو اتفق أن يكون بها ماء جار لكانت معدومة النظير شرقا وغربا ولكن ماءها قليل وفي
ديارها مصانع (المواجل) ماء المطر وهو المستعمل عندهم»

نستنتج من أقوال محمد العبدري الحيحي الرحالة المغربي أن أكبر قسط من ماء الحنايا كان يصب
في فسقية بستان أبي فهر بجوار مدينة أريانة، ويزود سكان مدينة تونس بقسط ضئيل من الماء بواسطة فرع
آخر من الحنايا يمر من باب سعدون وبأسفل برج الاندلس أو برج زوارة اليوم من جهته الغربية. لذلك كان
سكان الحاضرة يخزنون مياه الأمطار في ما جل منزلي خاص بكل بيت بسبب قلّة ماء الحنايا في الحاضرة.
وترك لنا عبد الرحمان بن خلدون (732-808 هـ / 1332-1408 م) وصفا رائعا لفسقية بستان أبي
فهر، وكذلك للحائط المرتفع الذي يحده الساقية التي تحملها أقواس الحنايا وتتصل بالجرى الأصلي المتجه إلى
مدينة قرطاج، وهو الذي يمر بجانب مقبرة سيدي الجبالي، ثم يشق مدينة أريانة ويقطع الأرض الفاصلة بين

سيدي عبد الرحمن وسيدي علي الجربي متجها إلى الخزانات الكبيرة في المكان المسمى اليوم بالمعلقة لتزود مدينة قرطاج . يقول ابن خلدون واصفا بستان أبي فهر في الجزء السادس من كتاب العبر في سياق الحديث عن إنجازات المستنصر بالله الحفصي مدة حكمه (1249 - 1277): «واتخذ أيضا بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فهر يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات، اغترس فيها من شجره كل فاكهة من أغصان التين والزيتون والرمان والتخيل والأعناب وسائر الفواكه وأصناف الشجر. ونضد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من السرو والطلح والشجر البري. وسمي دوح هذه بالشعراء. واتخذ وسطها البساتين والرياضات بالمصانع والجرار وشجر النور والنزهة من اللبم والتارنج والسدر والريحان وشجر الياسمين والخيري والتيلوفر وأمثاله. وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة وضع فيه للماء حاجزا من أعواد الحور جلب إليه الماء في القناة القديمة، كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة تسلك بطن الأرض في أماكن وتركب البناء العالي ذا الهياكل الهائلة والقسي القائمة على الأرجل الضخمة في أخرى، فعطف هذه القناة من أقرب الثمرات إلى هذا البستان، وأماها حائطا وصل ما بينهما حتى ينبعث من فوهة عظيمة إلى جب عميق المهوى رصيف البناء، متباعد الأقطار مربع الفناء، مجلل بالكلس إلى أن يعمه الماء فيرسله في قناة أخرى قريبة الغاية فينبعث في الصهريج إلى أن يعبق حوضه وتضطرب أمواجه ويترقفه الحظايا عن السعي بشاطئه لبعده مداه فيركب في الجواري المنشآت فيبارى بهن».

ولم يتأكد لدينا في كل المراجع أن الماء المتدفق إلى تونس وإلى بستان أبي فهر بأريانة بواسطة ساقية الحنايا التي أدخلت عليها أشغال الترميم بأمر المستنصر بالله الحفصي هو سائل من عين زغوان وحدها أم هل أضيف إليه ماء عين جقار كما كانت الحال في القديم، فلم يثبت لدينا أن عين جقار قد وقع ربطها. وقد ذكر كل من كتب عن تاريخ الدولة الحفصية أن هذا الماء هو من عين جبل زغوان (أو غار الصبايا الحوريات) Les Nymphées مع إغفال كل مصدر آخر للماء الذي يبدو دون ما كان يسيل في ساقية الحنايا من حيث الكمية في عهدها الروماني القديم كما سيلاحظ فيما سيأتي عند التحديد الحسابي بين تونس وفسقية بستان أبي فهر قرب مدينة أريانة.

وثبت لدينا من جانب آخر أن قسم ساقية الحنايا (في جزئها الأصلي) من أريانة إلى قرطاج قد وقع إهماله في العهد الحفصي ولم يلحقه أي ترميم. وبهذه الصفة يمكن القول إن مدينة قرطاج لم تزود بماء زغوان وعين جقار منذ أن قطعها القائد العربي حسان بن النعمان سنة 77 هـ / 698م لما حاصر قرطاج البيزنطية وأخضع البطريق يحنّا لإرادته، فلم يشمل الترميم الحفصي لساقية الحنايا حينئذ سوى 116 كيلومترا طولا من أصل 132 في العهد الروماني وما بعده ووقف عمل هذه الساقية إلى حدود مدينة أريانة (أي تزويد فسقية بستان أبي فهر حيث مدينة العلوم حاليا) وأهمل جزء ساقية الحنايا التي تمر من بساتين منطقة سكرة بصفة نهائية. وقد بقيت آثار أعمدة الحنايا ظاهرة على جانب الطريق الفاصلة بين دار فضال وقرية العوينة.

وإن طرافة الإصلاح والترميم اللذين أنجزا في عهد المستنصر بالله الحفصي سنة 1267م قد تركّز أساسا على إيصال الماء الصالح للشرب إلى كل من مدينة تونس وخاصة ميضاء جامع الزيتونة ومدينة أريانة (أي بستان أبي فهر)، وذلك ببناء ساقيتين فرعيتين تحملهما أقواس الحنايا، الأولى تمر قرب مدينة باردو وتصل إلى

خزان القصبه مرورا من باب سعدون. قرب وادي قرب وتصل إلى بئر البطون. العاملين الهاميين في العهد الحفصي لساقية الحنايا المزودة لمدينة تونس بكم من المفيد أن نتبع المسلك الذي أنشأ كاملا لتزويد مدينة تونس بالماء الرومانية القادمة من زغوان. وأهم مصلحة جغرافية الأرض بالجيش ارتباطها بالحنايا الأصلية المتوجهة إلى الوطاء في الجنوب الغربي على مسافة وهي على عشرة كيلومترات من تونس وثبتت العديد من المصادر التاريخية الحنايا المزودة لمدينة تونس بماء زغوان ومحمد العبدري الحيحي الرحالة العرفي ووصفها في كتابه «الرحلة المغربية».



سبيل السقايا من العهد الحفصي في المدينة العتيقة (تزود السكان بماء زغوان)

خزان القصبه مروراً من باب سعدون، والثانية تنطلق من السّاقية الأصليّة في الجنوب الغربي من مدينة أريانة قرب وادي قرب وتصل إلى بئر البطوم ببستان أبي فخر حيث مدينة العلوم اليوم. وتركز الدّراسة على هذين العاملين الهامّين في العهد الحفصي لساقية الحنايا لما لهما من الأهميّة في السّاقية والرّي لمدينتي تونس وأريانة. ساقية الحنايا المزوّدة لمدينة تونس بالماء:

من المفيد أن نتبع المسلك الذي تقطعه السّاقية الفرعيّة الأولى التي أنشأها المستنصر بالله الحفصي إنشاء كاملاً لتزويد مدينة تونس بالماء الصّالح للشّراب بعد إدخال الإصلاح والتّرميم على السّاقية الرّومانية القادمة من زغوان. وأهمّ المراجع لإثبات مرّ هذه السّاقية الفرعيّة إنّما هي الخرائط التي ضبّطتها مصلحة جغرافيّة الأرض بالجيش الفرنسي منذ بداية القرن. تنطلق هذه السّاقية الفرعيّة الحفصيّة - منذ ارتباطها بالحنايا الأصليّة المتوجّهة إلى قرطاج - من مكان اسمه الثّقرة في أرض ترتفع إلى 62 درجة هي «كمّ الوطاء» في الجنوب الغربي على مسافة كيلومترين من قرية فيل جاك (Villejacques) وهي المنيهلة اليوم وهي على عشرة كيلومترات من تونس على الطّريق رقم 8 المتّجهة إلى مدينة بنزرت.

وتثبت العديد من المصادر التّاريخيّة أنّ المستنصر بالله الحفصي هو المؤسّس للسّاقية الفرعيّة من الحنايا المزوّدة لمدينة تونس بماء زغوان. نذكر منها الرّكشي في كتابه «تاريخ الدّولتين الموحديّة والحفصيّة» ومحمّد العبدري الحليحي الرّحالة المغربي الذي شاهد الحنايا في زيارته إلى تونس سنة 688 هـ / 1289 م ووصفها في كتابه «الرّحلة المغربيّة». كما نسب بناءها للمستنصر بالله الحفصي ابن فضل الله العمري في

خيرة في المكان المسمّى اليوم بالمعلّقة لتزود السّاقية من كتاب العبر في سياق الحديث في واتخذ أيضاً بخارج حضرته البستان في معروشات، اغترس فيها من شجره كلّ شجر الفواكه وأصناف الشّجر. ونضد كلّ شجر البرّي. وسمّي دوح هذه بالشّعراء. الثّمة من اللّيم والتّاريخ والسّدر والرّيحان يوصى روضاً فسيح السّاحة وضع فيه للماء بين عين زغوان وقرطاجنة تسلك بطن القلعة على الأرجل الضّخمة في أخرى، حائط وصل ما بينهما حتى ينبعث من مربع الفناء، مجلّ بالكلس إلى أن يعمّه يعقب حوضه وتضطرب أمواجه ويترّفه فيبارى بهنّ.

ولم يبق من أريانة بواحدة ساقية بقي هو سائل من عين زغوان وحدها أمّ ت لدينا أنّ عين جفّار قد وقع ربطها. وقد من عين جبل زغوان (أو غار الصّبايا الذي يبدو دون ما كان يسيل في ساقية فيما سيأتي عند التّحديد الحسابي بين

الأصلي) من أريانة إلى قرطاج قد وقع القول إنّ مدينة قرطاج لم تزود بماء زغوان 7 هـ / 698 م لما حاصر قرطاج البيزنطيّة الحنايا حينئذ سوى 116 كيلومتراً طولا ساقية إلى حدود مدينة أريانة (أي تزويد الحنايا التي تمرّ من بساتين منطقة سكّرة الفاصلة بين دار فضال وقرية العوينة. أنّه الحفصي سنة 1267 م قد تركّز أساساً فيضاء جامع الرّيتونة ومدينة أريانة (أي الأولى تمرّ قرب مدينة باردو وتصل إلى



تمودج للسبيل من العهد الحفصي في المدينة العتيقة بتونس



سبيل السقايا من العهد الحفصي في المدينة العتيقة بتونس العاصمة (تزود السكّان بماء زغوان)

الساقية الفرعية الثانية: إلى

لقد سبق أن أشرنا إلى أن ساقية



تظهر الصورة تهديم جزء

زغوان إلى حدود مدينة أريانة في عهد
الذي يمتد من أريانة إلى خزانات المصفاة
يقدر بـ 132 كيلومترا من زغوان إلى قر



تروود مدينة تونس في

قسط من الماء إلى قصوره ببستان أبي
أبي فھر في المراجع التي تحدّث عنه
يعدّد لنا المهندس مرسال مول
أصدره في المجلة الإفريقية سنة 1935
في التوضيح:

كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وكما أكد ذلك محمد بن علي الزعيني القيرواني في تاريخه.
وقد أتم المستنصر بالله الحفصي أشغال هذه الساقية الفرعية سنة 666 هـ / 1267 م وجرى فيها الماء في
الحادي والعشرين من سبتمبر 1267 إلى مدينة تونس وخاصة إلى جامع الزيتونة.

وواصلت هذه الساقية سيرها من النقرة إلى تونس متبعة تضاريس الأرض تارة ظاهرة فوق أقواس
الحنايا وطورا تحت الأرض في انحدار 5,5 في الألف متسلقة المنحدر الغربي لهضبة رأس الطابية حيث كان
الخليفة الحفصي يملك قصرا تحيط به البساتين. وقد عثرنا علي صور فوتوغرافية لقسم من الحنايا في رأس
الطابية أخذت في الثلاثينات من القرن العشرين. ومقاييس الساقية هي: 0,25 م 0,27X م. ولها من
العمق 0,30 مترا.

وتتوجّه هذه الساقية من رأس الطابية إلى الجنوب الشرقي لمدينة تونس مروراً بمنطقة الرابطة على
ظهر الحنايا، وهي المسماة اليوم بحنايا باردو على بعد كلمتر ونصف من مجلس التواب اليوم (قصر الباي
قبل الاستقلال). ويبلغ القسط من الحنايا من رأس الطابية إلى هضبة الرابطة حوالي 980 مترا وفيه
منعرجات كثيرة الغرض منها التقليل من سرعة دفع الماء نظرا للانحدار الكبير لهذه الساقية (5,5 في
الألف) التي ليست مغطاة ونلاحظ أن لها نفس الانحدار للساقية إلا أن كمية الماء التي تسيل فيها تقدر
بعشر الساقية الأصلية وتقدر هذه الكمية من الماء بحساب 218 مترا مكعبا في اليوم في حالة الجفاف
و1272 في حالة الخصب. والباقي من الماء المندفع من عين زغوان في الساقية الأصلية يسيل إلى أريانة كما
سنبين ذلك وهو الأهم ويقدر بـ 2082 مترا مكعبا في اليوم في حالة الجفاف أو الانخفاض وبـ 12.728
مترا مكعبا في اليوم في حالة وفرة المياه بالعين الأصلية أو حالة الخصب.

وهذه الكمية الوافرة من الماء كانت مخصصة لبستان أبي فھر وقصر الأمير الحفصي كما لاحظ
ذلك العبدري المغربي في رحلته سنة 688 هـ / 1286 م أي بعد مرور اثنين وعشرين سنة من الانتهاء
من بناء هذه الساقية الفرعية. وقد لاحظ أن الماء قليل في حاضرة تونس ومتوفر ببستان أبي فھر. وهو ما
يفسر إعجاب ابن خلدون بغزارة الماء في ارتفاعه من الساقية في فسقية أبي فھر العظيمة التي تتبارى فيها
الجواري في مراكبهن.

كيف تمرّ هذه الساقية من هضبة الرابطة إلى مدينة تونس لتزود السكّان وجامع الزيتونة بالماء
الصالح للشرب؟

تمرّ الساقية على ارتفاع عشرة أمتار على قاعدة الجدران الضخمة لبرج الأندلسيين أو برج زوارة
اليوم. وتلتصق بهضبة الرابطة من جهتها الشرقية ثمّ تحاذي مستشفى شارل نيكول من الجنوب وتقطع
المسافة بين المعهد الفني أو إميل لوبي قديما وبين مقبرة سيدي أحمد السقاء. وحسب «مسالك الأبصار»
للعمرى فإنّ خزّانا يستقبل المياه المتدفقة يوجد داخل المدينة في منحدر القصبه على انخفاض 30 مترا من
مسار الساقية، وهو ماينفي ما ذهب إليه الباحث شارل منشكور (Ch. Monchicourt) الذي ظنّ أنّ
الخزّان هو القائم إلى اليوم في باب سيدي عبد الله. ومن الخزّان ينطلق الماء إلى المدينة وجامع الزيتونة
في أجعاب من الرصاص كما ذكر ذلك الرحالة المغربي محمد العبدري.

الساقية الفرعية الثانية: إلى بستان أبي فهر بأريانة:

لقد سبق أن أشرنا إلى أن ساقية الحنايا الأصلية الرومانية قد وقع ترميمها لتكون صالحة للساقية من



برج الأندلس وهو برج زوارة حاليا

تظهر الصورة تهديم جزء منه نتيجة انفجار قنبلة داخل الحصن في 11 جانفي 1888

زغوان إلى حدود مدينة أريانة في عهد المستنصر بالله الحفصي في سنة 1267 م وتوقف الجزء الأخير منها الذي يمتد من أريانة إلى خزانات «المعلقة» بجانب مدينة قرطاج وهو ما يقدر بـ 16 كيلومترا من طول جمليّ يقدر بـ 132 كيلومترا من زغوان إلى قرطاج وبالقرب من أريانة بنى الأمير الحفصي ساقية فرعية لجلب أوفر



سقية الحنايا تحت المدرسة الصادقية

تروى مدينة تونس ومضاء جامع الزيتونة بالماء. (مكان ضريح فرحات حشاد حاليا)

قسط من الماء إلى قصوره ببستان أبي فهر. ولتحديد مسار هذه الساقية الفرعية لا بد من تحديد موقع بستان أبي فهر في المراجع التي تحدثت عنه.

يعدّد لنا المهندس مرسال سولينياك (J. Marcel Solignac) في مقاله القيم عن هذا الموضوع، وقد أصدره في المجلة الإفريقية سنة 1935، بعض هذه المراجع التي كنّا قد ذكرناها فيما سبق ونذكرها زيادة منّا في التوضيح:

محمد بن علي الرعيني القيرواني في تاريخه. سنة 666 هـ / 1267 م وجرى فيها الماء في إلى جامع الزيتونة.

تصاريص الأرض تارة ظاهرة فوق أقواس حصر الغربي لهضبة رأس الطابية حيث كان صور فونغرافية لقسم من الحنايا في رأس الساقية هي: 0,25 م 0,27X م. ولها من

وقفي مدينة تونس مرورا بمنطقة الرابطة على نصف من مجلس الثواب اليوم (قصر الباي إلى هضبة الرابطة حوالي 980 مترا وفيه الانحدار الكبير لهذه الساقية (5,5 في قية إلا أن كمية الماء التي تسيل فيها تقدر 21 مترا مكعبا في اليوم في حالة الجفاف في الساقية الأصلية يسيل إلى أريانة كما حالة الجفاف أو الانخفاض وبـ 12.728 حصص.

أبي فهر وقصر الأمير الحفصي كما لاحظ بعد مرور اثنتين وعشرين سنة من الانتهاء حيرة تونس ومتوفر ببستان أبي فهر. وهو ما فسقبة أبي فهر العظيمة التي تتبارى فيها

تونس لتزود السكّان وجامع الزيتونة بالماء

الصخمة لبرج الأندلسيين أو برج زوارة تشقى شارل نيكول من الجنوب وتقطع أحمد السقاء. وحسب «مسالك الأبصار» منحدر القصبه على انخفاض 30 مترا من كور (Ch. Monchicourt) الذي ظن أن ينطلق الماء إلى المدينة وجامع الزيتونة العبدري.

1 - القصيدة المقصورة لأبي الحسن حازم القرطاجني (608 - 684 هـ) وهو شاعر أندلسي من مدينة قرطاجنة بالأندلس كما تدلّ عليه نسبته قد جلبته أبته بلاط المستنصر بالله الحفصي فمدحه بقصيدة طبقت شهرتها الأفاق وتناولها كثير من الأدباء بالشرح والتحليل ومن بينهم الشريف الغرناطي (697هـ = 1297م / 760هـ = 1359م). وبلغت هذه القصيدة المدحية 974 بيتا. وقد نوّه فيها بالساقية الرومانية وبترميم المستنصر لها من البيت 53 إلى البيت 171. ولا تعطينا هذه الأبيات المعلومات العلمية المنتظرة عن ساقية الحنايا من حيث مسلكها وارتفاعها وكمية الماء فيها إذ ليست مرجعا تاريخيا.

2 - ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (1342 - 1349م) ويفيدنا بمعلومة واحدة هي أن بستان أبي فهر يبعد عن تونس بثلاثة أميال. وعنه يأخذ أيضا الزركشي في كتابه «تاريخ الدولتين: الموحّدية والحفصية».

3 - عبد الرحمان بن خلدون (1332 - 1408م). وقد رأينا فيما سبق أنه وصف غزارة الماء المتدفق «من فوهة عظيمة إلى جب عميق المهوى». ويذكر لنا عناية الحفصي بالقناة القديمة ويصف «بناءها العالي ذا الهياكل الهائلة والقسي القائمة على الأرجل الضخمة».

ثم يدقّق انبعاث الماء من جدار عال إلى جب عميق المهوى، متباعد الأقطار مربع الفناء مجلّ بالكلس». ودقائق هذا الوصف تفيدنا لتحديد الموقع في سيل الماء داخل البستان وتؤكد أن ابن خلدون كان شاهد عيان كما سنبينه في تخطيط الفسقية وسيل الماء إليها. وقد حدثنا مؤرخنا عن أنواع الأشجار في بستان أبي فهر، وذكر جانباً من وظائف الفسقية الشاسعة، من ذلك المبارة التي تقوم بها الجوّاري في الفلك. ويثبت لنا ابن خلدون أن الحنايا الرومانية كانت تظهر في أقواس تركب بعضها بعضاً وتختفي تحت الأرض في أماكن يفرضها انحدار الأرض أو ارتفاعها. ولنا عنها رسوم تعود إلى القرن السادس عشر أنجزها الرسّام خوان فرماين (Juan.Vermeyen) الذي صاحب شارل كان الملك الإسباني في حملته على تونس سنة 1535. انظر

JL.Poinsot et R.Lantier, (Les gouverneurs de la Goulette durant l'occupation espagnole) Revue Tunisienne, 1ère Année, 1930.

وقد ساعدت رسوم خوان فرماين على صناعة مجموعة من الزرابي المعلقة توجد الآن في متحف القصر الملكي بمدريد.

ويذكر لنا محمد بن علي الرعيني القيرواني في كتابه «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» أن تسمية بستان أبي فهر قد أصبحت في القرن السابع عشر بستان البطوم. ونلاحظ أن كل هذه المراجع لا تقدّم إلّا معلومات غامضة عن بستان أبي فهر ولا تعين الباحث ليحدّد بدقة هذا الموقع. وقد ذهب بعضهم عن خطأ إلى أن بستان البطوم هو البطان بطبرية (انظر Pellissier et Remusat(1854).

ويذكر المهندس سولينياك (J.M.Solignac) في بحثه الدقيق أن أول مكتشف لموقع بستان أبي فهر هو بول كوكلار (Paul.Gauckler) سنة 1902 وكان مديراً للآثار بالبلاد التونسية ويؤكد أنه بمقتضى هذا

الاكتشاف اعتبرت فسقية بستان (M.B Roy) الكاتب العام لحكومة ورجع الفضل للمهندس مرس (الفسقية الكبرى والجوابي الفرعية) المعطيات من حيث كمية الماء والدق 1267 إلى تعطل ساقية الحنايا ووقوف



وتمثّل بحثه في دراسة علمية مثبتة بالمر الحفصية في تونس» (J.M.Solignac) وانطلق سولينياك (J.M.Solignac) أن بستان أبي فهر وجد قرب مدينة في منطقة النفرة في غابة الجبل الأحمر العمري) في الجنوب الغربي لمدينة

الاكتشاف اعتبرت فسقية بستان أبي فھر معلما تاريخيا سنة 1912 تبعا لمطلب السيد م.ب. روا. (M.B Roy) الكاتب العام لحكومة الحماية، وكان معروفا بإتقانه للعربية وحضارتها.

ويرجع الفضل للمهندس مارسيل سولينياك - وقد كان رئيس قسم الجيولوجيا بإدارة الأشغال العامة في تونس زمن الحماية الفرنسية - في اكتشاف موقع بستان أبي فھر بجانب مدينة أريانة وفي تحديد مكوّناته المائية (الفسقية الكبرى والجوابي الفرعية وبئر البطوم ومسلك ساقية الحنايا الفرعية والأصلية)، وكذلك في ضبط كلّ المعطيات من حيث كمّية الماء والذّفق منذ بداية التّرميم الذي قام به المستنصر بالله الحفصي والانتهاه منه سنة 1267 إلى تعطّل ساقية الحنايا ووقوف جريان الماء فيها سواء إلى مدينة تونس أو مدينة أريانة (بستان أبي فھر).

سابقاً أنه وصف غزارة الماء المتدفق «من
بالقناة القديمة ويصف «ببناءها العالي ذا

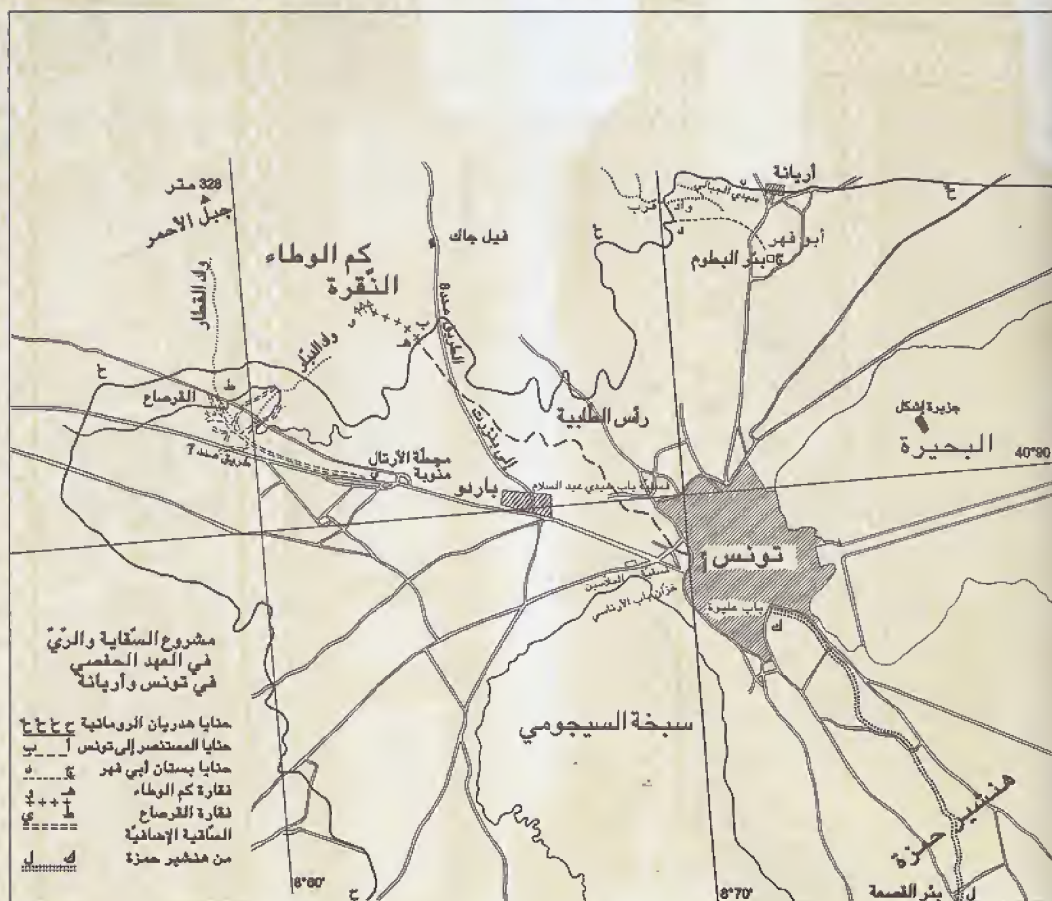
الهبوى، متباعد الأقطار مربع الفناء مجلل
داخل البستان وتؤكد أن ابن خلدون
وقد حدثنا مؤرخنا عن أنواع الأشجار
من ذلك المبراة التي تقوم بها الجوارى في
أقواس تركب بعضها بعضها وتختفي تحت
رسوم تعود إلى القرن السادس عشر أنجزها
الملك الإسباني في حملته على

JL.Poinssot et R.Lantier, (Les g
espagnole) Revue Tunisienne, 16
من الزواحي المعلقة توجد الآن في متحف

تونس في أخبار إفريقية وتونس، أن تسمية

قصه عن بستان أبي فهر ولا تعين الباحث
بستان البطوم هو البطان بطبرية (انظر

(Pellissier et Remusat (1854))
 تقيق أن أول مكتشف لموقع بستان أبي فهر
 لأثر البلاد التونسية ويؤكد أنه بمقتضى هذا



وتمثل بحثه في دراسة علمية مثبتة بالمراجع التاريخية والتقصي الميداني للأماكن جعل له عنوان «أشغال السقاية الحفصية في تونس» (Les travaux hydrauliques hafside de Tunis)

Rémusat اللذين توهُمَا أن بستان أبي فهر الذي أصبح يسمّى بستان البطّوم في القرن السّابع عشر يوجد بالبطّان قرب الجديدة اليوم. وأساء فهم نصّ محمد بن علي الرّعيني عند ترجمتهما له، وهو الذي ذكر تبدّل إسم البستان.

واستطاع سولينياك اعتمادا على بحث ميداني دقيق وبالرجوع إلى البحث عن الأعمدة المتبقية من ساقية الحنايا قرب وادي قرب في الجنوب الغربي من مدينة أريانة وبدراسة المنحدر الأرضي اعتمادا على اختصاصه كمهندس في الجيولوجيا أن يحدّد بدقة علمية مسار السّاقية الفرعية التي تزود بستان أبي فهر بالماء (انظر الخريطة الجهوية لأريانة) انطلاقا من السّاقية الأصلية المتجهة إلى المعلقة في مدينة قرطاج وهي التي تمرّ من الجنوب الغربي لمدينة أريانة، فتتخطى وادي قرب بقطعه. ثمّ تنعرج شرقا لتحاذي مقبرة سيدي الجبالي وتلتصق بمدينة أريانة (وسط المدينة حيث يوجد إلى الآن سارية قائمة يسمّيها العامة عمود اللقالق) Le pillier des cigognes ثمّ تواصل السّاقية الأصلية مسارها بين ضريحي الوليين الصّالحين



سبيدي علي الجبالي وسبيدي عبد الرحمن في اتجاه سكّرة (مرورا من دار فضال محاذية الطريق نحو العوينة).

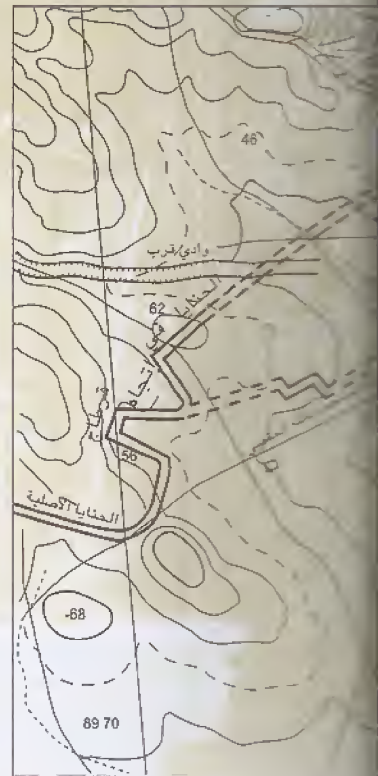
وقد عثر على ثلاث فسقيات (ب، ب1 وج) مرتبطة بهذه السّاقية الفرعية. ودورها كبح جماح الماء السّريع الدّفق في السّاقية التي تنحدر بـ 00/05,5 إضافة إلى المنعطقات الكثيرة لنفس الغرض، ثمّ لري بعض البساتين وسقاية المتساكنين (انظر الخريطة الجهوية لمنطقة أريانة). وتتكوّن المعالم المائية الحفصية في

بستان أبي فهر الذي يقع في الجنوب
1 - من الجدار العالي الذي تنتهي
2 - من فسقية مستطيلة (14م × 7م)
الغربي بشر ثلاثة هي بشر البطّوم
3 - الجابية الكبرى التي أفاض في
خصائص هذه الجابية في بستان
إن فسقية أبي فهر مستطيلة الشكل
الجنوبي المثلّ لعرضها. ولم يثبت
وتأكّدت مقاييس هذه الجابية الكبرى
التر عرضا وينتج عن كلّ هذا: 6824
مكعبا ويظهر عظم مساحتها إذا قورنت
التي بناها زيادة الله الثالث بين سبي
بالبحر (تكون تعبئتها 19.000 م² × 2م)
ماهي مواد البناء التي تتكوّن من
يفيدنا ابن خلدون في وصفه
إلى جب عميق المهوى، رصيف
الخارجي وهو من الكلس وقد تبين
ومكوّنات الجدران تتمثّل في حجارة
الحجري. ويقوّي جدران الجابية من
3,20م. والجابية مستطيلة الشكل
المترين، لذلك يقدّر أن امتلاءها يتحدّد
666 هـ / 1267 م. ويثبت شارل
«جابية الحفصية».

ومن المؤكّد أيضًا أن المستطيلة
مع عدد كبير من أفراد حاشيته
الحفصية في قصوره ببستان أبي فهر
التوحيد في القديم وفي الجديد، الصّالح
يحیی. فجاء في صفحة 289 في
الإشبيلي، الذي سمّيت باسمه المستطيلة
معجبا ببذخ عيشه وهو جالس على
ابن عصفور قائلا: «بنا وبأمثالنا».

بستان البطوم في القرن السابع عشر يوجد
وعني عند ترجمتهما له، وهو الذي ذكر

رجوع إلى البحث عن الأعمدة المتبقية من
وبداسة المنحدر الأرضي اعتمادا على
الساقية الفرعية التي تزود بستان أبي فهر
معلقة إلى المعلقة في مدينة قرطاج وهي
ثم تنعرج شرقا لتحاذي مقبرة سيدي
سارية قائمة يسميها العامة عمود
مسارها بين ضريحي الوليين الصالحين



وروا من دار فضال محاذية الطريق نحو

الساقية الفرعية. ودورها كبح جماح الماء
مضخات كثيرة لنفس الغرض، ثم لري
ريانة وتتكون المعالم المائية الحفصية في

بستان أبي فهر الذي يقع في الجنوب الشرقي من مدينة أريانة:

- 1 - من الجدار العالي الذي تنتهي إليه ساقية الحنايا بفوهتها العظيمة كما وصف لنا ذلك ابن خلدون
- 2 - من فسقية مستطيلة (14م × 7م) وبجانبها بئر، وفي شرقيها بئر ثانية وهي بئر الجوابي، وفي الجنوب الغربي بئر ثالثة هي بئر البطوم. ومن هنا جاءت التسمية الثانية لبستان أبي فهر بستان البطوم
- 3 - الجابية الكبرى التي أفاض في وصفها ابن خلدون وهي الموجودة اليوم في وسط مدينة العلوم.

خصائص هذه الجابية في بستان أبي فهر:

إن فسقية أبي فهر مستطيلة الشكل لم يبق منها قائما إلى اليوم إلا الجدار الغربي وقرابة النصف من الجدار الجنوبي الممثل لعرضها. ولم يثبت من جدارها الشرقي إلا أحد الأعمدة المربعة للجدار من خارجه (الكباش). وتأكدت مقياس هذه الجابية الكبرى بالبحث الميداني والحفريات كما يلي: 209 من الأمتار طولاً و80 متراً ونصف المتر عرضاً وينتج عن كل هذا: 16.824 متراً مربعاً في ثلاثة أمتار من العمق تقريباً، فيكون تعبئتها 475.50 متراً مكعباً ويظهر عظم مساحتها إذا قورنت بجاوية الأغلبية المستطيلة في رقادة على ثمانية أميال جنوب القيروان، وهي التي بناها زيادة الله الثالث بين سنتي 903 و909 للميلاد وتبلغ مساحتها 19.000 متر مربع وهي التي تسمى بالبحر (تكون تعبئتها 19.000 × 2م = 38.000 متر مكعب).

ماهي مواد البناء التي تتكون منها الفسقية الكبرى ببستان أبي فهر بأريانة؟

يفيدنا ابن خلدون في وصفه لبستان أبي فهر عن نوع البناء ومواده فيقول: «ينبعث من فوهة عظيمة إلى جب عميق المهوى، رصيف البناء، متباعد الأقطار، مربع الفناء، مجلل بالكلس» إنه يشير إلى الطلاء الخارجي وهو من الكلس وقد تبين بعد تحليله أنه خليط من الجير والجص ومسحوق فحم الخشب. ومكونات الجدران تتمثل في حجارة متوسطة الحجم مرصوفة بواسطة قوالب في خليط طيني من التراب الحجري. ويقوي جدران الجابية من الخارج أعمدة مستديرة يبلغ عرضها 2,35م وقد تصل في عرض الجدار 3,20م. والجاوية مستطيلة الشكل يبلغ طولها 209 أمتار في عرض 80,50 من الأمتار وقد يتجاوز عمقها المترين، لذلك يقدر أن امتلاءها يتجاوز 33.650 متراً مكعباً من الماء وقد تم إنجاز بنائها كما أسلفنا سنة 666 هـ / 1267م. ويثبت شارل منشكور Ch.Monchicourt أن هذه الجابية تسمى إلى وقت غير بعيد «جاوية الحفصي».

ومن المؤكد أيضاً أن المستنصر بالله الحفصي كان يقضي فترة طويلة من السنة في بستان أبي فهر مع عدد كبير من أفراد حاشيته من الوزراء والعلماء. وتروي لنا بعض الأخبار حياة البذخ للسلطان الحفصي في قصوره ببستان أبي فهر قرب أريانة، من ذلك ما ذكره محمد بن الخوجة في كتابه «تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد» الصادر سنة 1985 بتحقيق الأستاذين حمادي الساحلي والجيلاني بالحاج يحيى. فجاء في صفحة 289 في سياق الحديث عن العالم النحوي أبي علي بن موسى ابن عصفور الإشبيلي، الذي سميت باسمه المدرسة العصفورية بتونس العاصمة: «قال السلطان الحفصي لابن عصفور معجبا ببذخ عيشه وهو جالس على حافة جابيته برياض أبي فهر بأريانة» «لقد أصبح ملكنا عظيماً» فأجابته ابن عصفور قائلاً: «بنا وبأماننا».

ويذكر أبو عبد الله محمد بن الشّماع
سنة 861 هـ - 1457 م وحققه وطبعه
الحديث عن فضائل المستنصر بالله
بنيت السّاقية شرقيّ جامع الزّيتونة
وأبرز مبتكرات السّاقية
الميلادي ومدة ولاية المستنصر بالله
ماء الآبار بطريقة طريفة في بساتين
المنهلة. وهذه الطّريقة هي التي تستعمل
عن سلاسل من الآبار المتجاورة بقصا
منايع الماء قناة أو نفق. فيتجمع الماء
النّواعير على الطّريقة الأندلسيّة كما
لاحظ بعض الباحثين أن استعمال
الجزائر والمغرب.

وتعود هذه التّقنية إلى أرض
منذ الفتح الإسلامي عن طريق
دخلوا إفريقيّة. ونرى طريقة الفجّارة
والثفلت والجنوب الغربي من المغرب
الشرقي من مدينة قفصة. أمّا في جهة
الآبار قد عثر عليها عندما أصبحت
عرضنا لهذه الأعمال الهامة للسّاقية
بالماء الصّالح للشّراب: إلى أيّ تاريخ
بأريانة بما زغوان؟

لم يذكر لنا ابن الشّماع سنة
الحفصيّة» عند ذكره لبناء السّاقية
بوظيفتها إلى حدّ عصره أم توقّفت
الحنايا لتزويد مدينة تونس وجاية
666 هـ / 1267 م (وسال الماء فيهم
وقد ذكرنا شهادة محمّد

لتونس في طريقه إلى الحجّ. وكانت
المزودة للجامع الزّيتونة ولمدينة تونس



بقايا فسقية بستان أبي فهر بضاحية أريانة قبل أن تبنى فوقها مدينة العلوم الحالي

فكانت هذه العبارة النّاطقة بإعجاب الشّيخ بنفسه سببا في القضاء عليه غرقا بتلك الجابية. وفي
ذلك ما يدلّ على أن أهل العلم أبعد النّاس عن السّياسة. ولوقال له مثلا: «نعم إنّما ذلك بحسن تدبيرك
وحصافة رأيك الذي جعلنا نرتع في بحبوحة نعمتك ونخدم العلم على ما يرضي الله ويرضيك» لكان
الجزء شيئا آخر ولكنّها أنفاس معدودة نعوذ بالله من هفوات اللّسان.

ومما يذكر أن السّلطان الحفصي كلّف بعض خدمه ليغرقوا ابن عصفور في الجابية بسبب قوله فرموه
في الماء، فكلّمّا رفع رأسه دفعوه إلى أسفل حتى هلك في الجابية. ويثبت بعض المؤرّخين وجود ثكنة لجيش
الحراسة لقصور السّلطان بأريانة في الجهة الغربيّة من بستان أبي فهر على بعد كيلومترين من جنوب جبل
النّحلي. ويتكوّن جند الحراسة من المرتزقة النّصارى، لذلك بقي مقرهم يسمّى إلى وقت غير بعيد «برج
العلوج» جمع علج وهو الجندي النّصراني المرتزق في الحراسة الخاصّة للسّلطان. فإنّ سانية أبي فهر وجابية
الحفصي وبرج العلوج تثبت وجود قصور المستنصر بالله الحفصي انطلاقا من المكان الحالي لمدينة العلوم غير
بعيد من المعهد الوطني للأرصاد الجويّة. واحتلّت منطقة أريانة النّقطة المركزيّة لقصور المستنصر بالله الحفصي
وحاشيته حيث البساتين الجميلة. وقد أوردنا شيئا من وصفها في كتب بعض المؤرّخين، كما نوّه الشّعراء
بأعمال السّلطان الحفصي وبما قام به في جلب المياه لبستان أبي فهر بأريانة ولجايبته المشهورة من ذلك قول أبي
الحسن حازم القرطاجنيّ (توفي سنة 684 هـ / 1386 م) مخاطبا السّلطان المستنصر بالله الحفصي: (الرّجز).

أجريت من عين ومن عين بها	نهرين قد عمّا البرايا والبرى
وكفّرت طاعته لمؤمّن	طاعته لكافر فيما مضى
وانساب في قصر أبي فهر الذي	بكلّ قصر في الجمال قد زرى
قصر تراءى بين بحر سلسل	وسجسج من الظّلال قد ضفا

ويذكر أبو عبد الله محمد بن الشَّامع في كتابه «الأدلة البيِّنة النُّورانيَّة في مفاخر الدَّولة الحفصية» الذي ألفه سنة 861 هـ - 1457 م وحققه وطبعه الأستاذ المرحوم عثمان الكعك سنة 1355 هـ / 1936 م في سياق الحديث عن فضائل المستنصر بالله الحفصي مايلي: «ففي سنة ثمان وأربعين (648 هـ / 1250 - 51 م) بنيت السَّاقية شرقيَّ جامع الزَّيتونة شرفه الله بذكره».

وأبرز مبتكرات السَّاقية والرِّي التي يرجعها بعض الباحثين إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ومدة ولاية المستنصر بالله الحفصي (647 هـ / 1249 م - 675 هـ / 1277 م) تتمثل في استخراج ماء الآبار بطريقة طريفة في بساتين أريانة وخاصة في منطقة سكرة وجهة الثَّقرة في (كمّ الوطاء) بغربيّ المنبيلة. وهذه الطَّريقة هي التي تسمَّى الفجَّارة (أو الفقَّارة حسب النُّطق بها عند الفلاحين)، وهي عبارة عن سلاسل من الآبار المتجاورة يفصل بين كلِّ اثنين منها مائة متر تقريبا ويجمعها من أسفل في حدود منابع الماء قناة أو نفق. فيتجمع الماء في البئر الأخيرة بغزارة، وقد يطفو على سطح الأرض دون استعمال التَّواعير على الطَّريقة الأندلسية كما كانت منتشرة بكثرة في آبار البساتين بجهة أريانة منذ عهد قريب. وقد لاحظ بعض الباحثين أنَّ استعمال الفجَّارة أو الآبار المتجاورة وهي من ثلاثة إلى خمسة قد وجد في صحراء الجزائر والمغرب.

وتعود هذه التَّقنية إلى أرض فارس (إيران اليوم) ولعلَّها قد جلبت إلى بلاد المغرب وإلى منطقة أريانة منذ الفتح الإسلامي عن طريق مختصِّين في السَّاقية والرِّي وحفر الآبار من الجند الخراسانيين الذين دخلوا إفريقية. ونرى طريقة الفجَّارة في الرِّي ما تزال معروفة في جهات من أرض المغرب: فزان، وتوات، والتَّنقلت والجنوب الغربي من المغرب. أمَّا في تونس فتستعمل طريقة الفجَّارة للرِّي في واحة القطار بالجنوب الشرقي من مدينة قفصة. أمَّا في جهة أريانة فقد أبطل العمل بها. وذكر لنا أنَّ بعض السَّلاسل من هذه الآبار قد عثر عليها عندما أصبحت بساتين سكرة أحياء سكنية. ويبقى سؤال يتردَّد على الذَّهن بعد عرضنا لهذه الأعمال الهامة للسَّاقية والرِّي في العهد الحفصي وتزويد كلِّ من مدينة تونس ومدينة أريانة بالماء الصَّالح للشَّراب: إلى أيِّ تاريخ بقيت ساقية الحنايا تقوم بوظيفتها في تزويد تونس وبستان أبي فهر بأريانة بماء زغوان؟

لم يذكر لنا ابن الشَّامع سنة 861 هـ = 1467 في كتابه «الأدلة البيِّنة النُّورانيَّة في مفاخر الدَّولة الحفصية» عند ذكره لبناء السَّاقية شرقي جامع الزَّيتونة سنة 648 هـ = 1251 م هل أنَّها ما تزال تقوم بوظيفتها إلى حدِّ عصره أم توقَّفت عن العمل. وقد ثبت لدينا أنَّ ما بناه المستنصر بالله الحفصي أي فرعي الحنايا لتزويد مدينة تونس وجابية بستان أبي فهر بأريانة، قد تمَّت الأشغال لتأسيسهما سنة 666 هـ / 1267 م (وسال الماء فيهما في 21 سبتمبر 1267 م).

وقد ذكرنا شهادة محمَّد العبدري الحياحي الرحَّالة المغربي في تأليفه «الرَّحلة المغربية» أثناء زيارته لتونس في طريقه إلى الحج. وكانت إقامته في تونس سنة 688 هـ = 1289 م وأكَّد أنَّ كلامن ساقية الحنايا المزوَّدة للجامع الزَّيتونة وللمدينة تونس بالماء من جبل زغوان وكذلك ساقية أبي الفهر بأريانة مازالتا تقومان



في القضاء عليه غرقا بتلك الجابية. وفي
مثلا: «نعم إنَّما ذلك بحسن تدبيرك
علم على ما يرضي الله ويرضيك» لكان

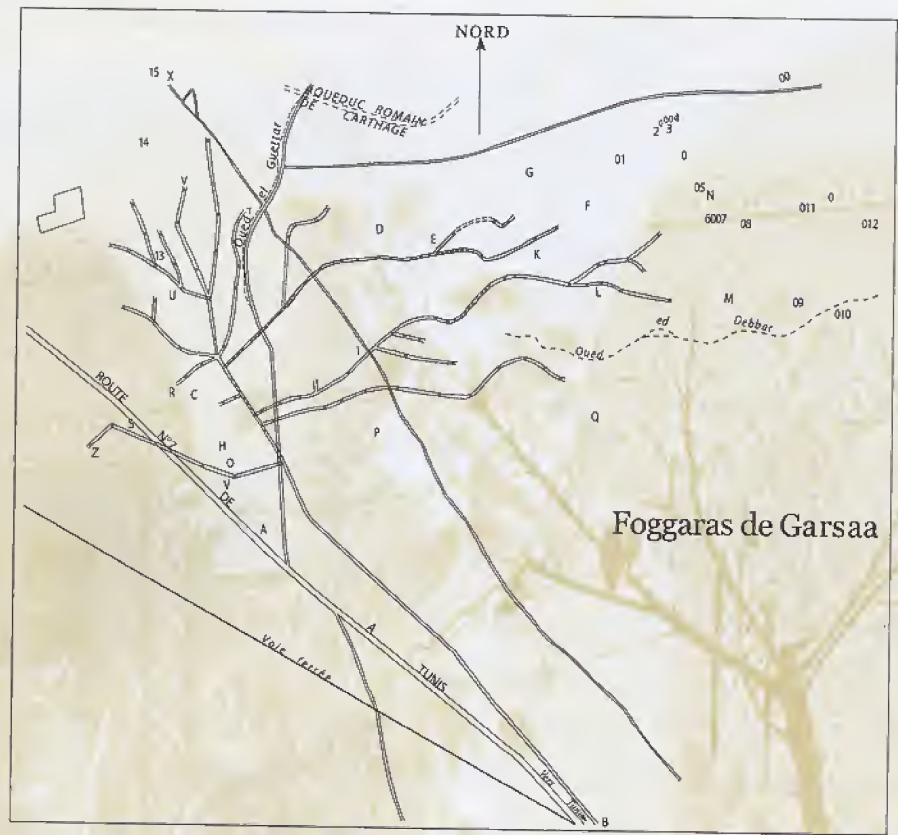
والنَّصفور في الجابية بسبب قوله فرموه
وبيت بعض المؤرِّخين وجود ثكنة لجيش
بها على بعد كيلومترين من جنوب جبل
مقرَّهم يسمَّى إلى وقت غير بعيد «برج
خاصة للسُّلطان. فإنَّ سانية أبي فهر وجابية
مطلقا من المكان الحالي لمدينة العلوم غير
المركَزية لقصور المستنصر بالله الحفصي
في كتب بعض المؤرِّخين، كما نوه الشَّعراء
بأريانة وجابيته المشهورة من ذلك قول أبي
السُّلطان المستنصر بالله الحفصي: (الرَّجَز).

ين قد عمَّا البرايا والبري
كافر فيما مضى
قصر في الجمال قد زرى
حسح من الظَّلال قد ضفا

عديدة. ولم يمكنه رد ذلك على ما
وتفاهته بالإضافة إلى غيره» ويظهر
ما زالت تقوم بوظيفتها في سنة 688 هـ
معمورة وتستأثر جابيتها الكبيرة بـ
الزيتونة. ولا يصلها جميعاً إلا عشر كم
ونظيف إلى ذلك شهادة عبد
وصف لنا تدفق المياه في جابية بستان
التاريخ (كتاب العبر وديوان المبتدئين
الأكبر). وجاء حديثه في سياق ذكر
أدخل تنقيحات في تأليف كتابه في
(772هـ - 796هـ / 1370م - 1394م)
سنة 808هـ / 1406م.

ويبدو من وصفه لتدفق الماء
ومن دقة تعداده لأشجار البستان، وما
على المكان بالحضور. وهذا ليس غريباً
حاشية السلطان أبي العباس الحفص
وقصور بستان أبي فهر لا تزال حيث
عن العمل وانقطع تدفق الماء منها
نجيب تخميناً عن هذا السؤال
هامين: 1 - «تاريخ الدولتين» للزرك
الشماع.

لكن جميع المراجع التي عدا
أبي دينار لا تسعنا بالجواب الصحيح
أريانة وخاصة قصور المستنصر بالله في
والري وهي المجلوبة من جبل العرائس
الهندسة المائية والجيولوجية، ومن أبرز
للأشغال الحفصية هندسة وإنجاز، فإن
زكرياء الأول ومواصلة بعده الأمير
الحضاري في كل الميادين - قد أقدموا
تدل على سياسة متميزة في عدلها ونزاهتها
لكن هذه المشاريع التي أنجزوها في



بوظيفتهما. وقد انتقد قلة الماء بتونس وازدحام الناس للتزود مما توصله الساقية إلى عاصمة الحفصيين على
عكس وفرة كمية الماء المتدفقة في بستان أبي فهر بأريانة. وانتقد العبدري استئثار الأمير الحفصي بأكبر قسط
من الماء لقصوره بجوار مدينة أريانة.

وأكد هذا التفاوت في كمية الماء بين ما تناله العاصمة تونس وبستان أبي فهر بأريانة المهندس الباحث
مارسال سولينياك (Marcel Solignac)، وقدّر هذا التفاوت في كمية الماء اعتماداً على اتساع مجرى
الساقيتين بأن ما يزود الحاضرة تونس هو عشر الكمية الواصلة إلى جابية بستان أبي فهر. وقدّر كذلك أن
ماتحويه الجابية يعادل مرتين ونصف ما يخرج من عين زغوان في اليوم، أي قرابة 50.475 متراً مكعباً. وهذه
الكمية الكبيرة المتدفقة من أعلى جدار الحنايا ببستان أبي فهر بأريانة هي التي أثارت إعجاب عبد الرحمن
بن خلدون. وقد سجل لنا ذلك في كتاب العبر في الجزء السادس.

وسجل لنا العبدري في نهاية القرن الثالث عشر ما كان فيه سكان تونس العاصمة من نقص للماء
الصالح للشرب في قوله: «وأما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلا
رشحاً يسيراً سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب من الرصاص، ويستقي منها الغريباء ومن
ليس في داره ماء، ويكثر عليها الازدحام». وله بعد ذلك وصف مطول لبناء الحنايا الرومانية. وبلغت انتباهنا
قوله المتعلق بترميم الحنايا «وقد كان بعض الأمراء وهو أخو القائم بها الآن احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا
بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله، فأقام في عملها مجتهداً بأقصى ما يمكنه أعواماً

عديدة. ولم يمكنه ردّ ذلك على ماكان عليه ولامايقرب منه، بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاهته بالإضافة إلى غيره» ويظهر من شهادة الرحالة المغربي محمد العبدري الحياحي أنّ ساقية الحنايا مازالت تقوم بوظيفتها في سنة 688 هـ / 1289 للميلاد وأنّ قصور الحفصي ببستان أبي فهر بأريانة مازالت معمورة وتستأثر جابيتها الكبيرة بأوفر قسط من الماء على حساب مدينة تونس وسكانها وخاصة جامع الزيتونة. ولا يصلها جميعا إلا عشر كمّية الماء التي تزود قصور السلطان وحاشيته بأريانة.

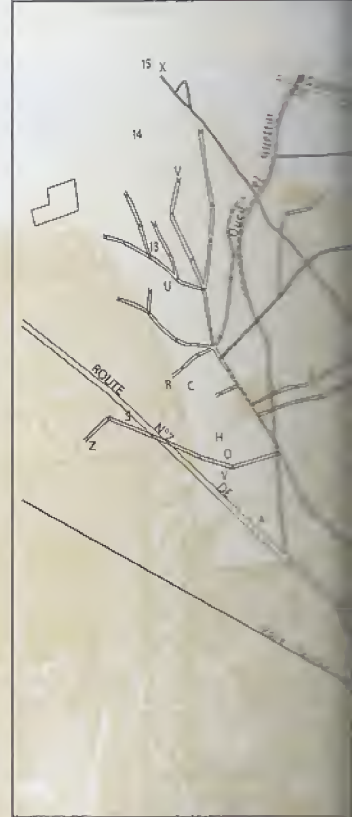
ونظيف إلى ذلك شهادة عبد الرّحمان بن خلدون في النّصف الثّاني من القرن الرابع عشر. وقد وصف لنا تدفّق المياه في جابية بستان أبي فهر بأريانة. وقد أوردنا هذا النّصّ من الجزء السادس في كتاب التّاريخ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). وجاء حديثه في سياق ذكر أخبار المستنصر بالله الحفصي وأعماله العمرانيّة الكبيرة. ونعلم أنّه أدخل تنقيحات في تأليف كتابه في التّاريخ وهو في تونس قبل أن يقدّمه إلى السلطان أبي العباس الحفصي (772هـ - 796هـ / 1370م - 1394م) وقبل أن يغادر تونس نهائيا إلى مصر حيث كانت وفاته في القاهرة سنة 808هـ / 1406م.

ويبدو من وصفه لتدفّق الماء في بستان أبي الفهر من أعلى الحائط الحامل للساقية من أعلى الحنايا، ومن دقّة تعداده لأشجار البستان، ومن إعجابه بروعة مانقل إلينا، أنّه كان شاهدا بالعين لكلّ مانقل ومطلعا على المكان بالحضور. وهذا ليس غريبا إذ كان ابن خلدون من المقرّين من السلطان وواحدا من أفراد حاشية السلطان أبي العباس الحفصي. وتأكّد من شهادته أنّ ساقية الحنايا الجالبة لماء زغوان إلى أريانة وقصور بستان أبي فهر لا تزال حينئذ في القرن الرابع عشر، عصر ابن خلدون، تقوم بوظيفتها. فمتى تعطلت عن العمل وانقطع تدفّق الماء منها ؟

نجيب تخميننا عن هذا السؤال باستقراء الوضع السياسي للدولة الحفصية وبالرجوع إلى مرجعين هامّين: 1 «تاريخ الدولتين» للزركشي، و- 2 «الأدلة البيّنة الثّورانية في مفاخر الدولة الحفصية» لابن الشّمع.

لكنّ جميع المراجع التي عدنا إليها بما في ذلك المتأخّرة منها عن العهد الحفصي ككتاب المؤنس لابن أبي دينار لا تسعفنا بالجواب الصّحيح عن تاريخ تعطلّ ساقية الحنايا عن وظيفتها في تزويد مدينة تونس وحدائق أريانة وخاصة قصور المستنصر بالله في بستان أبي فهر بأريانة بتلك الكمّيّات الهائلة من الماء الصّالح للشّراب والرّي وهي المجلوبة من جبل العرائس (Les Nymphées) من زغوان. ولئن شهد جلّ الباحثين المختصّين في الهندسة المائيّة والجيولوجيّة، ومن أبرزهم مارسال سولنيك (Marcel Solignac)، بالخصائص التّقنيّة العالية للأشغال الحفصيّة هندسة وإنجازا، فإنّ ما يلاحظ أنّ السّلاطين الحفصيّين بدءا من الأمير الحفصي الثّاني أبي زكرياء الأوّل ومواصلة بعده الأمير الحفصي الثّالث المستنصر بالله - وقد كان حكمه ممثلا لقمة الازدهار الحضاريّ في كلّ الميادين - قد أقدموا على مشاريع لتزويد السّكان بما يلزمهم من الماء ذات قيمة ونبيلة الأهداف، تدلّ على سياسة متميّزة في عدلها وتأسيسها للعمران في أبرز مظاهر الرقيّ والقوّة.

لكنّ هذه المشاريع التي أنجزوها في تزويد مدينتي تونس وأريانة (بستان أبي فهر) بالماء الصّالح للشّراب والرّي



توصلة الساقية إلى عاصمة الحفصيين على
عبدري استنثار الأمير الحفصي بأكبر قسط

وبستان أبي فهر بأريانة المهندس الباحث
في كمّية الماء اعتمادا على اتّساع مجرى
في جابية بستان أبي فهر. وقدّر كذلك أنّ
اليوم، أي قرابة 50.475 مترا مكعبا. وهذه
ريانة هي التي أثارت إعجاب عبد الرّحمان

فيه سكّان تونس العاصمة من نقص للماء
لقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلاّ
ب من الرّصاص، ويستقي منها الغرباء ومن
مطول لبناء الحنايا الرّومانية. وبلغت انتباهنا
تم بها الآن احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا
م في عملها مجتهدا بأقصى مايمكنه أعواما

رغم قيمتها الفنية والهندسية العالية أصبحت عرضة للتوقف والتعطّل المستمرين في عهد المستنصر بالله نفسه وكذلك في عهد أبي عمرو عثمان الأمير الحفصي العشرين (1435 - 1467م) خاتمة العقد لأمرأ بني حفص. وفي مدة حكمه الطويل تعددت المشاريع الحفصية لجلب المياه لحاضرة تونس التي بلغت مائة ألف ساكن وسبق أن ذكرنا ملاحظة الرحالة المغربي محمد البغدري الذي انتقد قلّة الماء في تونس العاصمة وكثرته في بستان السلطان في قصوره بأريانة. وقدّر مارسال سولينيك هذه الكميّة الوافرة من الماء بعشرة من أحد عشر 11/10 من دفع عين الماء من زغوان فتكون كميّة الماء الواصلة إلى تونس بين 245 مترا مكعبا إلى 1272 من الامتار المكعبة أي بين لبتين فاصل خمسة وأربعين (2,45 ل) وإثني عشر لترا فاصل سبعة (12,7 ل) لكل فرد من السكّان.

ومن مزايا الأعمال التي أنجزها الأمير الحفصي أبو عمر عثمان هو تحقيقه لحفر آبار الفجّار وتزويد عاصمة تونس بماء «كمّ الوطاء» من الجهة الواقعة في الجنوب الغربي لمدينة أريانة غير بعيد عن قرية المنهلة. وعوّض بذلك النقص المائي الذي استأثر به قصر أبي فهر بأريانة، فأمر بفصل الساقية الآتية من باردو عن الساقية الآتية من النقرة. وإنّ هذه الإصلاحات المتواصلة للمشاريع المائية في العهد الحفصي تثبت أنّ ساقية الحنايا بفرعها إلى تونس وإلى أريانة (بستان أبي فهر) كانت صالحة إلى نهاية القرن الخامس عشر (عهد الأمير أبي عمرو عثمان الحفصي). ولا يكون توقّفها بصفة نهائية كما نرى إلّا في بداية القرن السادس عشر مع زحفة الإسبان بقيادة الملك شارل كان سنة 1535 مع ما نعلم من تخريب أصاب البلاد وظلم شتت العباد وأتى على مظاهر الحضارة وقوّض أسس العمران.

ولكن لسائل أن يسأل اليوم: ماذا بقي من كلّ المعالم والمواقع الحفصية التي بذلنا جهدا كبيرا في استقراء الوثائق التاريخية لتحديدّها في مظهرها وأماكنها وخاصّة في الوظائف العمرانية التي قامت بها ؟ فلقد تأكّدنا من وجود قصور المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277) في بستان أبي فهر بجانب أريانة وما توفر فيها من أبهة وجمال رائع بجايبتها العظيمة والأجنّة الغنّاء حولها. ولقد كان السلطان يقضي سهرات تحت الخيام في فصل الربيع في جزيرة شكلي وسط بحيرة تونس ليتمتّع بجمال هذه القصور من بعيد. وثبت لنا وجود ثكنة لجيش الحراسة لقصور السلطان بأريانة في الجهة الغربية من بستان أبي فهر على كيلو مترين من جبل النحلي جنوبا وتسمّى برج العلوج. كما ركّزنا المخطّط الدقيق لمسار ساقية الحنايا من وادي قرب إلى جابية أبي فهر. لكنّ يد الزّمان قد أتت على هذه المعالم فأمّحت مع الأيام وقد أوصلنا البحث إلى تحديد مواقعها وتقديم ما أمكن منها في صور تؤسس ما كان منها في واقع الأمر.

ويرى بعض الباحثين أنّ القصور الحفصية تمتدّ إلى حدود روابي قمّرت المطلّة على البحر. ومنهم من يذهب به الافتراض إلى أنّ «قصر ابن عمّار» الذي كان قائما في حدود الأربعينات من القرن العشرين قرب مصلحة المزروعات التي تحوّلت إلى المدرسة العليا للفلاحة قد بني على أنقاض أحد القصور الحفصية الرّائعة البناء والتّزييق في عهد ازدهارها في القرن الثالث عشر للميلاد والقرن الرابع عشر كذلك إذ كان الأمير الحفصي يخرج منه للتفّسّح في البحر والإقامة في جزيرة شكلي وسط البحيرة حسب ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار»، فينعم برؤية قصوره وبساتينها من بعيد.

ولاشكّ أنّ هذه القصور الحفصية سولينيك أنّه زار صحبة الباحثين (يونس) على ملك أحد الفرنسيين هو السيد قسطنطين جابية بستان أبي فهر لها 32,15 م الماء ويسمّيها العامّة من الفلاحين الفجّارة أو الفقارة المتتالية في سلاسل الأخيرة التي يعلو مستوى الماء فيها من هذا تواصل طريقة الرّيّ وسيلان ويذهب أحد الباحثين وهو كانت منتشرة في بساتين سكرة قرب يحدّثنا عن ماض معماري مجيد يرخا على حافة الطريق رقم 13 وقد أهداه أحمد باي علفية أي حظيّة مجلوبة من قبيل الاستقلال. وإلى جانب قصر الخزينة في عهد أحمد باي سنة 1850 تحملان تاجا من الحديد المشبك على أحد القصور الحفصية.

ونخصّص فصلا فيما سيأتي لأريانة قد اشتهرت بأبهى القصور وأجمل فمن المعلوم أنّ السّاقية والرّيّ النقطة المركزيّة في السياسة الحفصية والنمو العمراني وازدهار الصّناعات وقد ركّزنا اهتمامنا على أهمّ أمرائها وهو المستنصر بالله الحفصي ساقية الحنايا. وما من شكّ أنّ فترة (الخامس) سنة 1535 للميلاد قد شاهد التخريب، فاستعملت صخوره لبناء سكنه الملك الإسباني طيلة إقامته في ودخلت البلاد في مرحلة الأتراك انتهت بمعركة حلق الوادي واجتماعيّة لم تكن تعرفها من قبل.

المتنصرين في عهد المتنصر بالله نفسه
(1467م) خاتمة العقد لأمرأى بني حفص.

المياه لحاضرة تونس التي بلغت مائة ألف
الذي انتقد قلّة الماء في تونس العاصمة
هذه الكميّة الوافرة من الماء بعشرة
للماء الواصلة إلى تونس بين 245 مترا
سنة وأربعين (2,45 ل) وإثني عشر لترا

عثمان هو تحقيقه لحفر آبار الفجار وتزويد
في مدينة أريانة غير بعيد عن قرية المنهلة.
قاهر بفصل الساقية الآتية من باردو عن
شارع المائنة في العهد الحفصي ثبت أن
تصالحة إلى نهاية القرن الخامس عشر
هوية كما نرى إلا في بداية القرن السادس
ما تعلم من تخريب أصاب البلاد وظلم

الواقع الحفصية التي بذلنا جهدا كبيرا في
الوثائق العمرانية التي قامت بها ؟
(1277) في بستان أبي فخر بجانب أريانة
حولها. ولقد كان السلطان يقضي سهرات
تنتع بجمال هذه القصور من بعيد.

ريانة في الجهة الغربية من بستان أبي فخر
ساقية الحنايا
هذه المعالم فامتحت مع الأيام وقد أوصلنا
ما كان منها في واقع الأمر.

روابي قمرت المطة على البحر. ومنهم
في حدود الأربعينات من القرن العشرين
بني على أنقاض أحد القصور الحفصية
للميلاد والقرن الرابع عشر كذلك إذ كان
كفي وسط البحيرة حسب ابن فضل الله
ها من بعيد.

ولاشك أن هذه القصور الحفصية كانت كثيرة حول مدينة أريانة إذ يثبت لنا المهندس مارسال
سولينياك أنه زار صحبة الباحثين (بوانسو Poinssot) وجورج مارسلي Georges Marçais ضيعة بسكرة
على ملك أحد الفرنسيين هو السيد قلنقو Galongau، ولا حظوا وجود جابية مبنية منذ العهد الحفصي على
نمط جابية بستان أبي فخر لها 32,15 م طولاً و30,15 عرضاً، ويقدر امتلاؤها بما قدره 1248 متراً مكعباً من
الماء ويسمّيها العامة من الفلاحين المجاورين بجابية الحفاصة. ومن خصائص تعبئتها أنها تقع بطريقة آبار
الفجارة أو الفقارة المتتالية في سلاسل أو خطوط انحدار كما وصفنا ذلك آنفاً. وتعبئة الجابية تقع من البئر
الأخيرة التي يعلو مستوى الماء فيها جدار الجابية. ويغلق المجرى المائي ببوابة على طريقة أرخميدس. ويستنتج
من هذا تواصل طريقة الريّ وسيلان الماء التي أخذها الحفصيون عن سابقيهم من الرومان.

ويذهب أحد الباحثين وهو جان دنتوار Jean d'Anthouard إلى أن العديد من القصور الحفصية
كانت منتشرة في بساتين سكرة قرب أريانة. وعلى أنقاضها بني برج أو قصر البكوش الذي مازال قائماً
يحدثنا عن ماضٍ معماري مجيد بزخارفه الرائعة وتزيق جدرانه البديع. كما بني كذلك قصر رافو Raffo
على حافة الطريق رقم 13 وقد أهدها أحمد باي المشير الأول إلى وزيره الكونت رافو وهو خاله إذ كانت أمّ
أحمد باي علجية أي حظية مجلوبة من بلاد التنصاري. ويوجد رسم لرافو رأينا معلقاً في قاعة جلوس الباي
قبيل الاستقلال. وإلى جانب قصر رافو بأريانة وغير بعيد منه كان يوجد قصر إيلي شمّامة، وكان رئيس
الخزينة في عهد أحمد باي سنة 1850. ولم يبق من هذا القصر إلى عهد بعيد سوى ساريتي باب الدخول
تحمّلان تاجاً من الحديد المشبك عثرنا على صورة لهما. ولعلّ هذا القصر قد شيّد هو الآخر على أنقاض
أحد القصور الحفصية.

ونخصّص فصلاً فيما سيأتي لوصف ما تبقى من هذه القصور بصفة مدققة ومستفيضة. فبساتين
أريانة قد اشتهرت بأبهى القصور وأجملها قبل أن يأتي عليها الزحف العمراني الحالي ويقضي على وجودها.
فمن المعلوم أن الساقية والريّ ودورهما في إرواء سكّان المدن وتزويد المزارع والفلاحين بالماء قد كانا
النقطة المركزية في السياسة الحفصية وقد مثلاً النقطة الإيجابية في ازدهار الحضارة الحفصية وقاما بدور هام في
النمو العمراني وازدهار الصناعات والفلاحة في الحاضرة تونس وما حولها وفي مختلف المدن داخل البلاد.
وقد ركّزنا اهتمامنا على أهمّ معلم واكب ازدهار الدولة الحفصية وتألّق نجم حضارتها بدءاً من ثالث
أمرائها وهو المتنصر بالله الحفصي (1249-1277) إلى حين قرب أفول نجم هذه الدولة، وهذا المعلم هو
ساقية الحنايا. وما من شك أن فترة احتلال الإسبان عندما دخلوا البلاد بقيادة ملكهم شارل كان
(الخامس) سنة 1535 للميلاد قد شهدت توقّف هذا المعلم الإروائي الضخم عن العمل، فامتدّت إليه يد
التخريب، فاستعملت صخوره لبناء حصن حلق الوادي المعروف بالكراكة وبناء قصر البستيون الذي
سكنه الملك الإسباني طيلة إقامته في تونس، ومكانه هو سفارة فرنسا اليوم بباب البحر.

ودخلت البلاد في مرحلة الانحلال الحضاري والتقهقر العمراني والصراع العنيف بين الإسبان
والأتراك انتهت بمعركة حلق الوادي الحاسمة سنة 1574 للميلاد بين الطرفين وأدخلت في فوضى سياسية
 واجتماعية لم تكن تعرفها من قبل.

ترميم ساقية الحنايا في العهد الحسيني:

ويسعفنا البحث واستقصاء المراجع في تتبع تاريخ ساقية الحنايا ببعض المعلومات تفيدنا بترميمها من جديد وإعادة وظيفتها وتمكين سكّان مدينة تونس من ماء زغوان بواسطتها وذلك بعد سقوط الدولة الحفصية وانتهاء الاحتلال الإسباني للبلاد التونسية. لكننا لا نظفر بصفة دقيقة بوصف ضاف لما أدخل على ساقية الحنايا من ترميم أنقذها مرة أخرى من الإهمال والإتلاف والتوقف عن سقاية سكّان الحاضرة تونس. فقد أصلحت وأعيدت لوظيفتها في مرتين الأولى في القرن الثامن عشر، والثانية في القارن التاسع عشر وبالتحديد في سنة 1859 أي في عهد المشير الثاني محمد باي (1855 - 1859).

يبادرنا في هذا الصدد الباحث الفرنسي مارسال إمريت، في مقال بعنوان «الدخول الصناعي للبلاد التونسية»، صادر في المجلة الإفريقية سنة 1952 في صفحة 199 بقوله: «إن الحنايا الرومانية البديعة التي يبلغ طولها 132 كلم، توصل مياه جبل زغوان إلى العاصمة. وقد قطعها الغزاة مرّات عديدة، ووقع ترميمها في القرن الثالث عشر، وألحقت بها الساقية الإضافية المارة من مدينة باردو. ثم تعطلت لانعدام الصيانة. وهذا الجزء الأخير وهو الذي أنجزه المستنصر بالله الحفصي قد وقع إصلاحه في القرن الثامن عشر ولكن دفعه لم يعد سوى أربعة مترات مكعبة من الماء في اليوم. وفي سنة 1859 أقدم محمد الصادق باي على إعادة بنائه وتحسين مردوده. فأصبح صبيب ساقية الحنايا المجددة، بعد سنتين من ذلك التاريخ، سبعة عشر ألفا من الأمتار المكعبة من الماء في اليوم (17.000 م³).

"Le magnifique aqueduc romain, long de 132 Kilomètres, qui conduisait à la capitale les eaux de Jebel Zaghouan, plusieurs fois coupé par les envahisseurs, restauré au XIII^e siècle, et complété par celui du Bardo, avait péri, faute d'entretien. Le dernier œuvre remarquable d'Al-Mustansir, avait été restauré au XVIII^e siècle, mais n'avait plus qu'un débit quotidien de 4 mètres cubes. En 1859 Mohamed-es Sadok s'était décidé à le reconstruire et à l'améliorer... Deux ans après, le nouvel aqueduc débitait 17.000 mètres cubes d'eau par jour."

Marcel Emerit : La pénétration industrielle en Tunisie. (Revue Africaine 1952)

نستنتج من هذا المقال أن ساقية الحنايا قد حظيت بترميم في القرن الثامن عشر دون دعم لهذا القول ويفهم من هذا الزعم أن الترميم خصّ فرع الساقية الحفصية المارة من مدينة باردو فحسب، بمقتضى الصبيب الضئيل الذي يسيل منها (4 أمتار مكعبة من الماء). ونستنتج من هذا المقال أيضاً أن محمد الصادق باي، المشير الثالث هو الذي أقدم في سنة 1859 على إعادة بناء ساقية الحنايا وتحسين مردودها ليصبح دفع الماء فيها سبعة عشر ألفا من الأمتار المكعبة من الماء في اليوم. وهذا الزعم الثاني يبطله أحمد بن أبي الضياف في الجزء الرابع من كتاب الإنحاف، في تحليل ضاف «للخبر عن ماء زغوان، الشبيه بالسيل العرم على هذه الإيالة» بدءاً من صفحة 261 وهو كما نعلم شاهد عيان لهذا الحدث ومطلع مباشر لكامل أطواره، إذ يثبت أن قرار ترميم ساقية الحنايا وإعادة لوظيفتها قد كان بإرادة محمد باي، المشير الثاني (1855 - 1859) وبإيعاز من قنصل فرنسا ليون روش (Léon Roches) لما له من نفع مادي خاص له في هذه العملية. فيقول: «كان في ذي الحجة من السنة 1275 هـ (جويلية 1859 م) (مع العلم أن محمد

الصادق باي لم يتول الحكم إلا في 2
أحمد بن أبي الضياف قوله: «قدم
وتعلّق بقنصل الفرنسي ليون روش
يمكن وصوله بلا كلفة إلى الحاضرة
أنابيب من معدن يؤتى بها من فرنسا
ويقال إنه ساهم القنصل بحمل
الماء، والحرص على إتمام العقد حرص
كما تقدّم، غير معتبر لحظته، حتى
فأتى الباي مرة وقال له: «من ساعد
وحلق الوادي والمرسى بأيسر مصروف
وتردّد على الباي في ذلك
عندما يصل إلى الحاضرة تهرع الناس
عن مصانع الماء، ويشترى منه من يريد
وتحصل من ثمن ما يبيع من الماء أصعب
ولما سمع الباي ألفاظ نحو هذا
الرؤوس، إذ كانت مناط نظره، لا سيما
تستثقله النفوس الإنسانية، لا سيما
الكافر إلجأوه إلى الدخول في الملة التي
ورأها صلاحاً، وأكثر مصارع الرجال
وكان هذا الباي جدّي الشجيرة
فكر ولا تبصّر في العواقب.

ومن الغد جمع رجال دولته
واحد، وهو المتبادر على البديهة، ويشترى
حضر الموطن مع القنصل، ورأى شره
الإطلاق كما تقدّم في العقد الأول
وأما الوزير خير الدين فإنه
فسكت، وربما أعان إعانة من يعلم أن
وحاصل ما قال له رجال الدولة
شاكلته، إن هذه الحاضرة أتفق تأسيسها
ولا تخلو دار من بشر للاستعمال في غير
ماء المطر ما يكفي لوصيلتها، وسقايها

الحنايا ببعض المعلومات تفيدنا بترميمها من
عوان بواسطتها وذلك بعد سقوط الدولة
عثر بصفة دقيقة بوصف ضاف لما أدخل
تلايف والتوقف عن سقاية سكان الحاضرة
القرن الثامن عشر، والثانية في القرن التاسع
بي (1855-1859).

في مقال بعنوان «الدخول الصناعي للبلاد»
يقوله: «إن الحنايا الرومانية البديعة التي
قطعها الغزاة مرّات عديدة، ووقع ترميمها
مدينة باردو. ثم تعطلت لانعدام الصيانة.
وقع إصلاحه في القرن الثامن عشر ولكن
في 1859 أقدم محمد الصادق باي على
بعد سنتين من ذلك التاريخ، سبعة عشر

"Le magnifique aqueduc romain, les
eaux de Jebel Zaghouan, plusieurs
siècle, et complété par celui du Ba
remarquable d'Al-Mustansir, avec
qu'un débit quotidien de 4 millions
décidé à le reconstruire et à l'a
débitait 17.000 mètres cubes d'
Marcel Emerit : La pénétration

في القرن الثامن عشر دون دعم لهذا القول
الجزء من مدينة باردو فحسب، بمقتضى
ونستنتج من هذا المقال أيضاً أن محمد
إعادة بناء ساقية الحنايا وتحسين مردودها
في اليوم. وهذا الزعم الثاني يبطله أحمد
في «الخبر عن ماء زغوان، الشبيه بالسيل
في عيان لهذا الحدث ومطلع مباشر لكامل
قد كان بإرادة محمد باي، المشير الثاني
(Léon) لما له من نفع مادي خاص له في
(جويلية 1859م) (مع العلم أن محمد

الصادق باي لم يتول الحكم إلا في 22 سبتمبر 1859 تاريخ وفاة أخيه المشير الثاني محمد باي). ويواصل
أحمد بن أبي الضياف قوله: «قدم لهذه الحاضرة مهندس فرنساوي اسمه كولان (Jean Colin)،
وتعلّق بقنصل الفرنسيس ليون روش المتقدم ذكره ودبّر معه لفائدة نفسه في أن جلب الماء من زغوان وجقار
يمكن وصوله بلا كلفة إلى الحاضرة وباردو وحلق الوادي والمرسى على الحنايا القديمة والمجاري السابقة في
أنابيب من معدن يؤتى بها من فرنسة.

ويقال إنه ساهم القنصل بجزء وافر من الرّيح - والله أعلم - غير أن اجتهاد القنصل في جلب هذا
الماء، والحرص على إتمام العقد حرص السمسارين، لا يبعد هذا الظنّ لأنه كان يترامى على الامتزاج بالباي
كما تقدّم، غير معتبر لخطّته، حتّى أنّه كان يطرّقه ليلاً في بستانه وأوقات راحته، لأمر هو يعلمه.
فأتى الباي مرّة وقال له: «من سعادتك أن مهندساً فرنساوياً ظهر له أن الماء يجلب من زغوان للحاضرة
وحلق الوادي والمرسى بأيسر مصروف».

وتردّد على الباي في ذلك تردّد السمسار الملحّ، وهو يرفل في احترام دولته وسؤل له أن هذا الماء
عندما يصل إلى الحاضرة تهرع الناس إلى شراء أنابيب منه لدورهم، ويوفرون ثمن الدلاء والحبال ويستغنون
عن مصانع الماء، ويشترى منه من يريد شغل الأرض بالأشجار والنبات، وتكثر الأشجار وتنمو الفلاحة،
وتحصل من ثمن ما يباع من الماء أضعاف ما يدفع في جلبه، إلى غير ذلك ممّا ينمّقة البائع في تحسين مبيعته.
ولمّا سمع الباي ألفاظ ممّو العمران، وشغل الارض بما يقتضي التخفيف من الجباية الموظّفة على
الرؤوس، إذ كانت مناط نظره، لا سيما وقد وعد بإسقاطها في منشور الإعانة، لأنّ الأداء على الرؤوس بما
تستثقله النفّس الإنسانية، لا سيما الأمة المسلمة، لما يرونه من الشّبه بالجزية التي من أسرار ضربها على
الكافر إلجأوه إلى الدّخول في الملة الذي هو مناط نظر الشّارع، ولمّا سمع ذكر التخفيف، مال إلى استحسانها
ورأها صلاحاً، وأكثر مصارع الرّجال تحت بروق الأطماع، فاغتنمها القنصل.

وكان هذا الباي جدّي السّجيّة، يبني الأمور على ظواهرها، وطمع في كلّ ما يسمع من غير أعمال
فكر ولا تبصّر في العواقب.

ومن الغد جمع رجال دولته وقصّ عليهم أضغاث رؤياه لهذه المصلحة، فبادروا بالإنكار على لسان
واحد، وهو المتبادر على البديهة، وبينوا له شبه المغالطات، عدا الوزير أبي النّخبة مصطفى خزندار، لأنّه
حضر الموطن مع القنصل، ورأى شره الباي وشهوته، فطفق يحسّن بمقدمات خطابية، شأن الوزراء للملوك
الإطلاق كما تقدّم في العقد الأوّل من المقدّمة.

وأما الوزير خير الدّين فإنّه علم استحسان الباي لهذه المصلحة وأنّه أنفصل فيها مع القنصل
فسكت، وربّما أعان إعانة من يعلم أنّ حضوره للسّماع لا للمشورة الحقيقية وظهر ذلك من حاله.

وحاصل ما قال له رجال الدولة في هذه المصلحة، التي هي في الحقيقة للمهندس ومن كان على
شاكلته، إنّ هذه الحاضرة آتفق تأسيسها على غير ماء، فاتخذ أهلها المصانع في دورهم لجمع ماء المطر للشّرب
ولا تخلو دار من بئر للاستعمال في غير الشّرب وتأسيس أبينتها على هذا الاعتبار، وبها من الفساقى لجمع
ماء المطر ما يكفي لوصلحت، وسقاياتها مجلوب لها الماء من عين الجبل الأحمر، حتّى قال له أبو عبد الله

محمّد عامل السّاحل: «إنّ جلب الماء من زغوان يستدعي مصروفا كبيرا، فأعطني عشرة أصلح منه سائر الفساقى وأجري الماء لسائر السّقايات وأحكم بناء السّاقية، وإذا لم يكف أكمل ذلك من عندي». فقال له: «لا يمكن ذلك» فقالوا له: «إذا لا يشتري أحد، إذ لا داعي له، إلّا من يريد النّزهة بجريان الماء ونبعه، وهم أقلّ من القليل مع أنّهم يقولون إنّ ماء زغوان وخم، على أنّ ماء زغوان ثلاثة أرباعه ملوكة لأربابها، اشتروها بأموالهم من الدّولة، يقتسمونها بينهم لدورهم وأرحيتهم وأشجارهم فإذا أخذ منهم تنصّر أشجارهم المعتادة بالسّقي، ويؤدّي ذلك إلى نقص في عمران الإيالة بموت هذه الأشجار، ولا ضرورة لذلك إلّا مجرد التحسين. مع أنّ الأنابيب الجارية فيها الماء لا تخلو من صرف كثير دائم بدوامها، وهذا مصرف زائد لا داعي له.

وليس هذا ممّا يحسن فيه الاقتراض، لأنّ التّداين يغتفر في الأمور الضّرورية إلى غير ذلك ممّا يعلم بالبداهة، لكنّ الشّهوة حجاب يغطّي نور العقل، ومن أطاع هواه ضلّ، ومن اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه، ومن ساس نفسه ساس جنسه.

ولمّا لم يجد قوّة لردّ شهوته، قال للجماعة: «أعطيت كلمتي للقنصل في ذلك»، فعند ذلك تنفّس الأمير خير الدّين، وقال له: «أيّ فائدة لجمعنا حيث أعطيت كلمتك، وحسبنا سماع هذا الخبر من سيادتكم»، فقلت له: «قد وقع الوعد ولم يقع انفصال، ولا أقلّ من أن نشدّد من شروط هذا الاتّفاق حتّى يكون الامتناع من جهته»، فقال لي: «المؤمن عند لفظه». ولمّا خرجنا ضرب بيده على كتفي، وقال لي: «إن شاء الله يصل هذا الماء لتونس وتطلب الشّراء منه ولا نبيعه لك»، فأمتت على دعائه.

وأمر بعمل الاتّفاق مع المهندس على يد القنصل، ومحصّله سبعة ملايين ونصف مليون فرنك تدفع للمهندس مكاتب على أجال، والدّولة تدفع ربا المكاتب سنّة على المائة، وتدفع ثمن الأنابيب حالا، إلى غير ذلك ممّا سوّدت به وجوه الطّروس، في ذلك الاتّفاق المنحوس الذي نتيجته أنّ الدّولة تداينت بربا لتحسين موهوم، إذ لا ناضّ عندها، وأزداد بذلك صرف على الدّولة لا قبل لها به وأفضى إلى زيادة وهن وضعف.

ولمّا كان هذا الباي خلّص هذه الإيالة بإعانة الوزير خير الدّين من ورطة الدّين الذي أمر به ابن عمّه المشير احمد باي ليصرفه على العسكر التّونسي بإسلامبول إلّا أنّه أوقعها في ورطة أفضع وأشنع، ومحا حسنته الأولى بسيئة هذا الماء التي هي أعظم أسباب الخراب، لأنّه أتى بها ومزاج الدّولة والمملكة في مرض الهرم.

وهذا من ثمرات الملك المطلق، وسبحان من انفرد به وهو الحكيم الخبير. وحسب الوزراء أنّهم لمّا رأوه عمد إلى خرق السّفينة تكلموا، ولمّا أراهم شهوته وجموا، ولو كان لهم قانون أخذوا به على يده فسلم وسلموا، لكنّهم خافوا فأحجموا، ولمّا أدركها الغرق ندموا، فكانوا كما قيل:

تبغي النّجاة ولم تسلك مسالكها إنّ السّفينة لا تجري على اليبس

وهذا الماء هو السّبب الذي جرّ إلى حشرات عليهم. ولله فينا علم غيب فادتهم أعمالهم إلى ربة القهر ولا يمكن القول إنّ ترميم ساقية أخرى سنة 1859 قد شغل فكر أحمد بن أبي (1859)، كما شغل فكر خير الدّين (1860م). ونستنتج من موقفهما مع بعض الجزء الرّابع من كتاب الإتحاف، أنّهما في أحبولة أحبك خيوطها قنصل فرنسا وجلب الفوائد الجمّة لأبناء جنسه أمثال أرباح طائلة من أشغال اضطلع بإنجازها مقدّمها فرنسا. وقد أنجز المهندس جان كانياج (Jean Ganiage) في كتابه «أسباب إلى جانب ترميم ساقية الحنايا، بناء مخزينة الباي وكان هذا المقرّ هدية من ريال بعدما كانت التّقديرات لا تتجاوز ونورد تقريراً في هذا الصّدد (Le Colonel Campenon) إلى 191 يقول: «لقد انتهت أشغال الحنايا المدينة لم يقع. لكنّ الدّولة لم تكن الأشغال. لهذا فقد حرم المقاول التّجاري أن يستعمل الماء الذي كانت كفت والتّخاذل».

s de piastres est terminé, é faite. Mécontent, à tort travaux, le gouvernement a educ, l'entreprise de la es, il est à craindre que ue à si grands frais ne

وهذا الماء هو السبب الذي جرّ إلى ما بعده من أسباب النقصان والخراب، وكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم. ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه. والمرجو من فضله وعلمه اللطف بعباده الذين قادتهم أعمالهم إلى ربة القهر ولا يظلم ربك أحدا.

يمكن القول إن ترميم ساقية الحنايا قصد إعادتها إلى وظيفتها لسقاية سكّان الحاضرة تونس بماء زغوان في سنة 1859 قد شغل فكر أحمد بن أبي الضياف وهو من رجال الدولة في عهد المشير الثاني محمد باي (1855-1859)، كما شغل فكر خير الدين وهو وزير البحر قبل أن يتولّى منصب كاهية المجلس الأكبر (البرلمان) بقليل (1860م). ونستنتج من موقفهما مع بقية رجال الدولة، من خلال هذا النصّ الذي أورده ابن أبي الضياف في الجزء الرابع من كتاب الإتحاف، أنّهما استاءا لما وقع فيه محمد باي من ورطة في قبضة سماسرة السياسة وقد سقط في أحبولة أحبك خيوطها فنصل فرنسا ليون روش (Léon Roches) وهو من هو دهاء وحنكة في خدمة منافعه وجلب الفوائد الجمة لأبناء جنسه أمثال المهندس كولان (Colin) الذي استطاع أن ينال ثقة الباي فيتحصّل على أرباح طائلة من أشغال اضطلع بإنجازها في نطاقي تعصير مؤسسات الدولة التونسية أسوة بالدولة الأوروبية وفي مقدّمتها فرنسا. وقد أنجز المهندس جان كولان - وهو أحد أقارب ليون روش، فنصل فرنسا، على حدّ قول جان قانياج (Jean Ganiage) في كتابه «أسباب الحماية الفرنسية لتونس» (ص 670) (1861 - 1881) :

Les origines du protectorat français en Tunisie

إلى جانب ترميم ساقية الحنايا، بناء مقرّ جديد للقنصلية الفرنسية ودفعت مصاريف شراء الارض والبناء من خزينة الباي وكان هذا المقرّ هدية منه إلى قنصل فرنسا. أمّا أشغال الحنايا فقد وصلت كلفتها إلى أحد عشر مليون ريال بعدما كانت التقديرات لا تتجاوز السبعة ملايين.

ونورد تقريراً في هذا المضمار من أرشيف الجيش الفرنسي بقلم الكولونيل كمبنون (Le Colonel Campenon) إلى المرشال رندون (Le Maréchal Randon) يذكره جان قانياج في كتابه ص 191 يقول: «لقد انتهت أشغال الحنايا التي ارتفعت كلفتها إلى أحد عشر مليون ريال، إلّا أنّ توزيع الماء في المدينة لم يقع. لكنّ الدولة لم تكن راضية - عن صواب أو عن خطأ - من أجل التكلفة الباهضة ورداءة الأشغال. لهذا فقد حرم المقاول القائم بالأشغال من استثمار توزيع المياه. ويخشى تدهور ساقية الحنايا قبل أن يستعمل الماء الذي كانت كلفته باهضة وذلك بسبب ما عرف عند هؤلاء العرب من الكسل والتخاذل».

L'aqueduc de Zaghouan qui a couté déjà 11 millions de piastres est terminé, mais la distribution des eaux dans la ville n'a pas été faite. Mécontent, à tort ou à raison du prix élevé et de la qualité des travaux, le gouvernement a refusé à donner à l'entrepreneur français de l'aqueduc, l'entreprise de la distribution des eaux. Avec l'indolence des maures, il est à craindre que l'aqueduc ne soit en ruines avant que l'eau venue à si grands frais ne soit utilisée

سروفا كبيرا، فأعطني عشره أصلح منه سائر
الم بكف أكمل ذلك من عندي». فقال له:
إلّا من يريد التزّه بجريان الماء ونبعه، وهم
زغوان ثلاثة أرباعه مملوكة لأربابها، اشتروها
وهم فإذا أخذ منهم تتضرّر أشجارهم المعتادة
الأشجار، ولا ضرورة لذلك إلّا مجرد
كثير دائم بدوامها، وهذا مصرف زائد لا

تتفر في الأمور الضرورية إلى غير ذلك بما
أعج هواه ضلّ، ومن اشترى ما لا يحتاج

ليني للقنصل في ذلك»، فعند ذلك تنفّس
كلمتك، وحسبنا سماع هذا الخبر من
من أن نشدّد من شروط هذا الاتفاق
أخرجنا ضرب بيده على كتفي، وقال لي:
يعة لك»، فأمنت على دعائه.

سبعة ملايين ونصف مليون فرنك تدفع
سنة على المائة، وتدفع ثمن الأنايب حالا،
الشحوس الذي نتيجته أنّ الدولة تداينت
على الدولة لا قبل لها به وأفضى إلى زيادة

والذين من ورطة الذين الذي أمر به ابن
يقول إلّا أنّه أوقعها في ورطة أفضع وأشنع،
خراب، لأنّه أتى بها ومزاج الدولة والمملكة

هو الحكيم الخبير. وحسب الوزراء أنّهم لما
ول، ولو كان لهم قانون أخذوا به على يده
ول، فكانوا كما قيل:

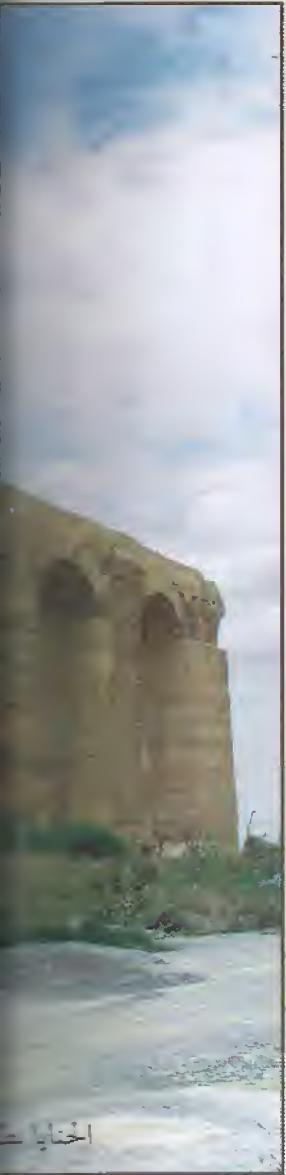
سقيفة لا تجري على اليبس

ولا يهدأ بال أحمد بن أبي الضياف بسبب ما تسبّب فيه ترميم ساقية الحنايا من المصاريف الباهضة ومن ثقل على ميزانية الدولة وإفلاس لها نتيجة التصرّف الأخرق الذي قام به الباي دون استشارة مجلس وزرائه فقرّر بمفرده إنجاز هذا المشروع استجابة للحيلة التي حبكها قنصل فرنسا ليون روش. وكانت لهذه القضية تبعات وخيمة على ميزانية الدولة ووزر ثقل على اقتصاد الإيالة جرّاء الديون التي سارت بالبلاد إلى الفقر والفوضى وآلت بها إلى ثورة شعبية عارمة قادها علي بن غذاهم، في سنة 1864 م، عرفت فيها تونس موجة من الفوضى وعمّت أهلها المجاعة والخصاصة. فيقول أحمد بن أبي الضياف في الجزء الخامس من كتاب الإتحاف (ص 96)، في شأن القروض المتعلقة بترميم ساقية الحنايا، وهو المشروع الذي تورّط في إقراره محمد باي وواصله خليفته محمد الصادق باي:

«وفي شوال من السنة 1279 هـ (مارس - أبريل 1863). ظهر للباي في مجلسه الخاص بموافقة أكثره أن يبدل الاقتراض السابق الذي أصيبت به البلاد لأجل جلب الماء وطاعة الهوى. ومن أطاع هواه أعطى عدوّه مناه». وقد كان هذا الاقتراض من تجار يهود وغيرهم من سكّان البلاد بحيث أنّ فائدة الاقتراض لا تخرج من البلاد، فحوّله إلى تاجر فرنسي بباريس.

وكان عقدة هذا الاتفاق النّحس في الثامن عشر من ذي القعدة في السنة 1279 هـ (الخميس 7 ماي 1863 م) ومجموع المال المستقرض يومئذ خمسة وثلاثون مليوناً من الفرنك، المقبوض منها على أقساط تسعة وعشرون مليوناً وخمسة وعشرون ألفاً، والبقية طارت بها العنقاء. على أنّ الفائدة تدفع لهذا التاجر في كلّ عام من جباية الإعانة (وهذا الأداء المعروف بالإعانة وهو عن الطلبة المهاجرين من أوطانهم لطلب العلم الشريف بالحاضرة. وقد سقط عنهم بأمر من الباي وبموافقة المجلس الأكبر في شوال سنة 1279 (مارس - أبريل 1863 م) - (انظر نفس المرجع ص 96)، وقدرها أربعة ملايين ومائتا ألف. وبعد خمس عشرة سنة وستة أشهر يكون هذا التاجر خالصاً في رأس ماله وفائده بناء على الفائدة تدفع له في كلّ عام عند حلول أجلها، إلى غير ذلك ممّا سوّدت به صحائف ذلك الاتفاق. ودفع ربّ المال مليوناً معجّلاً على وجه الهدية للباي، ذكر أنّ ذلك عادة في أمثال هذا الاقتراض، وحديث هذه الهدية سمعناه من لفظ الباي.

وتحدّثت النّاس في سرّ هذا التّبديل، وراجت العقول في المذاهب الممكنة، وإن اتّفقوا على شيء واحد وهو إثارة الفرنسيين بالريّح. ووضع ثقل ذلك على متن الوزير أبي النّخبة مصطفى خزندار وحده، ولا طاقة لمتنه وحده على حمل هذا الثّقل. وتحدّث التجار - في مجمعهم بباب البحر - أنّ هذا التاجر هادي أفراداً من خواصّ الوزير بأموال ذكروا مقاديرها، والله أعلم بحقيقة الحال، وهو المسؤول أن يحسن المال». وهذا الفيض من خواطر ابن أبي الضياف في قضية ترميم ساقية الحنايا في القرن التاسع عشر (1859 م) أوردناه لتنبّين حملته على حكم الباي المطلق دون مشورة أولي الأمر من دولته في أخذ القرار وانسياقه مع الهوى على حدّ قوله، وذلك من أجل صعوبة إنجاز هذا المشروع وإن كان يبدو حيويّاً لسكّان مدينة تونس قصد تزويدهم بالماء الصّالح للشّراب وكذلك ساقية ضواحي تونس كما جاء في قوله من «باردو وحلق الوادي والمرسى على الحنايا القديمة».



حنايا

ترميم ساقية الحنايا من المصاريف الباهضة
الذي قام به الباي دون استشارة مجلس
كما قنصل فرنسا ليون روش. وكانت لهذه
الايالة جراء الذيون التي سارت بالبلاد
من غذاهم، في سنة 1864 م، عرفت فيها
أحمد بن أبي الضياف في الجزء الخامس
ساقية الحنايا، وهو المشروع الذي تورط في

تظهر للباي في مجلسه الخاص بموافقة أكثره
الماء وطاعة الهوى. ومن أطاع هواه أعطى
سكان البلاد بحيث أن فائدة الاقتراض لا

في القعدة في السنة 1279 هـ (الخميس 7
من مليوناً من الفرنك، المقبوض منها على
ت بها العنقاء. على أن الفائدة تدفع لهذا
حالة وهو عن الطلبة المهاجرين من أوطانهم
وموافقة المجلس الأكبر في شوال سنة 1279
من ملايين ومائتا ألف. وبعد خمس عشرة سنة
الفائدة تدفع له في كل عام عند حلول أجلها،
ليوناً معجلاً على وجه الهدية للباي، ذكر أن
من لفظ الباي.

المذاهب الممكنة، وإن اتفقوا على شيء
الوزير أبي التخبطة مصطفى خزندار وحده،
مجمعهم بباب البحر. أن هذا التاجر هادي
بقية الحال، وهو المسؤول أن يحسن المال».
ترميم ساقية الحنايا في القرن التاسع عشر
مشورة أولي الأمر من دولته في أخذ القرار
هذا المشروع وإن كان يبدو حيويًا لسكان
قاية ضواحي تونس كما جاء في قوله من



الحنايا بطريق زغوان (الحمدية) منظر جانبي



الحنايا بطريق زغوان (المحمدية) منظر واجهي



الحنايا بطريق زغوان (المحمدية) وفي أعلاها
فتحات قناة المياه

الحنايا بطريق زغوان (المحمدية) منظر جانبي



منظر أفقي للحنايا بطريق زغوان (المحمدية)





الحنايا بطريق زغوان (المحمديّة) وفي أعلاها فتحات قناة المياه





جزئية من الحنايا بباردو



جزئية من الحنايا بباردو

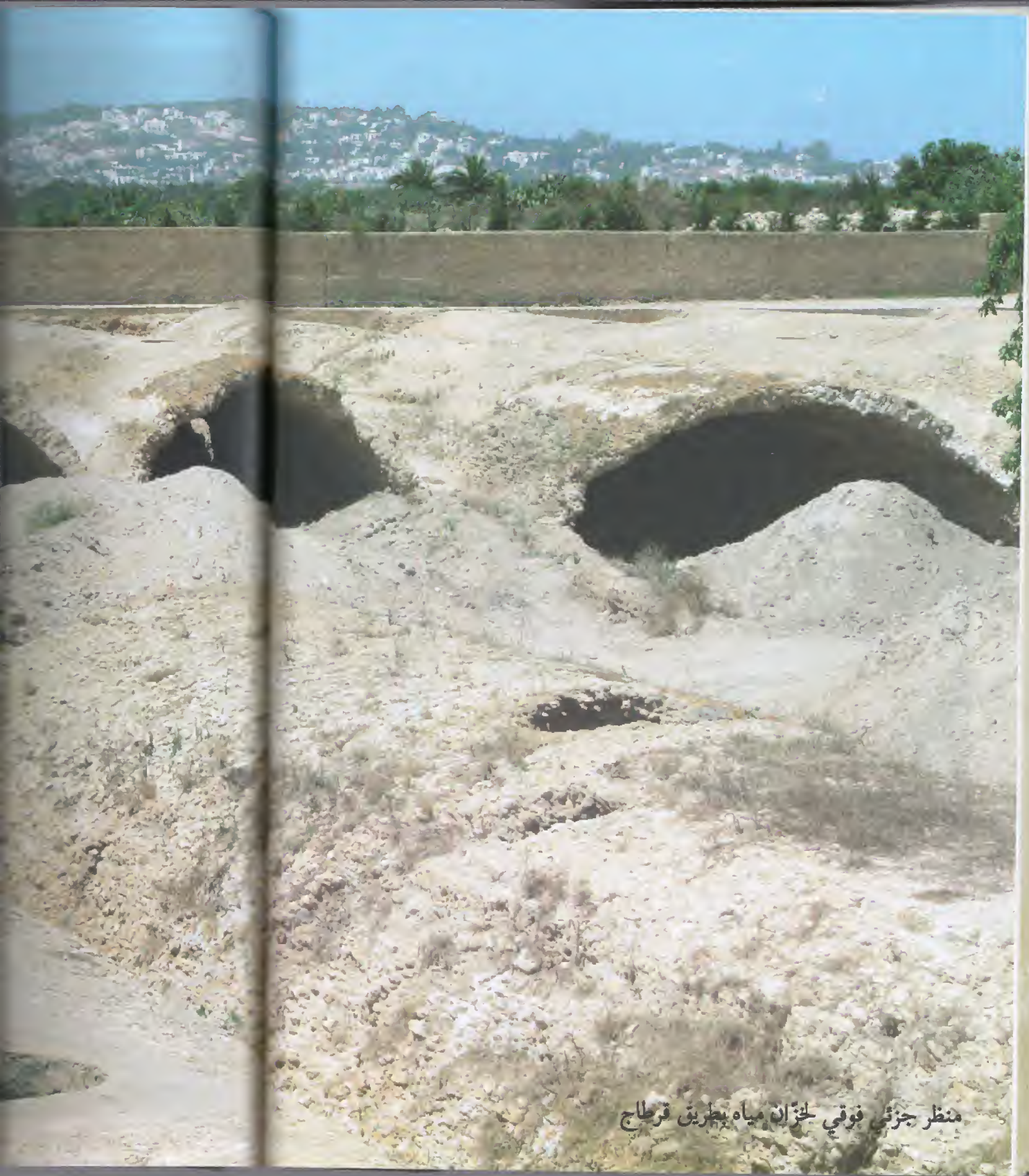




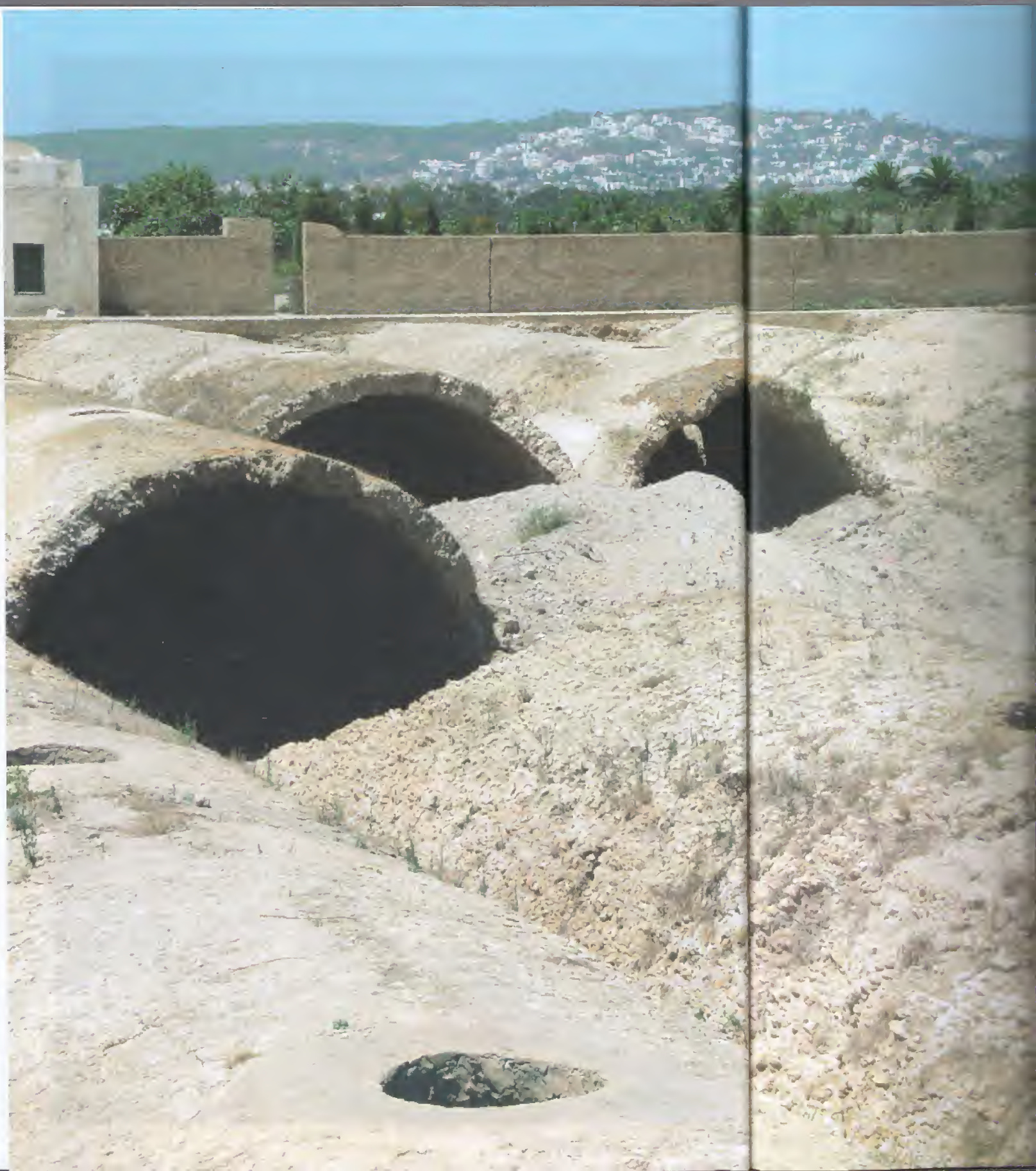
منظر جزئي فوقي لخزان مياه بطريق قرطاج

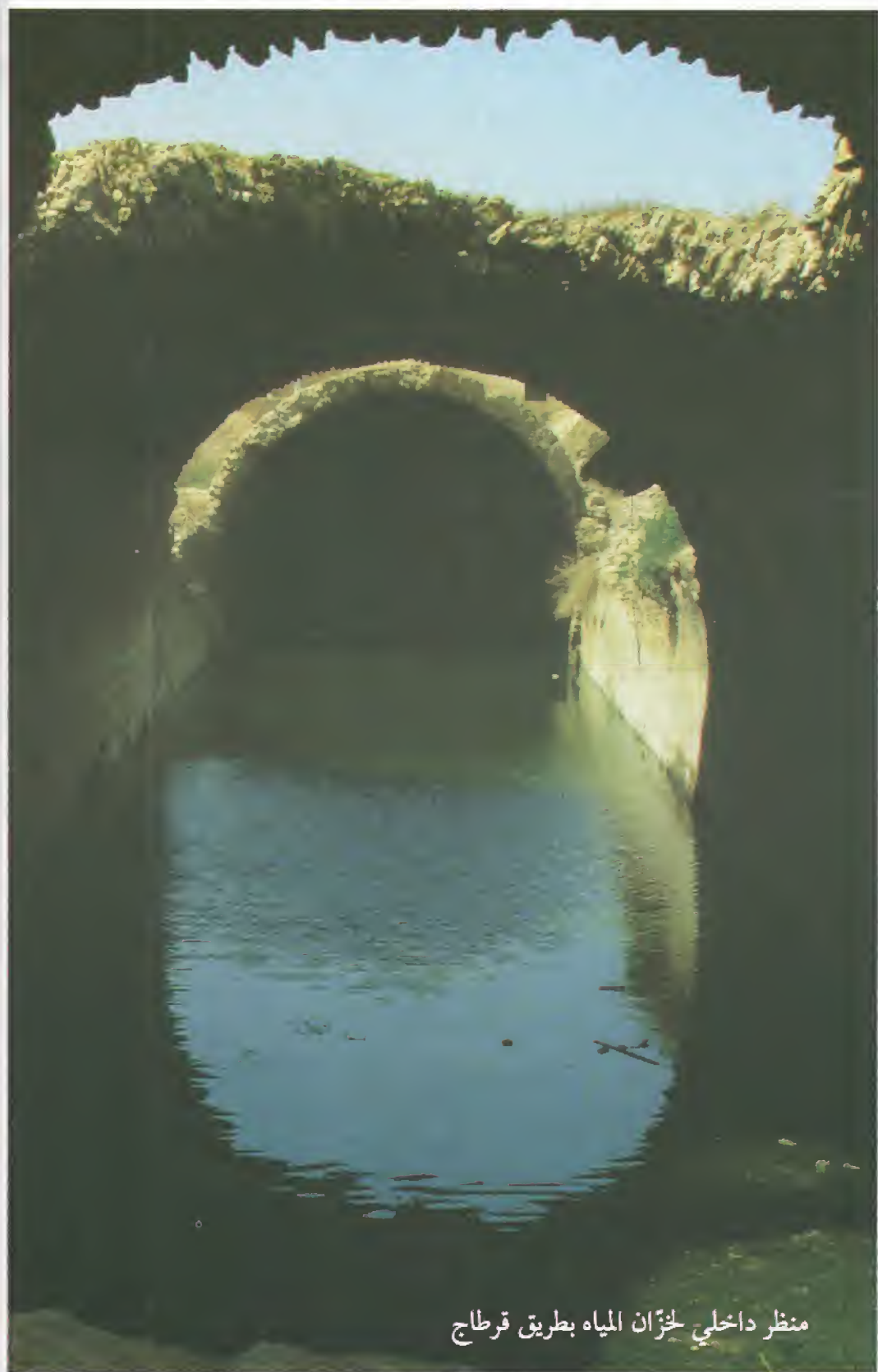


جزئية من خزانات المياه بطريق قرطاج



منظر جزئي فوقی لڙان مياہ بطريق قريطاج





منظر داخلي لخزان المياه بطريق قرطاج



منظر جزئي فوق مخزانات المياه بطريق قرطاج



ولا يمكن إنجاز هذه الأشغال دون
 حتما منها حسب المخطط الذي
 فضّال، فقرة العوينة إلى خزانات
 أتباع هذا المسلك.

وقد كانت كلفة ترميم ساقية
 إلى الاقتراض من المربين من
 فرنسيّ بباريس. وكان في هذا
 قسط وافر منه مما جعل ابن أبي
 من هذا التحيل لفائدته واغتنام
 وكان مشروع ترميم ساقية
 عليه في الإنتاج الفلاحي وحالة
 نتيجة الإسراف في مصاريف
 على القروض الأجنبية فكانت
 على بن غداهم في سنة 1864م
 الأمن.

وبقي لنا أن نسأل - بعد هذا
 في دولة محمد الصادق باي (1859)
 الحفصي منها وبعد مرور الإسيدي
 الحفصية هو الذي كان يمر من
 ببستان أبي فهر، وتتدفق مياهه في
 الشرقي من مدينة أريانة؟
 من المتأكد أن فرع ساقية الح
 الجنوب الشرقي من مدينة أريانة
 و1267 م أي 648 و666 هـ هذا
 حيث قصور السلطان الحفصيّ وذلك
 و1574 م (أي من سنة 942 إلى
 أما إعادة الحنايا في العهد الح



بقايا فسقية بستان أبي فهر بمساحة أريانة (ولاية تونس) مدينة العلوم حاليا



بقايا فسقية بستان أبي فهر بمساحة أريانة (ولاية تونس) مدينة العلوم حاليا

ولا يمكن إنجاز هذه الأشغال دون المرور من مدينة أريانة - وإن لم يذكرها في نصّه - إذ ساقية الحنايا تمرّ حتماً منها حسب المخطط الذي ضبطناه لها من جهة سيدي الجبالي، فبرج الوزير فبساتين سكرة فدار فضّال، فقرية العونية إلى خزانات المعلّقة قرب مدينة قرطاج، إذ لا يمكن ساقية حلق الوادي والمرسى دون اتّباع هذا المسلك.

وقد كانت كلفة ترميم ساقية الحنايا تفوق إمكانيات ميزانية دولة محمّد الصّادق باي فكان اللّجوء إلى الاقتراض من المرابين من داخل البلاد أولاً ثمّ وقع التّوجّه إلى الاقتراض من خارجها، من تاجر فرنسيّ بباريس. وكان في هذا الاقتراض جانب كبير من التّزوير فمكّن بعض الأطراف من اختلاس قسط وافر منه ممّا جعل ابن أبي الضّيف يقول: «والبقية طارت بها العنقاء» وكان لقنصل فرنسا جانب من هذا التّحيل لفائدته واغتنام المشروع لمن والاه من بطانته وهو المهندس كولان (Collin).

وكان مشروع ترميم ساقية الحنايا في ظروف عصيبة شهدت فيها البلاد التّونسيّة ضعفاً لا مزيد عليه في الإنتاج الفلاحي وحالة متدنية جدّاً من الجفاف نتج عنها فقر سكّان البوادي وانخرام النّظام نتيجة الإسراف في مصاريف الدّولة، فالتجأ الباي إلى اتّباع سياسة خرقاء اعتمد فيها - لتدارك الوضع - على القروض الأجنبية فكانت انتفاضة السّاحل التّونسي ثمّ ثورة العروش من سكّان البوادي بقيادة على بن غداهم في سنة 1864م. فأنت على الأخضر واليابس وأدخلت الإيالة في الفوضى وانعدام الأمن.

وبقي لنا أن نسأل - بعد هذا التّرميم الأخير لساقية الحنايا في تاريخها الطويل، في سنة 1859 في دولة محمّد الصّادق باي (1859 - 1882م) - ما هو حظّ مدينة أريانة من ماء الحنايا بعد زوال الفرع الحفصي منها وبعد مرور الإسبان سنة 1535 بقيادة شارل كان (الخامس)، وهذا الفرع من الحنايا الحفصية هو الذي كان يمرّ من بئر بلحسن في اتجاه قصور المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277م) ببستان أبي فهر، وتتدفّق مياهه في فسقيته العظيمة التي تضمّ آثارها إلى اليوم مدينة العلوم في الجنوب الشرقيّ من مدينة أريانة؟

من المتأكّد أن فرع ساقية الحنايا الذي شيّده المستنصر بالله الحفصي لتزويد بستان أبي فهر، في الجنوب الشرقيّ من مدينة أريانة بماء زغوان، بعد ترميم السّاقية الأصليّة القديمة، وذلك بين سنتي 1250 و1267م أي 648 و666هـ، هذا الفرع قد اندثر ولم يعد ذكر لساقية الحنايا في اتجاه بستان أبي فهر حيث قصور السّلطان الحفصّ وذلك في فترة التنافس التركي الإسبانيّ في تونس بين سنتي 1535 و1574م (أي من سنة 942 إلى سنة 981هـ)

أمّا إعادة الحنايا في العهد الحسيني، في سنة 1859 إلى وظيفتها وتمكين حلق الوادي والمرسي من



تونس - مدينة العلوم حالياً



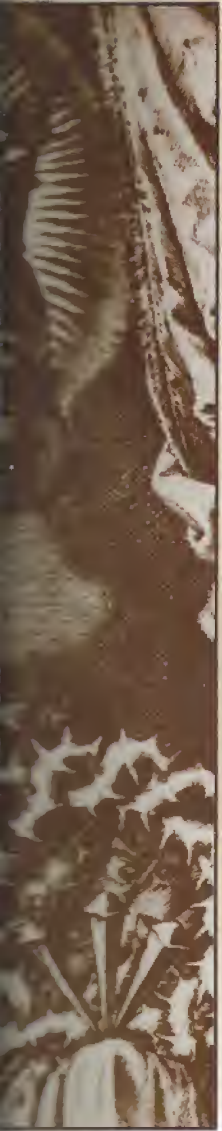
تونس - مدينة العلوم حالياً

أريانة الدرع الواقية لمدينة أريانة المدينة المجاهدة

«من أشهر الحوادث الواقعة

العظيم، زحفة (لويس التاسع) ملك

شقيق هذا الملك وصاحب جزيرة



ماء عين جبل العرائس بزغوان وعين جقار، بعد أن أتم المهندس الفرنسي كولان (Collin) ترميمها ومدّ القنوات الحديدية التي أمر الصادق باي شراءها من فرنسا، فلا يمكن أن يكون ذلك إلا بأعادة ترميم الجزء الأصلي من ساقية الحنايا القديم وهو الذي أهمل القيام به المستنصر بالله الحفصبي، وهذا الجزء من الساقية القديمة يقدر بستة عشر كيلومترا طولا وهو الذي يمر من مدينة أريانة في مقبرة سيدي الجبالي، متجها في طريقه بين زاويتي سيدي عبد الرحمان وسيدي علي الجربي فيقطع بساتين سكرة ثم ينكسر في اتجاه الشرق شاقا سواني دار فضال ومنها إلى قرية العوينة لتتدفق مياهه في خزانات المعلقة في الشمال الغربي من مدينة قرطاج.

وخلاصة القول إن ساقية الحنايا في تاريخها الطويل (أي قرابة ألف وخمسمائة سنة) منذ إنشائها إلى توقفها نهائيا عن العمل قد مثلت معلما تاريخيا عظيما كان له دور حاسم وفعال في سياسة السقاية والري في جزء هام من البلاد التونسية وخاصة في حياة سكان الحاضرة تونس وأحوازها الشمالية وأخصها مدينة أريانة وما حولها من ساتين سكرة ودار فضال وسيدي داود والعوينة، كما كان لها انعكاس على الوضع الاقتصادي وما تردت فيه دولة محمد الصادق باي من ورطة القروض لدى الانتهازيين من تجار الفرنسيين وسماسرتهم فآل إلى إضعاف خزينة البلاد وإفقار الایالة وتجويع الشعب وإيقاظ نغمة الثورة والفوضى بسبب قروض مجحفة كانت من بين أسباب فرض فرنسا المراقبة المالية على بلادنا وتهيئة الطريق لامضاء اتفاقية الحماية الفرنسية في 12 ماي 1881. وما كان من الصادق باي إلا



منظر للحنايا الجديدة على هضاب قمرت
بعد ترميمها في القرن 19 على عهد محمد الصادق باي في 1859

الزيادة في الضرائب وإثقال كاهل سكان المدن والقرى بأنواع جديدة من الجباية مكنت عماله داخل البلاد من استعمال سياسة القهر والإذلال مما جعل ابن أبي الضياف يقول: «تونس الفقيرة حسا ومعنى» وينقل قول الفلاح الذي ينظر إلى محراثه فيصعد زفراته من أعماق قلبه: «آه ياسبب شقاي» هذا المحراث الذي كان في سالف الأيام وسيلة إنتاجه وآلة خير لأسرته ولجميع بني وطنه.

فرنسا في إجابة طلبه، ولا سيما قد
(البابا). فجهز لويس الملقب بالقدّيس

أريانة الدرع الواقية لمدينة تونس أريانة المدينة المجاهدة

«من أشهر الحوادث الواقعة في أيام المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277م) هذا السلطان العظيم، زحفة (لويس التاسع) ملك فرنسا (1225 - 1270م) إلى تونس. وبيان ذلك أن (شارل دالحجو) شقيق هذا الملك وصاحب جزيرة صقلية أغرى أخاه على غزو تونس لتكون تابعة له، فلم يتردد ملك



ملك فرنسا القديس لويس التاسع (1215-1270)

فرنسا في إجابة طلبه، ولا سيما قد ظاهره وشجعه على مقصده كثير من ملوك النصارى وعلى رأسهم (البابا). فجهز لويس الملقب بالقديس أسطولا شحنه بأربعين ألف مقاتل نزلوا بأطلال قرطاجنة في

الفرنسي كولان (Collin) ترميمها ومدّ
لا يمكن أن يكون ذلك إلا بأعادة ترميم
المستنصر بالله الحفصي، وهذا الجزء
من مدينة أريانة في مقبرة سيدي الجبالي،
الجري فيقطع بساتين سكرة ثم ينكسر
لتنفق مياهه في خزانات المعلقة في

قرية ألف وخمسمائة سنة) منذ إنشائها
له دور حاسم وفعال في سياسة السقاية
كان الحاضرة تونس وأحوازا الشمالية
وسيدي داود والعوينة، كما كان لها
الصادق باي من ورطة القروض لدى
حرينة البلاد وإفقار الايالة وتجويع الشعب
من أسباب فرض فرنسا المراقبة المالية على
باي 1881. وما كان من الصادق باي إلا



حديدية من الجباية مكنت عماله داخل
في الضياف يقول: «تونس الفقيرة حسنا
من أعماق قلبه: «أه ياسبب شقاي»
لأسرته ولجميع بني وطنه.

26 ذي القعدة سنة 668 هـ / 17 جوان 1270 م. ودارت رحى الحرب بينهم وبين الجنود التونسيين وتواصل الكفاح نحو ستة أشهر. وضاق الخناق بين الطرفين، فصادف أن فُشاً مرض الوباء في تونس، ثمّ تمادى إلى جيش الفرنسيين، فهلك به خلق عظيم من جملتهم الملك لويس في 10 محرم سنة 669 هـ = 25 أوت 1270 م. وبذلك انتهت الحرب وأقلعت الجنود الفرنسية بعد أن أغرمها المستنصر مالا اتفقوا عليه على وجه الصلح. وأمر السلطان المذكور من حينه بتخريب بقايا قرطاجنة لئلا تكون مطمحا للنصارى.

إن حملة الجيوش الفرنسية على تونس سنة 1270 المعروفة في كتب التاريخ بالحملة الصليبية الثامنة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع الملقب بالقدّيس لويس تعني مدينة أريانة بصفة مباشرة كما سنبين ذلك.

ونقدّم وجهة نظر مؤرخ الدولة الحفصية أبي عبد الله محمد ابن الشّماع الذي شغل خطة قضاء الأمحال في عهد السلطان الحفصي أبي عمر عثمان الذي امتدت مدّته من سنة 839 هـ / 1435 م إلى سنة 894 هـ / 1488 م. وقد أورد أخبار هذه الحملة الصليبية الثامنة في كتابه «الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية» سنة 861 هـ / 1457 م حيث يقول «في ذكر نزول النصارى بتونس مع ملك الفرنسيين وما السبب في ذلك: أن مادعاه للنزول بتونس فيما زعموا أن تجار أرضه ادّعوا على اللّحياني بعد نكبتهم أنّهم أسلفوه 300 دينار ذهباً من غير أن يستندوا إلى شئ في ذلك أو لسبب، فامتنع السلطان من إعطائهم فشكوا إلى ملكهم فامتعض لهم وعمر على تونس.

وقيل إن السبب في حركته على تونس «أنّ الفرنسيين (أي ملك فرنسا) ذكر عند المستنصر فقال «هو الذي أسره هؤلاء فأطلقوه (يشير إلى الأتراك الذين كانوا بين يديه)، وكان اجتمع له منهم جماعة وافرة احتقاراً لأمره. فبلغ الفرنسيين (أي ملك فرنسا) مقالته فحقد عليه وحشد أهل ملّته واستعان بملوكهم فطلب منه السلطان المهادنة فامتنع من ذلك وأغلظ للرّسول، وعرفه أنّه متوجّه إليه، فبعث السلطان رحمه الله لأهل الأقطار يستفزّهم.

وكان الفرنسيين في عام سبعة وأربعين وستمائة (1249 - 1250 م) نزل على مدينة دمياط (على نهر النيل في مصر في الحملة الصليبية السابعة)، فأمكن الله منه، فأخذ وقيد ووكل به فتى اسمه صبيح، وسجن بدار بمصر تعرف بدار ابن لقمان بعد أن مرّق جيشه كل ممزق (بقيادة الملك الظاهر بيبرس) 1223 - 1277 في مدّة أقلّ من تسعة أشهر. وحمل الفرنسيين (أي ملك فرنسا) وطيف على جمل، ووجهه لذنبه مع عدّة من عظماء أصحابه وطيف بهم.

وافتدى الفرنسيين نفسه بقناطير من الذهب، وحلف أن لا يطيأ أرض المسلمين بعدها أبداً، فأبت

نفسه الخبيثة إلا نكث العهد، وشرع كمال الدّين بن مطروح أبياتا، ويحت

قل للفرنسيين إذا
أجرك الله على ما
قد جئت مصر تستع
فساقت الحين إلى
وكل فرسانك لو
سبعون ألفا لا يرى
إن كان باباكم بذا
وقل لهم إن أزمع
دار ابن لقمان على

ومن الملاحظ أن هذا البيت
حالتها دون تغيير فيقال بشئ من التح
ويواصل ابن الشّماع فيقول
القدّيس) لما دخل تونس قال أحد
يافرنسيس هذه أح
لك فيها دار ابن
والطواشي - كما جاء فيما سبق في
الأسير واسمه صبيح.

ويعلّق ابن الشّماع على
(قرب قرطاجنة) وأقبر بها وكان نزوله
ثمان وستين (668 هـ - 17 جوان 1270
بالرجال والأقوات والعدّة.

(كانوا زهاء ستّة آلاف فارس و
ابن خلدون كتاب العبر الجزء 6 ص 3
«وفي عاشر محرم من عام تسعة

في الحرب بينهم وبين الجنود التونسيين

سعدف أن قُتِلَ مرض الوباء في تونس، ثم

الملك لويس في 10 محرم سنة 669 هـ

بعد أن أغرمها المستنصر مالا اتفقوا

ببقايا قرطاجنة لئلا تكون مطمحا

هروقة في كتب التاريخ بالحملة الصليبية

تعني مدينة أريانة بصفة مباشرة كما

ذكر ابن الشّماخ الذي شغل خطة قضاء

من مدته من سنة 839 هـ / 1435 م إلى

مكتبة في كتابه «الأدلة البيئية النورانية في

ذكر نزول النصاري بتونس مع ملك

سعدف أن تجار أرضه ادّعوا على اللّحياني

تسوّ في ذلك أو لسبب، فامتنع السلطان

في ملك فرنسا) ذكر عند المستنصر فقال

في يديه)، وكان اجتمع له منهم جماعة

صحف عليه وحشد أهل ملته واستعان

بمؤيد، وعرفه أنه متوجّه إليه، فبعث

1250 م) نزل على مدينة دمياط (على

فأخذ وقيد ووكل به فتى اسمه صبيح،

مؤيد (بقيادة الملك الظاهر بيبرس)

في ملك فرنسا) وطيف على جمل،

لا يها أرض المسلمين بعدها أبدا، فأبى

نفسه الخبيثة إلا نكث العهد، وشرع في حركته إلى تونس، فكتب إليه صاحب الدّيار المصريّة من نظم
كمال الدّين بن مطروح أبياتا، وبعث بها مع رسول أنشدها له وهو قائم بمجلسه (البحر السريع):

قل للفرنسيس إذا جثته	مقال صدق من قؤول فصيح
أجرك الله على ما جرى	من قتل عبّاد يسوع المسيح
قد جثت مصر تبتغي أخذها	تحسب أن الزّمر ياطبل ريح
فساقك الحين إلى أدهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل فرسانك أودعتهم	بسوء تدبيرك بطن الضّريح
سبعون ألفا لا يرى منهم	إلا قتيل أو أسير جريح
إن كان باباكم بذّا راضيا	فربّ غبن قد أتى من نصيح
وقل لهم إن أزمعوا عودة	لأخذ ثار أو لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيّد باق والطّواشي صبيح

ومن الملاحظ أن هذا البيت الأخير بقي مثلاً يضرب إلى اليوم للإدلال على استقرار الأمور على

حالتها دون تغيير فيقال بشئ من التّحريف «دارلقمان على حالها»

ويواصل ابن الشّماخ فيقول: «ومن غريب الاتفاق أن الفرنسيّ (أي ملك فرنسا لويس التاسع

القدّيس) لما دخل تونس قال أحد أدبائها شعرا حسنا،(على بحر الخفيف):

يافرنسيس هذه أخت مصر	فتهيأ لما إليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر	وطواشيك منكرونكيـر

والطّواشي - كما جاء فيما سبق في لهجة أهل مصر في ذلك العصر - هو العبد المستخّر لخدمة الملك

الأسير واسمه صبيح.

ويعلّق ابن الشّماخ على البيتين السّالفين بقوله: «فصدقت الأقدار قوله ومات بأرض المعلقة

(قرب قرطاجنة) وأقبر بها وكان نزوله على تونس في يوم الخميس السّادس والعشرين لذي القعدة سنة

ثمان وستين (668 هـ - 17 جوان 1270 م) بجموع وافرة فرسانا ورجالا ورماة، ومددهم متصل كلّ يوم

بالرّجال والأقوات والعدّة.

(كانوا زهاء ستّة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرّجالة،فيما حدّث به ابن خلدون عن أبيه) انظر

ابن خلدون كتاب العبر الجزء 6 ص 668).

«وفي عاشر محرم من عام تسعة وستين (669 هـ / 29 أوت 1270 م) توفي طاغيتهم الفرنسيّ

أصبح ميتاً حتف أنفه. وقيل أصابه سهم غريب في بعض المواقف فأماته. (يسميه ابن خلدون سنلوس بن لويس: ج 6 ص 665). ويذكر صاحب كتاب العبر أنه مات بمرض الوباء. وقيل السلطان بعث إليه بسيف مسموم مع سليمان بن حزام مع سليمان الدلاجي كان فيه هلاكه. وأرسل الله عليهم وباء أمات كثيرا منهم. وطلبوا الصلح في أوائل ربيع الأول (أكتوبر 1270) فصالحهم السلطان - رضي الله عنه - على الانصراف إلى بلادهم من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين خشية أن يطأوا بعض البلاد، فلا يقدرون على مدافعتهم على أن يدفع لهم ألف قنطار ومائة قنطار وعشرة قناطر من الفضة الخالصة في مدة خمسة عشر عاما، فتم الصلح ودخل المسلمون محلّتهم وباعوا معهم واشتروا، فكانت مدة إقامتهم بتونس أربعة أشهر وعشرة أيام.

ولما انصرفوا أرسل الله عليهم ريحا أهلكت كثيرا منهم ثم بعد وصولهم لبلادهم حدث بهم من الضر ما أفنى جميعهم وكانوا يتحدثون بما رأوا من نجدة أهل إفريقية وكثرة أمدادها وقوة جهادها مع أن السلطان - رحمه الله - لم يخرج إلى قتالهم ولا باشره. وكان ملازما لبابه ألف فارس من الشجعان يقفون عند باب العدو إلى أن رحل النصارى عن تونس.

وفي أثناء إقامتهم كانت بينهم وبين المسلمين زخوف استشهد فيها من سبقت له من الله الحسنى. ومات في القتال خلق كثير من عظماء النصارى ومن سائرهم. ختم الله لهم بالشقاوة. وكان نزولهم على تونس سببا في إتلاف الأموال التي تركها المولى أبو زكرياء - رحمه الله - وغيرها مما جعله السلطان بعد وفاته لأن جميع الأرزاق للأجناد والأعراب والوفود كلّها من بيت المال لانقطاع السبل وأسباب المعاش. وكان كلّ ابتلاء للمؤمنين وتمحيصا. قال تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون» (الأنبياء الآية: 35).

ويستنتج مما نقله ابن الشماخ مؤرخ الدولة الحفصية في كتابه «الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية» عن أطوار الحملة الصليبية الثامنة وما دار فيها من أحداث العديد من الفوائد عن الموقف الرسمي تجاه نزول ملك فرنسا القديس لويس التاسع. فيرشدنا عن أسبابها وهو دين بعض التجار الفرنسيين الذي بقي في ذمة اللّحياني، هذا من جهة، ويصرّح عن الشك الذي حام حول موت ملك فرنسا، فهل كان سببه سهم أصابه في المعركة أم مرض الطاعون الذي تفشى في بقية عناصر الجيش، ثم هل دفن في المعلقة قرب قرطاجنة قبل أن ينقل رفاة فيما بعد لما عاد ما تبقى من جيوشه إلى فرنسا؟ وأبرز ما يفيدنا به ابن الشماخ أن جيوش المستنصر بالله الحفصي لم تشارك في القتال حسب قوله:

«فلم يخرج السلطان إلى قتالهم ولا باشره» وهذا يثبت كما سنبيّن ذلك من مصادر تاريخية أخرى أن المقاومة لجيوش النصارى كانت متمثلة في تحركات شعبية تزعمها شيوخ وعلماء بثّوا روح

الجهاد والتصدّي للمعتدين.

ونقدّم وجهة نظر أخرى معاصرة ليوّجه حملته الصليبية الثامنة ضدّ تخلص بيت المقدس وتخفيض شوكة بدفع ضريبة باهظة افتدى بها نفسه مختصّ في تاريخ الدولة الحفصية هو أطروحته لنيل شهادة دكتوراه الدولة البربر الشرقية على عهد الحفصيين "es à la fin du XV éme siècle"

يتعرّض في بادئ الأمر إلى وحشية ملك فرنسا الذي تلقى مبعوثي الجانب طلب مصادقة ملك فرنسا - اللّحياني كما قال ابن الشماخ أنفاً من ملكهم التّدخل في حقهم ولا لويس التاسع للقيام بالحملة الصليبية السلطان الظاهر بيبرس الذي أسره تونس وجعلها قاعدة لشنّ حملته وزادت طموح القديس لويس

الدومينيكان والفرنسيسكان القائمين قد أصبح متهيّئا لاعتناق المسيحية الأستاذ برنشفيك أن هذا الحلم الذي الذي أصبح لعبة في يد رجال الكنيسة انضمّ هؤلاء القساوسة إلى جيشه العمياء.

إنّ هذا الحدث الجسيم الذي أفراد المجتمع. وقد أصبحوا مهذّدين في التاسع غير حملة صليبية بتأييد من

الجهاد والتّصديّ للمعتدين.

ونقدّم وجهة نظر أخرى معاصرة عن الأسباب التي دفعت ملك فرنسا القديس لويس التاسع ليوجّه حملته الصليبيّة الثامنة ضدّ تونس بعدما فشل في حملته الصليبيّة السابعة التي قصد بها تخليص بيت المقدس وتخضيد شوكة الملك الظاهر بيبرس فكان نصيبه الأسر - كما أسلفنا - ولم ينج إلاّ بدفع ضريبة باهظة افتدى بها نفسه وإنّ لتوجّهه إلى تونس سنة 1270 أسبابا عديدة يستعرضها باحث مختصّ في تاريخ الدّولة الحفصيّة هو روبرار برنشفيك ROBERT BRUNSHVIG في الجزء الأوّل من أطروحته لنيل شهادة دكتوراه الدّولة الصّادر في باريس سنة 1940 في صفحتي 56 و57 وعنوانها «بلاد البربر الشّرقية على عهد الحفصيّين من النّشأة إلى موفى القرن الخامس عشر».

“ La Berbérie Orientale sous les Hafsides des origines à la fin du XV éme siècle ”

يتعرّض في بادئ الأمر إلى وجود علاقات دبلوماسية بين الحفصي سلطان تونس ولويس التاسع ملك فرنسا الذي تلقى مبعوثي المستنصر بالله في أكتوبر سنة 1269م. ومبعوثو الحفصي جاؤوا - إلى جانب طلب مصادقة ملك فرنسا - للتّفاهم في أموال التّجّار الفرنسيّين التي بقيت في ذمّة الليّاني ولا الليّاني كما قال ابن الشّمع أنفا. وقد كان الحفصي أمر بقتله لأسباب لا نعلمها وقد كان التّجّار طلبوا من ملكهم التّدخل في حقّهم ولا يرى الأستاذ برنشفيك أنّ هذه القصّة كانت وحدها سببا في تحرك لويس التاسع للقيام بالحملة الصليبيّة الثامنة. لكنه يرجّح أنّ ملك فرنسا مازالت به رغبة الانتقام من السّلطان الظاهر بيبرس الذي أسره سابقا وحال دونه ودون مدّ نفوذه على بيت المقدس، فأراد احتلال تونس وجعلها قاعدة لشنّ حملته على مصر والأراضي المقدّسة في فلسطين.

وزادت طموح القديس لويس التاسع للسيطرة على تونس المغالطة التي غدّاها بعض القساوسة الدومينيكان والفرنسيسكان القائمين بالتبشير والدعوة إلى المسيحيّة ومفادها أنّ المستنصر بالله الحفصي قد أصبح متهيئا لاعتناق المسيحيّة وهذا أمر يسهّل على ملك فرنسا مدّ نفوذه على تونس. ويعلّق الأستاذ برنشفيك أنّ هذا الحلم الذي راود القديس لويس ليس غريبا عندما نحلّل شخصيّة هذا الملك الذي أصبح لعبة في يد رجال الكنيسة. وقد انطلت عليه حيلهم وأعمى بصيرته التّعصّب الديني. وقد انضمّ هؤلاء القساوسة إلى جيشه وأصبحوا يسيرون حميّة المقاتلين ويتحكّمون في عاطفتهم الدنيّة العمياء.

إنّ هذا الحدث الجسيم الذي تعرّضت إليه البلاد التّونسيّة أيقظ وعيا قويا من التّضامن عند جميع أفراد المجتمع. وقد أصبحوا مهذّدين في ممتلكاتهم وأعراضهم ودينهم إذ لم تكن حملة ملك فرنسا لويس التاسع غير حملة صليبيّة بتأييد من البابا قصد تنصير كلّ البلاد والفضاء على القاعدة الإسلاميّة فيها.

فأما (يسميه ابن خلدون سنلويس) تعرض الوباء. وقيل السلطان بعث إليه فيه هلاكه. وأرسل الله عليهم وباء أمارت ناصحهم السلطان - رضي الله عنه - لمين خشية أن يطأوا بعض البلاد، فلا عشرة قناطر من الفضّة الخالصة في معهم واشتروا، فكانت مدّة إقامتهم

بعد وصولهم لبلادهم حدث بهم من ريفية وكثرة أمدادها وقوة جهادها مع أنّ ما لباه ألف فارس من الشّجعان يقفون شهد فيها من سبقت له من الله سكرهم. ختم الله لهم بالشقاوة.

لوى أبو بكرى - رحمه الله - وغيرها ممّا والوفود كلّها من بيت المال لانقطاع قال تعالى: «ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة

في كتابه «الأدلة البيّنة التّورانيّة في مفاخرها من أحداث العديد من الفوائد عن شذنا عن أسبابها وهو دين بعض التّجّار عن الشكّ الذي حام حول موت ملك الذي تفشّى في بقية عناصر الجيش، ثمّ ما عاد ما تبقى من جيوشه إلى فرنسا؟

ي لم تشارك في القتال حسب قوله: كما سنبيّن ذلك من مصادر تاريخيّة شعبية ترعّمها شيوخ وعلماء بثّوا روح

ويذكر المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان Charles André Julien في كتابه «تاريخ إفريقيا الشمالية» (ج2 ص 138) ما يثبت نية ملك فرنسا لويس التاسع الذي صهّم على تنصير البلاد التونسية فيقول: «نهم أكثر عزم القديس لويس الذي حثّه الرّاهب ريمون مارتان Raymond Martin أستاذ اللغة العبرية واللغة العربية في دير الدومينيكان Dominicain بتونس وصديق الخليفة. فملك فرنسا أعلم أو ظنّ أنّه فهم أنّ المستنصر كان عازماً على اعتناق المسيحية. ويرجع بعضهم حسن نية القديس لويس إلى المخادعة الإسلامية دون مبرّر لذلك. وقد أبدى الملك حمّسه إلى إمكانية نقل إفريقية إلى مركز قويّ للمسيحية أو على الأقلّ قاعدة لمقاومة بيبيرس سلطان مصر الذي أصبحت تحرّكاته محفوفة بالمخاطر.

وإنّ المسرح الذي دارت فيه أحداث هذه الحرب التي كادت تقضي على الدولة الحفصية بين المستنصر بالله في عزّ قوته وملك فرنسا القديس «لويس التاسع»، كان مدينة أريانة وسهلها المخاذي لقرية العوينة الفاصلة بينها وبين قرطاج.

فما كان من المستنصر بالله الحفصي - وقد تأزّمت العلاقات مع الصليبيين الذين رفضوا المهادنة - إلّا أن توجه بالنداء إلى الجهاد ضدّ هذه الزحفة الصليبية، فهبّ الناس من كلّ حدب وصوب. وقد سبق أن ذكر لنا ابن الشّمع في كتابه «الأدلة البيّنة التورانية في مفاخر الدولة الحفصية» أنّ السّطان لم يشارك بجيوشه في هذه الحرب «ولم يخرج إلى قتالهم ولا بأشره». وكان ملازماً لبابه ألف فارس من الشّجعان يقفون عند باب العدو إلى أن رحل النصارى من تونس فكان المقاومون للنصارى من عامّة الشّعب. وللحديث عن المشاركين من المقاتلين في هذه المعركة لا بدّ أن نوضّح الوضع الاجتماعي والعائدي في البلاد التونسية عامّة وفي أريانة وضواحيها خاصّة، هذه المدينة التي اضطلعت بمسؤوليّة الدّفاع عن شخصيّة البلاد بكاملها، وتصدّر أهلها ومن قدم إليهم من أقاصي الجهات للجهاد في سبيل حماية حوزة الدّين الإسلامي من زحفة النصارى وردّ كيدهم في نحرهم.

فما هو حينئذ الوضع الفكري والثقافي والعائدي في هذه الرّبع قبل قدوم الصليبيين إلى قرطاج وتربّصهم بالبلاد شرّاً؟

إنّ العودة إلى تاريخ البلاد التونسية قبل نشأة الدولة الحفصية أي في مستهلّ القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد) - إذ اعتلى أول أمير حفصي عرش تونس وهو أبو محمّد عبد الواحد في 10 شوال من سنة 603 هـ 10 ماي 1207 م حسب عبد الرّحمان ابن خلدون (ج6 ص 583) - تتمكّن بها من الاطلاع على خصائص الحياة الثقافيّة حينما امتدّ نفوذ الموحّدين من غرب بلاد المغرب إلى شرقها، فبدأوا يوطّدون أسس الثّبات والاستمرار والنّجاح لمذهبهم عن طريق النّفوذ السياسي. فبدأ

في نفس الحين انتشار التّعليم الصّوفي وكثيرة من البلاد لثقافة دينيّة وعقائدية والسياسي والثقافي مع الموروث الفكري مقتضيات الاجتهاد والاستثمار الرّصين وقد مهّد من جهة أخرى للحرّ السّادس للهجرة أي الحادي عشر الهجري البحرية. وهذه المراكز التي أنشئت في للجهاد وحماية المدن السّاحليّة من الغزو واشتهر من هؤلاء العبّاد عبد يعقوب الدّهمني، دفين مدينة القيروان صديقه أبو بكر القرشيّ المهديّ، دفين المتصوّفين والعبّاد وهم الآخذون بالبلاد تلمسان (509 هـ - 594 هـ). ومن شيوخ المتوفّى سنة 628 هـ / 1231 م وهو عبد العزيز المهديّ دفين المرسى، وقد بن العربي (560 هـ - 638 / 1165 هـ) وقد تكوّنت حول هؤلاء المتصوّفين والزّهّاد جموع غفيرة وقفوا بكلّ بسالة دعا إلى المشاركة فيها هؤلاء الصّالحاء عارم وهم يتقدّون حماساً فتوافدوا من سنّفصل ذلك.

وكان للمتصوّفين والعبّاد في المشاركين فيها (راجع في ذلك كتاب المشاركين (1999).

وأهمّ مرجع يفصّل الدور الذي من النشأة إلى القرن الخامس عشر الهجري القيروان إلى السّاحل أخذ الصّوفيون

Charles A. في كتابه «تاريخ إفريقيا
الشمالية» الذي صمّم على تنصير البلاد
أب ريمون مارتان Raymond Martin
Domani بتونس وصديق الخليفة. فملك
على المسيحية. ويرجع بعضهم حسن نية
على الملك تحمّسه إلى أمكانية نقل إفريقية
من مصر الذي أصبحت تحرّكاته محفوفة

كانت تقضي على الدولة الحفصية بين
كان مدينة أريانة وسهلها المخاض لقرية
كانت مع الصليبيين الذين رفضوا المهادنة.
كان من كلّ حذب وصبوب. وقد سبق
الدولة الحفصية أن السلطان لم يشارك
كان ملازما لبابه ألف فارس من الشجعان
كانوا للتصاري من عامة الشعب.

لا بد أن نوضح الوضع الاجتماعي
هذه المدينة التي اضطلعت بمسؤولية
من أقاصي الجهات للجهاد في سبيل
في حرهم.

«ربيع قبل قدوم الصليبيين إلى قرطاج

الحفصية أي في مستهل القرن السابع
عرش تونس وهو أبو محمد عبد الواحد
الرحمان ابن خلدون (ج 6 ص 583) -
نقود الموحدين من غرب بلاد المغرب
بهيم عن طريق النقود السياسي. فبدأ

في نفس الحين انتشار التعليم الصوفي وإرساء مبادئه بطرق مختلفة ضمنت التركيز والاستمرار في أنحاء
كثيرة من البلاد لثقافة دينية وعقائدية لها طابعها الخاص تفاعلت على بساط الواقع الاجتماعي
والسياسي والثقافي مع الموروث الفكري وحصل التوفيق مع أصول الشريعة الإسلامية الخالصة حسب
مقتضيات الاجتهاد والاستثمار الرصين لما تسمح به النصوص التشريعية المنقولة.

وقد مهد من جهة أخرى للحركة الصوفية التي نشطت في عموم البلاد التونسية في القرن
السادس للهجرة أي الحادي عشر الميلادي انتشار الرّباطات منذ العهد الأغلبي على جميع السواحل
البحرية. وهذه المراكز التي أنشئت في أصلها للحراسة من غزوات الأعداء تستقطب العباد والمتفرّغين
للجهاد وحماية المدن الساحلية من الغزاة والمغامرين قصد النهب والسّطو.

واشتهر من هؤلاء العباد عدد كبير كانوا يلقّبون بالأتباع والمريدين. ومن أبرزهم أبو يوسف
يعقوب الدّهْماني، دفن بمدينة القيروان الذي كانت وفاته سنة 621 هـ / 1224 م، وفي نفس السنة توفي
صديقه أبو بكر القرشي المهدوي، دفن بمقبرة الشيوخ بالمرسى على طريق قمرّت. وتتواصل سلسلة
المتصوفين والعباد وهم الآخذون بالمبادئ الصوفية عن الشيخ القطب شعيب أبي مدين دفن بمدينة
تلمسان (509 هـ - 594 هـ). ومن شيوخ الطريقة نذكر «أبا سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي»
المتوفى سنة 628 هـ / 1231 م و«أبا الحسن الشاذلي» 591 - 656 هـ / 1195 - 1258 م، وكذلك
عبد العزيز المهدوي دفن بالمرسى، وقد كانت له صحبة وصداقة بالقطب الأكبر في التصوف محيي الدين
بن العربي (560 هـ - 638 / 1165 - 1240 م) الذي أقام عنده في المرسى قبل ارتحاله إلى دمشق.

وقد تكوّنت حول هؤلاء المتصوفين ومن والاهم من المريدين والآخذين بمبادئهم من العباد
والزهاد جموع غفيرة وقفوا بكلّ بسالة في وجه الصليبيين. وأخذت الحرب مظهر الجهاد في سبيل الله
دعا إلى المشاركة فيها هؤلاء الصلحاء عامة الناس الذين جاؤوا من أطراف البلاد يحدوهم شعور ديني
عارم وهم يتقدّون حماسا فتوافدوا من كلّ حذب وصبوب حتى من المغرب الأوسط (الجزائر اليوم) كما
سنفصل ذلك.

وكان للمتصوفين والعباد في الأريطة الكثيرة على السواحل دور فعّال في هذه الحرب فأطروا
المشاركين فيها (راجع في ذلك كتاب الرّباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط لناجي جلّول - تونس
1999).

وأهم مرجع يفصل الدّور الذي قام به المتصوفون هو كتاب «إفريقية الشرقية في عهد الحفصيين
من النشأة إلى القرن الخامس عشر» لروبار برنشفيك في الجزء الثاني (ص 331-332) حيث يقول: «من
القيروان إلى الساحل أخذ الصّوفيّون يتكاثرون. ومنذ منتصف القرن الثالث عشر يمكننا أن نقول دون

أن يخالفنا أحد: «إن الساحل يعمّره أولياء الله الصالحون».

وأبرز هذه الشخصيات الذين سجل أسماءهم ابن ناجي في كتابه «المعالم» ينتمون حسب ما يظهر إلى مدرستين - وإن كانت هذه التّجزئة صعبة التّحديد - وهو أمر لا تبيّنه النّصوص بوضوح. إنّ أولاهما في الظّهور تضم أصحاب الدّهmani (دفن القيروان والمعروف قبره إلى اليوم)، وثانية هاتين المدرستين الصّوفيّتين وهي التي كان بروزها متأخراً عن الأولى فقد كانت مركّزة على دعوة أوسع وعلى العمل الميداني. إنها سليله شيخ من قرية سدّادة بالجريد يدعى أباهلال، وكان لها من الانتصار أبو علي سالم بن سعيد الحضرمي وقد نشأ في قرية قديد بالسّاحل.

وأبو علي القديدي هذا نراه بجوار تونس (أي في مدينة أريانة) سنة 1270 للميلاد شاهراً سلاحه إلى جانب سيدي عمّار في مواجهة الصّليبيين بقيادة القديس لويس. وقد رأى القديدي من واجبه أن يشارك بنفسه في الجهاد. وسنحت له الفرصة في مناسبتين كذلك ليشترك في الجهاد دفاعاً عن سكّان سوسة والمهدية ضدّ النّصارى. وكان قد انضمّ سنة 680 هـ / 1282 م إلى قافلة الشيوخ الكبرى التي توجّهت ضمنها عديد الشخصيات الدّينية من إفريقية إلى الحجّ. وكانت وفاته في ذي القعدة من سنة 699 هـ (أوت 1300م) في زاويته بالقيروان حيث دفنت أمّه أمّ سلامة زينب التي تعتبر امرأة صالحة منذ سنة 670 هـ 1272 م.

وقد فقد قبل ذلك بأشهر أحد أتباعه الورعين وهو محمّد الرّياوي الذي كان له فضل بناء بعض الميضات وترميم سور القيروان، وكما فقد قبل ذلك بثلاث سنوات تابعه وصديقه محمّد الدّكّالي المعروف بمدينة سوسة وقد دفن بها حيث قضى بقية حياته.

وكان لأبي علي سالم القديدي كثير من المريدين والأتباع. وقد كان ينتظم حوله - حسب ما يذكر - حوالي ثلاثمائة منهم فكان توّافاً إلى مدّ يد المساعدة وإلى حماية الناس من الكوارث الطّبيعية، كزحف الجراد وتجاوزات جمع الجباية أو غزو البدو. وعرف بحامي المستضعفين. ويعاضده في هذا العمل بعض أتباعه. وبهذه الطريقة بدأت وظيفة الأولياء الاجتماعية التي توقّرت لها الظروف لتتوسّع وتتطوّر (الجزء الثاني ص 332-333).

إنّ في هذا الاطار المتطوّر للتصوّف وانتشار أقطابه على سواحل البلاد وداخلها في المدن والرّباطات العديدة تنتزّل الحملة الصّليبية الثامنة التي وجهها القديس لويس التّاسع على تونس سنة 1270 للميلاد. واستطاع المستنصر بالله الحفصي اغتنام فرصة تباطؤ قدوم «شارل دنجو» بمدّده لمعاوضة أخيه ملك فرنسا لينظّم طريقته الدّفاعية ويستنجد بالمتطوّعين من القبائل والأرطة من أقصى المدن وخاصة من القيروان. وجاء المشاركون من الجهات البعيدة من قسنطينة يقودهم والي بجاية والمغرب الأوسط أبوزيان

محمّد عبد القدير أمير بني توجين.

وبرز في هذه المقاومة الشّعبية عمّار المعروف. وثبت روبر برنشتيك والصّوفية الشّعبية تركّز في الجهة الشرقية بين تونس وقرطاج. وإن قيادة الجيوش بجانب السّلطان الحفصي تحت خيمته فريدريك دي قستيلية de Castille هذه المعركة، استعان المستنصر بالله بـ اصطدام مع عدوّهما المشترك أخ ملك جيش الصّليبيين.

ولا يمكن للقديس لويس الشّيب صقلية. وقد ترك لنا الكاتب الفرنسي المقدس» وصفا دقيقاً لوضع جيش فرنسا من الإعياء والتّدهور الصّحّي ودي نفار Le comte de Nevers وروندôme

وقد زاد في انخزال الصّليبيين وكذلك ما قام به المجاهدون من تدرية قرطاج وضواحيها، فكانت مقاومة شديدة **مظاهر الحضارة الحفصية في تونس** توفّقت الدّولة الحفصية من جهة

على المستويين السّياسي والاقتصادي فقد تميّزت هذه الحضارة في الموحدي. وهذا الإحياء تحقّق بتأثير الشّهير ابن عرفة (1316 - 1404م) يقدّمها الصّوفي الكبير أبو مدين في

محمد عبد القدير أمير بني توجين .

وبرز في هذه المقاومة الشعبية للحملة الصليبية الشيخان المتصوفان أبو علي سالم القديدي وأبو علي عمّار المعروف. ويثبت روبر بارنشفيك في الجزء الأول ص 60 من أطروحته أن محطّ المقاومة الحفصية والصوفية الشعبية تركّز في الجهة الشرقية من مدينة أريانة غير بعيد عن قرية العوينة في منتصف الطريق بين تونس وقرطاج. وإن قيادة الجيوش النظامية تولّاها الأمير الموحدّي يحيى بن صالح الهنتاتي. وإلى جانب السلطان الحفصي تحت خيمته في محطّ الجيش - زيادة على البارزين من رجال دولته - يحضر معه فريدريك دي قستيلية Frédéric de Castille وفريدريك لنشيا Frédéric Lancial و هما مستشاران في هذه المعركة، استعان المستنصر بالله بما لهما من فتيّات حربية في هذا الطّرف، وقد كانا قبل ذلك بسنة في اصطدام مع عدوّهما المشترك أخ ملك فرنسا صاحب صقلية «شارل دنجو» الذي تأخّر في اللحاق ببقية جيش الصليبيين.

ولا يمكن للقديس لويس التاسع المجازفة بجيشه لاقتحام مدينة تونس دون أخيه شارل دنجو ملك صقلية. وقد ترك لنا الكاتب الفرنسي شاتو بريان chateaubriand في «الرحلة من باريس إلى بيت المقدس» وصفا دقيقا لوضع جيش الصليبيين عندما فشّت فيه عدوى مرض الطاعون وما حلّ بقائده ملك فرنسا من الإعياء والتدهور الصحيّ والانهايار النفسي عندما مات بين ذراعيه ابنه الكونت دي نفار Le comte de Nevers ورأى العديد من قوّاده ينالهم نفس المصير:

Les comtes de Nemours, de montmorency et de Vendôme

وقد زاد في انخزال الصليبيين إلى جانب المرض شدّة حرارة الصيف في تلك السنة في قرطاج، وكذلك ما قام به المجاهدون من تذرية الرّمال السخنة بأجهزة حربية نصبوها للمقاومة من أعلى روابي قرطاج وضواحيها، فكانت مقاومة شديدة على الأعداء.

مظاهر الحضارة الحفصية في تونس وأريانة:

توفّقت الدّولة الحفصية من جهة أخرى إلى الاحتفاظ بمنزلتها في الميدان الفكري إلى جانب نشاطها على المستويين السياسي والاقتصادي، فيمكن القول: إنّنا تجاه حضارة حفصية.

فقد تميّزت هذه الحضارة في الجانب الدّيني بإحياء المذهب المالكي بعد نكسته طيلة الاستيلاء الموحدّي. وهذا الإحياء تحقّق بتأثير الاتجاهات الفقهية في تونس وبجاية والقيروان وخاصةً بنشاط الإمام الشّهير ابن عرفة (1316 - 1404م). وفي نفس الوقت نشهد ازدهار التصوّف بفعل الدّروس التي كان يقدّمها الصّوفي الكبير أبو مدين في مدينة بجاية، سيدي بومدين المتوفّي في تلمسان سنة 1197 أو

في كتابه «المعالم» ينتمون حسب ما يظهر ولا تبيّن النصوص بوضوح. إنّ أولاهما في قريه إلى اليوم). وثانية هاتين المدرستين كانت مركّزة على دعوة أوسع وعلى العمل. وكان لها من الأنصار أبو علي سالم بن

أريانة) سنة 1270 للميلاد شاعرا سلاحه لويس. وقد رأى القديدي من واجبه أن شارك ليشارك في الجهاد دفاعا عن سكّان 1282 م إلى قافلة الشيوخ الكبرى التي وكانت وفاته في ذي القعدة من سنة 699 م. زينب التي تعتبر امرأة صالحة منذ سنة

الرباوي الذي كان له فضل بناء بعض قبعه وصديقه محمد الدكّالي المعروف

وقد كان ينتظم حوله - حسب ما يذكر ابنه تناس من الكوارث الطّبيعية، كزحف الصّغفين. ويعاضده في هذا العمل بعض قوت لها الطّروف لتتوسّع وتتطوّر» (الجزء

و حل البلاد وداخلها في المدن والريّاطات لويس التاسع على تونس سنة 1270 م «شارل دنجو» بمدده لمعاوضة أخيه ملك والأرطة من أقصى المدن وخاصة من دهم والي بجاية والمغرب الأوسط أبوزيّا

1198م. وقد بثّ تعاليم المذهب كلّ من أبي سعيد الباجي (سيدي بوسعيد) وأبي الحسن الشاذلي (سيدي بلحسن) وعائشة المتوبية (لله المتوبة) ووجد انتشارا كبيرا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. ثمّ إنّ أبرز ممثل للتصوّف كان الولي الصالح في تونس سيدي ابن عروس. وقد حظي بالتقدير طيلة حياته. وشيعة سكّان مدينة تونس بأجمعهم إلى مثواه الأخير سنة 1463م.

أمّا العلوم الصحيحة فقد عرفت تدنّيا في إفريقية مثلما حدث لها في سائر العالم الإسلامي، فلا نجد فيها عالما رياضيا واحدا ولا فيزيائيا ولا طبيبا ذا منزلة طوال العهد الحفصي. ويقابل هذا تعاطي أدب تراجم الأعلام بكثرة. وإضافة لما قدّمه العبقري ابن خلدون نذكر مؤلفات تاريخية قيمة مثل رحلة التيجاني (القرن الرابع عشر)، والفارسية لابن قنفذ والأدلة للهنناتي، وتاريخ الدولتين المنسوب للزركشي. وجميعها تعود إلى القرن الخامس عشر.

وإذا أضفنا إلى ذلك النثر الفني كزخرف المراسلات الرسمية والشعر المركز في أكثره على المناسبات بهذا محصل لنا فكرة تقريبية عما كانت عليه الحياة الثقافية في المملكة الحفصية. إنّها حياة فكرية متردّية تتأرجح بين المؤثرات الأندلسية بما هي فيه من التدنّي وبين المؤثرات الشرقية المحدودة. إنّها في حالة انتظار وفي شبه سبات. ومن بعض مزاياها على الأقل أنّها تحافظ على بقايا سيرة ثقافية عريقة ومزدهرة شدّ بها في عصره وأثرها ابن خلدون.

إنّ السلاطين الحفصيين كانوا منشئين للعمارة. وقد وجدوا في المدن من البصمات ما يذكّر بالعمارة الأغلبية والصنهاجية. وزيادة على ما كانت تحييه فيهم هذه المعالم من تذكّر السّنة القديمة والمؤثرات الشرقية فإنّهم أصبحوا تحت تأثير ما يمليه عليهم الفنانون الأندلسيون المزدحمون على بلاط تونس. يكتب (المؤرخ) ابن سعيد إلى أحد الأعيان المهاجرين من إسبانيا يقول «إنّ أبا زكرياء السلطان الحالي ينشئ المعالم ويبني القصور ويعمّر البساتين وحقول الكروم على عادة أهل الأندلس. إنّ مهندسيه هم أبناء أرض العدو وكذلك بناؤوه ونجاروه وطيّانوا الأجر ودهانوه وبستانيوه».

نعم، إنّ تصاميم المعالم قد رسمها أندلسيون أو قد تكون منقولة عن المعالم نفسها في بلادهم. وإنّ بهرج الثقافة المرينية التي نشرها العلماء حول أبي الحسن تبدو علاماتها في الفن الإفريقي فقد بادر أبو زكرياء فأنشأ في تونس تبعا للتقاليد الإفريقية القديمة جامع القصبة الذي يذكّرنا بجامع القصبة في مراكش بهيئته المثقلة وصومعته المربعة. أمّا المستنصر فقد بنى مسجدا بالمنستير. وأنجز الخليفة أبو حفص إصلاحات هامة في جامع القيروان (1294). ولم يبق شيء من قصور المستنصر التي بهرت ابن خلدون إلّا أنّنا نحفظ ببابين معقّفين في المنستير يعود أحدهما إلى عهده. وقد تقدّمهما رواقان. ويحتوي بستان لهذا السلطان وهو المعروف بأبي الفهر فسقية حيث تتبارى جواريه في فلكهن على الماء.

ولتزويد هذه الفسقية بالماء رمى (من أهمها فرع باردو المعروف إلى اليوم) وأنشأ الحفصيون كذلك في مكناس شكل مصاصات (أو حنفيات عمودية) إنّ المصمّمين بإفريقية يميلون إلى تعطي لمدينة تونس مظهرها الخاص. سنة 1225 م في الجهة الشمالية الغربية أريانة. أمّا قصر باردو الذي بناه أبو عبد الله عشر.

وفي الختام نذكر أنّ أبا عبد الله نهاية الأمر إنّ الحفصيين لم يكونوا يوافقون كسابقيهم من الموحدّين فلا يملك مثل تونس طيلة قرون بطابعهم واستقلال الحال في مدينة القيروان. إنّهم الحفصيون نصف الحفصيين. وبإمعان النّظر نقول من المسيحيين المغامرين بلا انقطاع البلاد، فنقول إنّ أعمالهم وإن كثرت وتستنتج من هذه الخلاصة أنّ مؤلفه «تاريخ إفريقيا الشمالية» إنّ التطور العمراني في عهد الدولة الحفصية الحفصي (1249 - 1277) إذ قد بنى كما بنى عدد كبير من أعضاء حاشية الخفيف اليوم.

وقد أتت يد التّخريب على هذه الملقب بشارل كان في الثّلاث الأوّل من أريانة ومعالمها السلطانية إذ هم الذين لبناء حصن الإسبان بحلق الوادي

الحسين (سيدي بوسعيد) وأبي الحسن
كثيرون كبروا في النصف الثاني من القرن
في تونس سيدي ابن عروس. وقد حظي
شرفه الأخير سنة 1463 م.

حدث لها في سائر العالم الإسلامي، فلا
العهد الحفصي. ويقابل هذا تعاظم أدب
تذكر مؤلفات تاريخية قيمة مثل رحلة
لللمهنتاتي، وتاريخ الدولتين المنسوب

الرسمية والشعر المركز في أكثره على
الثقافة في المملكة الحفصية.

ما هي فيه من التذني وبين المؤثرات
مواياها على الأقل أنها تحافظ على بقايا

حدثوا في المدن من البصمات ما يذكر
هذه المعالم من تذكر السنة القديمة
تونس الأندلسيون المزدحمون على بلاط
إسبانيا يقول «إن أبا زكرياء السلطان
الكروم على عادة أهل الأندلس. إن
أجرود هانوه وبستانيه».

من مقولة عن المعالم نفسها في بلادهم.
سوا علاماتها في الفن الإفريقي فقد بادر
القصة الذي ذكرنا بجامع القصة في
سجدا بالنستير. وأنجز الخليفة أبو حفص
قصور المستنصر التي بهرت ابن خلدون
وقد تقدمهما رواقان. ويحتوي بستان
ربه في فلكنه على الماء.

ولتزويد هذه الفسقية بالماء رمم ساقية الامبراطور هديران التي تحملها الحنايا، وأضاف إليها فروعا
(من أهمها فرع باردو المعروف إلى اليوم وفرع ببستان أبي فهر ويمر قديما من بئر بلحسن).
وأنشأ الحفصيون كذلك في مدينة تونس أحواضا ومناهل للسقاية مازالت قائمة إلى اليوم في
شكل مصاصات (أو حنفيات عمومية لسكان العاصمة بتونس).

إن المصممين بإفريقية يميلون باستمرار إلى الزخارف الملونة فنقول في نهاية الأمر إن الأحواز التي
تعطي لمدينة تونس مظهرها الخاص هي من إبداع الحفصيين. نذكر أولا قصر رأس الطائبة الذي أنشئ
سنة 1225 م في الجهة الشمالية الغربية من مدينة تونس ثم سكنه المستنصر، ثم خط بستانه بجانب بلدة
أريانة. أما قصر باردو الذي بناه أبو فارس فإنه يعود على ما يبدو إلى السنوات الأولى من القرن الخامس
عشر.

وفي الختام نذكر أن أبا عبد الله محمد قد ابتنى سكنى للترهة في مدينة المرسى. ويمكن القول في
نهاية الأمر إن الحفصيين لم يكونوا بناء كبارا للعمارة. وبهذه الصفة لم يتركوا معالم تدعو إلى الإعجاب
الفائق كسابقهم من الموحدون فلا يمكننا أن نتحدث عن فن معماري حفصي إلا أنهم قد طبعوا مدينة
مثل تونس طيلة قرون بطابعهم واستطاعوا إقامة منشآت معمارية ثبتت في وجه زحفة الأعراب كما هو
الحال في مدينة القيروان. إنهم المحافظون على حضارة لم يزدوا عليها شيئا طريفا يذكر. بهذا يمكن أن
نصف الحفصيين. وبإمعان النظر نقول إنهم شغلوا دون انقطاع بإمساك جماح القبائل الثائرة وبالاحتراس
من المسيحيين المغامرين بلا انقطاع. وكانوا في كل هذا لا يلجأون إلى الاستعانة بأي كان من خارج
البلاد، فنقول إن أعمالهم وإن كانت محدودة اللّمعان فإنها في أقل تقدير تدعو إلى الاحترام.

ونستنتج من هذه الخلاصة العامة التي كتبها المؤرخ شارل أندري جليان عن «الحضارة الحفصية»
في مؤلفه «تاريخ إفريقيا الشمالية» (ج2 ص152 - 154) أن جهة مدينة أريانة قد حظيت بنصيب وافر من
التطور العمراني في عهد الدولة الحفصية وخاصة في القرن الثالث عشر للميلاد على عهد المستنصر بالله
الحفصي (1249 - 1277) إذ قد بنى قصوره ومنتهاته وثكنة جيشه في برج العلوج قرب التحلي اليوم
كما بنى عدد كبير من أعضاء حاشيته منازلهم الفخمة وقصورهم في دائرة برج الوزير ومحطة المترو
الخفيف اليوم.

وقد أتت يد التخريب على هذه المعالم أثناء قدوم الجيوش الإسبانية بقيادة ملكهم شارل الخامس
الملقب بشارل كان في الثلث الأول من القرن السادس عشر 1535 وسبب ما أحدثوه من ضرر لمدينة
أريانة ومعالمها السلطانية إذ هم الذين كسروا الحنايا وعاثوا فسادا في كل المباني بالجهة، ونقلوا حجارتها
لبناء حصن الإسبان بحلق الوادي الذي مازال قائما.

المجاهد سيدي عمار المعروف في دفين مدينة أريانة:

«أبرز وجه من شخصيات أريانة المجاهدة في العصر الحفصي إنما هو أبو علي عمار المعروف، فمن هو سيدي عمار وما صلته بأريانة؟

إن أول من ترجم لسيدي عمار الولي الصالح بأريانة هو عبد الرحمان بن محمد الدباغ في كتابه «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» وهو مطبوع في أربعة أجزاء. وقد توفي الدباغ سنة 699 هـ / 1300 م. وهو معاصر لسيدي عمار، ذلك أنه التقى بالرحالة المغربي محمد العبدري الحياحي، وهو من وصف لنا ساقية الحنايا كما أسلفنا حين التقى به في القيروان أثناء مروره بها قاصدا الحج على طريق البر. يقول العبدري عن الدباغ «لقيته يوم وردنا القيروان فرأيت شيخا زكيا حسيفا ذا سمة وهيئة وسكون ظاهر، محبا لأهل العلم، حسن الرجاء بر اللقاء، لم يؤثر الكبر في جسمه على علو سنه، ولا تغير شيء من ذهنه وحواسه سألته عن مولده فقال لي: سنة خمس وستمائة (605 هـ) - وهو حفظه الله - من أهل التهمم والعناية بالعلم» وكان لقاء العبدري بالدباغ سنة 688 هـ / 1289 م فيكون صاحب معالم الإيمان قد تجاوز الثمانين بحساب ذكره لميلاده سنة 605 هـ / 1209 م.

وسيدي عمار كان حيا ومشاركا في مقاومة الصليبيين كما سنبين ذلك، سنة 668 هـ / 1270 م. وليس غريبا ان يكون الدباغ قد عرفه عن كثر خاصة وأنه كان على صلة بشيخه سالم القديدي حين كان من مريدي التصوف على يديه. ويواصل العبدري حديثه عن الشيخ الدباغ «وألّف كتابا حسنا مفيدا في طبقات من دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها الإسلام إلى زمانه، وهو كبير في مجلدين وسمّاه «معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان».

وفي هذا الكتاب تعرف الكثير عن سيدي عمار ولي أريانة الصالح ودفنهما أمام بابها الوحيد في السور الذي كان يحيط بها في مستهل هذا القرن، «وما من داخل إليها أو خارج من مدينة أريانة العتيقة إلا ويبادر ضريح سيدي عمار «بو سنّة» كما يكنّيه أهل البلد، أو كذلك من دخل إلى مقامه الذي تعلوه قبة شامخة، بتلاوة فاتحة الكتاب على قبره أو من نافذة مفتوحة على الشارع مطلّة على تابوته».

فمن هو هذا الولي الصالح الذي يرغب سكّان مدينة أريانة في نيل بركاته والخطوة بكراماته؟ لقد اعترف له كلّ القدماء والمحدثين من سكّان أريانة بخصلتين مرموقتين: أولاهاما تتعلق بتقواه ونقاوة سريرته بما مثله انتماؤه إلى الحركة الصوفيّة التي ازدهرت في القرنين السادس والسابع (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)، وثانيتهما مشاركته بل قيادته للجهاد أو المقاومة المقدسة لحماية حوزة الإسلام وردّ المعتدين من الصليبيين بقيادة ملك فرنسا القديس لويس التاسع (1214 - 1270 م) وذلك عندما نزل بجيوشه عن طريق البحر بقرطاج في يوم الخميس السادس والعشرين لذي القعدة سنة ثمان وستين

وستمائة للهجرة (668 هـ / 17 جوان

وانتهت هذه الحملة الصليبية حيث الكندرائيّة التي تحمل اسمه

محرم من عام تسعة وستين وستمائة الدولة الحفصية في كتابه «الأدلة

الفرنسيين، أصبح ميتا حتف أنفه، وباء الوباء. وقيل السلطان بعث إليه ب

هلاكه. وأرسل الله عليهم وباء أمت سيدي عمار المعروف - بوسته -

هو علي عمار المعروف نسبة إلى الدباغ في كتابه «معالم الإيمان وروض

والرجال الصلحاء من مدينته، فيقتل منهج أحد أقطابه وهو أبو يوسف

للشيخ أبي هلال السّدي (أصيل المتصوّف الكبير الشيخ سالم القديدي

بالقيروان اليوم. فلازمه سيدي عمار بفصاحته وقوله الشعر، وكان مق

واستجاب كل من سيدي عمار والجهاد لردّ كيد الصليبيين بقيادة

الخميس السادس والعشرين لذي وقدم الاثنان في وفد القيروان

أريانة والعوينة. وكان سيدي عمار ويقودان حملة شعبية من المريد

الصليبيين الباحث الفرنسي روجي (طبعة الجزائر 1924 ص 44 - 58)

كتاب «الأدلة البيّنة التورانية في منافع فصالحهم السلطان على الانصراف

والعشرين لذي القعدة سنة ثمان وستين

بعض البلاد. فكانت مدة إقامتهم بتونس أربعة أشهر وعشرة أيام.

ونذكر أن ملك فرنسا القديس لويس التاسع قد توفي في العاشر من محرم من عام 669 هـ / 29 أوت 1270 م قبل أن يسعفه أخوه - صاحب صقلية - شارل دنجو - بالمدد والإعانة، وهو الذي عقد الصلح مع المستنصر بالله الحفصي. وقد انتشر الوباء انتشارا كاملا في صفوف المعتدين، وبدأت أعراضه تظهر في صفوف المجاهدين، فأصيب سيدي عمار بالزحار Dyssenterie نتيجة هذه العدوى، بعد قليل من انتهاء هذه الحرب كما يؤكد ذلك Robert Brunschvig في أطروحته التي ناقشها في جامعة الجزائر سنة 1940 «تاريخ إفريقية في العهد الحفصي» (الجزء 1 ص 60 والجزء الثاني ص 332). ولازم الشيخ سالم القديدي رفيقه حتى وفاته، ودفنه بنفسه في مدخل أريانة أمام باب سورها العتيق، وهو الباب الوحيد الذي يخرج منه سكان المدينة فيبادرون ضريح سيدي عمار بالتحية وقراءة الفاتحة صباحا مساء. ومنذ ذلك اليوم أصبح ضريح سيدي عمار مزارا تترجى كرامات صاحبه، وتطلب بركاته من عامة سكان أريانة سواء كانوا من المسلمين أو من اليهود. واحتل الولي الصالح سيدي عمار علي «بوسنة» في نفوس الأريانيين ما يحتله الإمام محرز بن خلف بن رزين الصديقي من سكان حاضرة تونس من التقدير والاحترام الممزوجين بشعور من الخشوع ونسيان مشاغل الدنيا، والميل إلى التبتل والتفكير والرجوع إلى النفس بالتقويم بحثا عن الطمأنينة وهدوء الوجدان.



مقام الجليل سيدي عمار المعروف بدين مدينة أريانة في سنة 1960



سيدي عمار في المخيال الشعبي
لقد شاع في التصور الشعبي
المفعول بعد موتهم. وهم يتمتعون
الصلحاء أحياء في الضمير الشعبي
واحد منهم صاحب الخطوة. ويكثر ذلك
دفن في غير أرضه فانه يعود إلى
حيث ضريح هذا الولي الصالح
لسيدي عمار المعروف بضريحه
بين القيروان وسليانة. وهذه سنة
وهناك. لذلك ليس غريبا أن نجد
وما يذكر أن سكان أريانة
ليدفن في مدينته تبركا بهذا المجاهد
ونقاوة طويته. وليس غريبا أن تكثر في
مرسي «الفن المعماري الإسلامي»
زاوية سيدي عمار في مدينة أريانة
كان لسيدي عمار المعروف
ضريحه قبة مستديرة. وتحيط بالمقام
باب «الزاوية» المقوس بالذهن الثقيل
والأحمر. وإن التوسع المعماري لمدينة



الملك لويس التاسع (القديس لويس)

على فراش الموت بقرطاج عام 1270 من المكتبة الوطنية بباريس

سيدي عمار في المخيال الشعبي أو منزلة شيخ الطريقة الصوفية عند مريديه وأتباعه:

لقد شاع في التصور الشعبي قديما أن الأولياء الصالحاء من شيوخ الصوفية تبقى كراماتهم نافذة المفعول بعد موتهم. وهم يتمتعون باحترام أبدي لدى مريديهم وكل من يطلبون بركاتهم، فيبقى هؤلاء الصالحاء أحياء في الضمير الشعبي، فيأتون بسرعة لنجدة من توجه إليهم بالنداء. لذلك يطلق على كل واحد منهم صاحب الخطوة. ويكثر ذلك في الأناشيد الصوفية لدى العامة كما يتصورون أن الشيخ متى دفن في غير أرضه فانه يعود إلى موطنه في فترات من السنة. لذلك كان العامة يقيمون الحفلات حيث ضريح هذا الولي الصالح كما يشيدون زاوية باسمه حيث مسقط رأسه. وذلك ما حدث لسيدي عمار المعروف بضريحه بمدينة أريانة ولكن تقام له الحفلات في زاويته الثانية بقرية معروف بين القيروان وسليانة. وهذه سنة جارية في المخیال الشعبي قديما اعتبارا أن الولي الصالح موجود هنا وهناك. لذلك ليس غريبا أن نجد زاوية ثانية لسيدي عمار بقرية معروف.

وبما يذكر أن سكان أريانة رفضوا أن يحمل أهل القيروان جثمان سيدي عمار سنة 1270 م ليدفن في مدينته تبركا بهذا المجاهد الذي دافع عن حوزة الإسلام وقضى شهيدا من أجل إخلاصه ونقاوة طويته. وليس غريبا أن تكثر في لغة العامة «لغة سيدي بوقبرين». راجع في هذا الموضوع جورج مرسى «الفن المعماري الإسلامي» باريس 1954 ص 435 (ARCHITECTURE MUSULMANE)

زاوية سيدي عمار في مدينة أريانة:

كان لسيدي عمار المعروف في زاوية مبنية على النمط التقليدي إلى حدود الستينات. وتعلو ضريحه قبة مستديرة. وتحيط بالمقام جدران سميكة البناء مشرقة البياض على كامل السنة. وقد طلي باب «الزاوية» المقوس بالذهن التقليدي، المعهود في كل أضرحة الأولياء والصالحين، وهو الأخضر والأحمر. وإن التوسع المعماري لمدينة أريانة، منذ بداية هذا القرن، قد أفقد «زاوية» سيدي عمار

العشر من محرم من عام 669 هـ / 29
بالمد والإعانة، وهو الذي عقد الصلح
لحرف المعتدين، وبدأت أعراضه تظهر في
شجته هذه العدوى، بعد قليل من انتهاء
حبه التي ناقشها في جامعة الجزائر سنة
التي ص 332). ولزام الشيخ سالم
باب سورها العتيق، وهو الباب الوحيد
حبة وقراءة الفاتحة صباحا مساء.
لحلت صاحبه، وتطلب بركاته من عامة
الصالح سيدي عمار علي «بوسنة» في
سيفي من سكان حاضرة تونس من
الدين، والميل إلى التبطل والتفكير

البستان الشاسع الذي كان يحيط بها. وقد كانت تكسوه أشجار الخروب المظللة والرمان والتفاح والبرتقال والزيتون الذي كان يعم كامل منطقة أريانة على حد ما جاء في كتب الوصافين. وقد عثرنا على صور لهذا المقام في المقال الذي خصّه به Jacques Revault في كراسات الفنون والتقنيات بأفريقيا الشمالية لسنة 1960:



ضريح سيدي عمار من الداخل

Cahiers des Arts techniques d'Afrique du Nord (1960)

وكانت «زاوية سيدي عمار»، منذ عهد قريب، في وسط هذه البادية المزدهرة الخضراء في بستان كبير، على باب سور مدينة أريانة العتيقة تحرسها، ليلا نهارا، ببركات صاحبها وتبث في نفوس ساكنيها الأمن والطمأنينة، إلى أن أنشئت بها العمارات الحديثة ذات الطوابق العديدة وقلّصت من مساحتها. وذلك باكتساح البستان حول ضريح سيدي عمار، وإزالة «الغروس» منها والمسارب الضيقة فيها وتعويضها بطرقات عصرية وشوارع ممتدة تقتضيها الحياة الجديدة في مدينة متطورة يوما بعد يوم. ويؤكد جاك ريفو أن زاوية سيدي عمار احتفظت بمساحتها وقبتها العتيقة إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد أدخلت تحسينات على تربة سيدي عمار (أو المقام والضريح) التي وصفها ابن ناجي في القرن الخامس، وأعيد بناؤها في العهد التركي، وأضيف إليها صحن وغرف لإيواء الزائرين ودار يسكنها شيخ الزاوية ودار الزيارة للمقيمين في مناسبات محددة في كل سنة.

الحركة الصوفية وأثرها في مدينة أريانة:

إن المتصفح لسجلات الماضين يعثر في بساتين أريانة على أضرحة عديدة تحمل أسماء عرف أصحابها بالصلاح والكرامات من الذين انتسبوا إلى الحركة الصوفية التي ازدهرت في مدينة أريانة وما حولها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. ومنهم من قضى نجه مجاهدا ضد الصليبيين في

شجار الخروب المظللة والرمان والتفاح
ما جاء في كتب الوصّافين. وقد عثرنا
Jacquard في كراسات الفنون والتقنيات



Cahiers des Arts techniques

هذه البادية المزدهرة الخضراء في بستان
كانت صاحبها وتبث في نفوس ساكنيها
ذات الطوايق العديدة وقلّصت من
«الغروس» منها والمسارب الضيقة
الحديثة في مدينة متطورة يوما بعد يوم.
ساحتها وقبتها العتيقة إلى نهاية القرن
(أو المقام والضريح) التي وصفها ابن
بها صحن وغرف لإيواء الزائرين
محددة في كل سنة.

على أضرحة عديدة تحمل أسماء عرف
صوفيّة التي ازدهرت في مدينة أريانة وما
قضى تحبه مجاهدا ضدّ الصليبيين في

ساحة القتال. ومنهم من مات في الوباء الذي تفشّى في جيوش المعتدين، وقد أضرّ بالبلاد في سنة 1270 م.
ومنذ ذلك العهد أصبحت مدافن هؤلاء الصّالحاء مزارات تعتكف فيها، في فترات من السنة، فرق من
المتصوّفين والعبّاد ويقيمون فيها سهرات للذكر وإنشاد الأوراد الدنيّة. نذكر من هذه الزوايا بداخل المدينة:
ضريح سيدي بوذيب، وضريح سيدي مفتاح، وسيدي فرج. أما خارج أريانة فنجد ضريح سيدي علي
الجري، وضريح سيدي عبد الرحمان، وضريح سيدي عمر بوخطيوة، وضريح أبي عبد الله أحمد الجبالي
وضريح أبي عبد الله عبيد... وقد عثرنا على صور فوتوغرافية لقباب هذه الأضرحة التي كانت قائمة منذ



الولي الصوفي سيدي بو ذوب

عهد قريب قبل أن يكتسح العمران بعضها.

إن وجود هؤلاء الأولياء والصّالحين داخل مدينة أريانة والمنتشرين في بساطينها الغناء لم يقلل من



الولي الصوفي سيدي عبد الرحمان

منزلة سيدي عمّار المعروف «بوسنة» في نفوس الأريانيين. وبقيت تربته ومقامه المقصد الهام والاتجاه الأمثل
لهم على كامل السنة. فيقيمون في الزاوية الأيام المرحّة والليالي الهازجة، ويحيون فيها في مواعيد من العام
سهرات مخصوصة للذكر وإنشاد الأوراد الصوفيّة.

ووظفوا هذا المقام لمثل هذه التظاهرات، فبنوا بجانب الضريح مسجدا ملاصقا له، وبثرا لسقاية كل الزائرين والمقيمين ومسكنا لشيخ الزاوية القائم عليها والمشرف على إنتاج البستان من الثمار والخضر،



حوطه الولي الصوفي سيدي عبد الله الجبلي أو الجبالي

وكذلك دارا للزيارة لايواء الفقراء والرواد من «ضيوف هذا الولي الصالح» ولإطعامهم مدة إقامتهم، كما أضافوا بناءات أخرى حيسا لزاوية جعلت المقام ممتد الأطراف. وعنه قال قاسم بن عيسى بن ناجي (المتوفى سنة 837 هـ / 1433 م)، في تكميلته لكتاب معالم الإيمان للدبّاغ: «لقد ملك علي عمار المعروفي كل البلاد» **سيدي عمار وفرقة العيساوية:**

يقام في زاوية سيدي عمار احتفال أسبوعي يحرق فيه البخور وتوقد القناديل والأسرجة على تابوته، كما تقام فيه الزيارة السنوية. وفي كل أمسيات أيام الخميس تلتئم فرقة «العيساوية» (نسبة للصوفي الشهير سيدي محمد بن عيسى دفين مدينة مكناس بالمغرب وكانت وفاته فيها سنة 1524 للميلاد). ويستظهر أفراد هذه الفرقة الصوفية الأوراد وينشدون القصائد الدينية. وفي ليالي الجمع بين المغرب والعشاء تتلى فاتحة الكتاب وتلى أحزاب مختارة من القرآن. ويردد أعضاء الفرقة أنغاما هازجة بالطبول والدقوف الكبيرة. ويلبس أفراد الفرقة جلابيب (ج جلاب) من الصوف الأبيض يسمونها «البدن» وذلك تشبها بالصوفية، واقتداء بشيوخهم في لبس الأبيض وخاصة الصوف رمزا للصفاء ونقاوة البدن والنفس. ويحيط بخصر كل واحد منهم حزام من الجلد: «السبتة»، وهم محلوقو الرؤوس عدا خصلة من الشعر في أم الرأس، قد تكون أحيانا في شكل ضفيرة كالتواصة قديما يسمونها «قطاية».

موسم سيدي عمار بمناسبة حلول المولد النبوي الشريف:

تقام زيارات جميع السكان بأريانة بمناسبة حلول المولد النبوي الشريف إلى زاوية سيدي عمار وتتواصل مدة ثلاثة أيام تقدم فيها الصدقات للفقراء والمآدب من جميع أصناف المأكولات التي يحضرها المتبرعون في منازلهم، وتذبح الذبائح في مكان مخصص من الزاوية ويسمونها ذلك الزردة، وتنظم موائد جماعية يشارك فيها أهل مدينة أريانة وكثير من الزائرين من مدينة تونس ومن داخل البلاد.

ومن أبرز الاحتفالات الموسيقية السوداء التي كانت في خدمة سيدي عمار الخشب المدهون بالأخضر والأحمر على يلقب بـ «العرايف» جمع عريقة ويأتين أصول سودانية إفريقية وتوجد زاوية مشهورة في بداية القرن الماضي اسمها (ياكحلة يابنت عمي محلاك - الله يرحم) حفلات تحييها فرقة السطنبالي لهذا



كالشقاشق وطبول خاصة بهذا النوع إفريقيا السوداء.

ومن بين آلات السطنبالي آلة أخرى مثل التقرات والطبل، وجلاجل متركبة من جلود وأقمشة خشنة.

ويذبح في هذا الحفل تيس أسود أفراد الجن في الحفل حسب هؤلاء الزائرين وتقوم بجولتها العادية في الأزقة الضيقة العتيقة. وتختتم هذه الجولة في المدينة بـ **الفرجة من سيدي عمار المعروفي إلى** من العادات الموسمية في نهاية كل

رج مسجدا ملاصقا له، وبثرا لسقاية كل
على إنتاج البستان من الثمار والخضر،



ر «صالح» ولإطعامهم مدة إقامتهم، كما
قال قاسم بن عيسى بن ناجي (المتوفى
عند ملك علي عمّار المعروف في كل البلاد)

وتوفد قناديل والأسرجة على تابوته،
تشم فرقة «العيساوية» (نسبة للصوفي)
عرب وكانت وفاته فيها سنة 1524
تصانيد الذبئية. وفي ليالي الجمع بين
الفرقة ويردد أعضاء الفرقة أنغاما هازجة
حساب من الصوف الأبيض يسمونها
هي وخاصة الصوف رمزا للصفاء ونقاوة
«السنة»، وهم محلوقو الرؤوس عدا
كانتوا قديما يسمونها «قطاية».

تسوي الشريف إلى زاوية سيدي عمّار
جميع أصناف المأكولات التي يحضرها
وية ويسمون ذلك الزردة، وتنظم موائد
تونس ومن داخل البلاد.

ومن أبرز الاحتفالات الموسيقية في شهر ماي حفل ذكرى «للة سلمى» أو «مو سلمى»، وهي الخادمة
السوداء التي كانت في خدمة سيدي عمّار. وكان قبرها موجودا في ناحية من الزاوية. وكان يعلوه تابوت من
الخشب المدهون بالأخضر والأحمر على غرار تابوت سيدها. وكان يزورها، بصفة موسمية، نساء سوداوات
يلقبن بـ «العرايف» جمع عريفة. ويأتين لزيارتها من مقام الولي الصالح سيدي سعد العكروشة، وهو من
أصول سودانية إفريقية وتوجد زاويته بقرية مرنّاق في جنوب الحاضرة تونس. وتذكر بعض الأغاني الشعبية
المشهورة في بداية القرن الماضي اسمه باعتباره جدّا للسكان السود في كامل البلاد، نذكر من أبياتها:
(يا كحلة يابنت عمّي محلاك - الله يرحم سيدي سعد باباك). وتقام في موسم شهر ماي بمقام سيدي عمّار
حفلات تحييها فرقة السطنبالي لهؤلاء الزوّار من قرية مرنّاق بواسطة آلات إيقاعية حديثة ونحاسية



ضريح للة سلمى خادمة سيدي عمّار

كالشعاشق وطبول خاصة بهذا النوع من الموسيقى الهازجة الراقصة ذات الطابع الإفريقي المعروفة في
إفريقيا السوداء.

ومن بين آلات السطنبالي آلة وترية وحيدة ذات وترين اثنين هي القمبري أو القوقاي وآلات التوقيع
الأخرى مثل النقرات والطبل، وجلجل نحاسية في أرجل الرّاقصين والأجراس المشدودة في أكسية غريبة
متركة من جلود وأقمشة خشنة.

ويذبح في هذا الحفل تيس أسود وترمى فلذات من كبده في أنحاء زاوية سيدي عمّار قصد مشاركة
أفراد الجنّ في الحفل حسب هؤلاء الزّائرات السوداوات. وتخرج فرقة السطنبالي عبر شوارع مدينة أريانة،
وتقوم بجولتها العادية في الأزقة الضيقة يتبعها حشد غفير من الأطفال والنساء في هزيع تهتزّ له المدينة
العتيقة. وتختتم هذه الجولة في المدينة بمأدبة تمدّ فيها موائد الأطمعة في زاوية سيدي عمّار.

الخرجة من سيدي عمّار المعروف إلى سيدي أبي سعيد الباجي:

من العادات الموسمية في نهاية كل صيف، بعد الحصاد، ودرس السنابل وعمارة المطامير بالحبيب

وكل المحاصيل الفلاحية من حمص وفول وذرة، وبعد أن يتمّ خزن بعضها ويحمل بعضها الآخر لبيع في سوق أريانة، تتجمع فرقة العيساوية في فناء زاوية سيدي عمار في أتمّ أبهة عناصرها. وفي أبهة التحضير ترفرف فوقها الأعلام (السناجق) الملونة بالأحمر والأخضر والأبيض، ترفع فوق الرؤوس وتنتشر في الهواء كبيرة كأنها أشعة السفن في يوم استعراض في حشد بهيج من الناس نساء ورجالا وأطفالا. ثم ترفع البنادير وتتحرك الفرقة بانتظام نحو باب الزاوية، وتنطلق الأهازيج في صوت واحد مدوية في سماء مدينة أريانة. ويدوي قرع الدفوف كأنه الرعد، ويهرع جلّ السكان إلى المشاركة في خرجة العيساوية.

يمرّ الحشد الصّاخب أولا بزاوية سيدي علي الجربي، ومنها إلى زاوية سيدي عبد الرحمان ثم تندفع الخرجة لتشقّ بجموعها الغفيرة حيّ برج البكوش متوجهة إلى ربوة سيدي أبي سعيد الباجي المطلة على خليج تونس. والوليّ الصّالح أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي هو صوفي في نفس السياق الذي عرف به معاصروه من أمثال الشيخ سالم القديدي ورفيقه سيدي عمار المعروفي.

ولد أبو سعيد الباجي في بلدة باجة الزيت في شمال تونس الحاضرة قرب زاوية سيدي علي الخطّاب سنة 551 للهجرة/1156 م وكانت وفاته (في شعبان 628 للهجرة / جوان 1231 للميلاد). وعرف أبو سعيد الباجي بتقواه وورعه منذ شبابه. فقد حجّ سنة 603 هـ / 1207 م. وجاور ثلاثة أعوام بمكة والشّام قبل أن يعود إلى موطنه. وقضى حياته الطويلة يعلم الناس مبادئ التّصوّف منقطعا للعبادة ومعتكفا في مقامه بأعلى جبل المنار إلى أن وافاه الأجل حيث زاويته الآن المطلة على الصّاحية الشماليّة الغناء.

ويتقدّم خرجة العيساوية من سيدي عمار إلى سيدي أبي سعيد شبّان يحملون الأعلام الخفّاقة (السناجق) التي تجلب الانتباه بألوانها البرّاقة. وتحدو هذا الجمع الأهازيج القويّة ويرقصهم الإيقاع القويّ المدويّ في هذه المسيرة طوال الطّريق. ويتسارع إلى الانضمام إليهم العامّة من كلّ حذب وصوب حتى تصبح هذه الخرجة موجة عارمة من الناس تتوسطها الفرقة التي لا يفتّر أفرادها في توقيع متواصل. ويتقدّمهم ثور أسود أعدّ للذّبح بزاوية سيدي أبي سعيد. ويتلو الجميع حملة الأسلحة الرّمزيّة (سيوف ورماح ودبابيس) يلوحون بها في السّماء، ويرفعونها عالية تصحبهم من زاوية سيدي عمار إلى زاوية سيدي أبي سعيد ويتبع الحشد حملة الماء ينقلون أواني «السبيل» وهي أنواع من أواني السّقاية ويطلق عليهم اسم القرباجيّة. وبعضهم يقومون بألعاب بهلوانيّة فيديرون أواني مملوءة بالماء في الفضاء دون أن تغلت منها نقطة أو تسيل منها جرعة. ويتمّ الموكب حشد من الحميم والبغال تحمل على ظهورها الزّاد والقصاع وأواني الطبخ والخطب. وتبقى العيساوية سبعة أيّام في مقام أبي سعيد الباجي في هزيجها المتواصل ومرحها العارم.

وفي اليوم الثّامن تتوجّه العيساوية إلى المرسى حيث يقيم الباي والأميرات والحاشية. ويقع استقبال هذا الحشد الكبير في ساحة القصر، يقدّم فيه بهلوانيّ العيساويّة ويسمّى «عكاشة» ألعابه وأبهي المشاهد البهلوانيّة وأروعها، فيحظى من الباي بهديّة تتمثّل في جبة رفيعة خضراء. ويتمّ الحفل العظيم أمام الباي بمأدبة فخمة يشارك فيها الجميع. وبعد عودة قصيرة إلى زاوية سيدي أبي سعيد لأداء أناشيد الوداع، تتوجّه فرقة العيساوية وسط هذا الحشد من المصاحبين تّوا إلى قرية سيدي داود، قرب العوينة في طريق العودة إلى أريانة.

إن هذه العادات الصّوفيّة قد التّقاليد إلّا صورا في الذاكرة عند (جاك ريفو) (Jacques Revault)
 DU VILLAGE D'ARIANA
 سيدي علي عمار «بوسنة» تتضاءل
 لما في مناسبة أو مناسبتين في السنة
 ثم إن زاوية سيدي عمار نفسها
 إذ استولت بعض العائلات الموسرة
 ودورا فخمة منذ القرن التاسع عشر
 حيث الرّياش والتّجهيز. ولعلّ قصر
 ودخلت مدينة أريانة طور
 للحياة الشّعبيّة في المدينة شكلا
 الصّالح كما حذف المسجد ودار
 الجديدة وشوارعها التي أحاطت
 الزّاؤون الذين أتوا من كلّ حذب
 مدّة الزّيارة التي تطول وتقصّر
 انتصاب الحماية الإسبانيّة على
 انعكاس ذلك على مدينة أريانة:

عرفت مدينة تونس وأحوازها
 الازدهار العمرانيّ في كثرة الأسواق
 مدارس الطّلبة والمساجد ووسائل
 في حاجة إليه من الماء في المدينة وفي
 حظيت مدينة أريانة أكثر من غيرها
 السّلطان وحاشيته من الطّبقّة الأرستقراطيّة
 المؤرّخ الكبير عبد الرحمان ابن
 الحفصي، بإطناب عبّر فيه عمّا انتهت
 على الأنماط الأنديلسيّة التي اختطّها
 الدّولة الحفصيّة من بلاد الأنديلس
 الفيحاء فردوسا رائعا يروق للنّاظرين
 عناية كبيرة من الدّولة الحفصيّة وعرف
 القرن السّادس عشر. وقد بسطنا الحد

إن هذه العادات الصوفية قد أخذت تتلاشى في مدينة أريانة منذ سنة 1948 ولم تعد هذه التقاليد إلا صورا في الذاكرة عند الشيوخ والطاعنات في السن من سكان أريانة، كما يؤكد ذلك «جاك ريفو» (Jacques Revault) في مقاله «سيدي عمار سلطان بلدة أريانة» :

SIDI AMMAR PATRON DU VILLAGE D'ARIANA. وأصبحت تظاهرات فرقة العيساوية في سيدي علي عمار «بوسنة» تتضاءل شيئا فشيئا حتى أصبحت وجهها من «الفلكلور» الشعبي لا تنتظم إلا لما في مناسبة أو مناسبتين في السنة، وقل من جانب آخر المنتمون الفاعلون إليها.

ثم إن زاوية سيدي عمار نفسها قد تغيرت مع الزمان، فتقلصت ساحة البستان الذي وصفناه حولها إذ استولت بعض العائلات الموسرة على قطع من الأرض، وابتنى بعض المرموقين من حاشية الباي قصورا ودورا فخمة منذ القرن التاسع عشر على النمط الإيطالي من حيث المعمار وحسب الأسلوب الأروبي من حيث الرياض والتجهيز. ولعل قصر ابن عياد وهو قصر البلدية اليوم، كان جزءا من هذا البستان.

ودخلت مدينة أريانة طورا جديدا من حياتها المعاصرة. وتبدلت زاوية سيدي عمار القلب النابض للحياة الشعبية في المدينة شكلا ووظيفة بتقلص مساحتها وزوال قبتها القديمة المحنية فوق تابوت الولي الصالح كما حذف المسجد ودار الزيارة فيها. وضائق مساحة البستان واكتسحتها المدينة العصرية بمرافقها الجديدة وشوارعها التي أحاطت بالفريخ، وأزالت ما كان حوله من أشجار مثمرة وحدائق غناء يرح فيها الزائرون الذين أتوا من كل حذب وصوب رغبة في بركات الشيخ وأملا في الفوز بهدوء النفس وراحة البال مدة الزيارة التي تطول وتقصر بحسب الظروف.

انتصاب الحماية الإسبانية على تونس:

انعكاس ذلك على مدينة أريانة:

عرفت مدينة تونس وأحوازا ازدهارا اقتصاديا وخاصة عمرانيا كبيرين في العهد الحفصي. وقد برز الازدهار العمراني في كثرة الأسواق وامتداد الأحياء وبناء المؤسسات ذات الفوائد الاجتماعية من ذلك مدارس الطلبة والمساجد ووسائل السقاية والري والجوابي والفسقيات والأبار قصد تزويد السكان بما هم في حاجة إليه من الماء في المدينة وفي البساتين الممتدة في الأحواز حولها حول تونس العاصمة الحفصية. وقد حظيت مدينة أريانة أكثر من غيرها من الأحواز القريبة من العاصمة بالازدهار العمراني المتمثل في قصور السلطان وحاشيته من الطبقة الأرستقراطية السياسية والثقافية وكذلك في بساتينهم الغناء مما أثار إعجاب المؤرخ الكبير عبد الرحمن ابن خلدون، فوصف قصور أبي فهر وبستانه حيث يقيم المستنصر بالله الحفصي، بإطناب عبر فيه عما انتهت إليه الحضارة الحفصية من الرقي ورقة الجانب في الرياض والمسكن على الأنماط الأندلسية التي اختطها حذاق المهندسين والمهرة من أهل الاختصاص الذين توافدوا على الدولة الحفصية من بلاد الأندلس ورتبوا الحدائق على نط جنة العريف بغرناطة، فكانت بساتين أريانة الفيحاء فردوسا رائعا يروق للناظرين فيهنئون في ريعه ويتمتعون بالعيش في أكتافه. ونالت أريانة وماحولها عناية كبيرة من الدولة الحفصية وعرفت رقيًا عمرانيًا منذ القرن الثالث عشر الميلادي إلى الثلث الأول من القرن السادس عشر. وقد بسطنا الحديث في هذا التطور العمراني لمدينة أريانة وما حولها فيما سبق من

جزان بعضها ويحمل بعضها الآخر لبيع في في أم أبهة عناصرها. وفي أبهة التحضير يرفع فوق الرؤوس وتنشر في الهواء من الناس نساء ورجالا وأطفالا. ثم ترفع في صوت واحد مدوية في سماء مدينة المشاركة في خرجة العيساوية.

في زاوية سيدي عبد الرحمان ثم تندفع في سيدي أبي سعيد الباجي المطلة على الباجي هو صوفي في نفس السياق الذي عمار المعروفي.

حاضرة قرب زاوية سيدي علي الخطاب في جوان 1231 للميلاد). وعرف أبو 1231 م. وجاور ثلاثة أعوام بمكة والشام في تصوف منقطعا للعبادة ومعتكفا في على الضاحية الشمالية الغناء.

في سيد شبان يحملون الأعلام الحفاقة الأمازيغ القوية ويرقصهم الإيقاع القوي هم العامة من كل حذب وصوب حتى في قرونها في توقيع متواصل. ويتقدمهم حدة لأسلحة الرمزية (سيوف ورماح في زاوية سيدي عمار إلى زاوية سيدي أبي من لوني السقاية ويطلق عليهم اسم في الغناء دون أن تغفل منها نقطة في شهرها الزاد والقصاع وأواني الطبخ في مزيجها المتواصل ومرحها العارم.

في والأميرات والحاشية. ويقع استقبال في وسمى «عكاشة» ألعابه في جبة رفيعة خضراء. ويتم الحفل في زاوية سيدي أبي سعيد لأداء حين توارى إلى قرية سيدي داود، قرب



حصار تونس عام 1535 بجيش شارلكان (رسم فراتز هونغبارغ - المكتبة الوطنية بباريس)

الفصول، وأثبتنا ما كان لهذه المدينة من دور في حماية تونس عاصمة الحفصيين أثناء الحملة الصليبية الثامنة بقيادة ملك فرنسا القديس لويس التاسع.

الوضع السياسي في الدولة الحفصية وقدم الإسبان إلى تونس

لقد عرفت دولة بني حفص فترات من القوة تركّز فيها ازدهارها الحضاري وظهرت معالمه في إرساء المؤسسات الاجتماعية والعمرانية التي برهنت على قوة الدولة وإرساء أسس الاستقرار والأمن في جميع أنحاء البلاد. وكانت بوادر كل ذلك بارزة في نشأة دولة قوية الأركان في جميع المقومات للحكم على يد بانيها أبي زكرياء الحفصي وابنه من بعده المستنصر بالله الحفصي. لكن سرعان ما دبّ الضعف في أركان الدولة وبدت سمات الهرم وخرجت القبائل في أنحاء البلاد في عصيان وثورة لم تستطع سلطة الحفصيين قمعها إذ دبّ الخلاف بين الأمراء واستفحلت الدسائس طمعا في أخذ الحكم دون كفاءة ولاحقاً لذلك. ولسائل أن يسأل كيف جاء الإسبان إلى البلاد التونسية وكيف استفحل أمرهم حتى نصبوا الحماية على البلاد في أكبر جزء منها؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من تقديم موجز للوضع السياسي الذي انتهت إليه الدولة الحفصية بعد تمركزها في البلاد التونسية ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين عاما.



شارلكان ملك اسبانيا عام 1548 لوحة للرسم تيسيانو (ينوكوتاك مونيخ)

تأكد هرم الدولة الحفصية عند ظهور القرصنة في البحر المتوسط. فعندما تولى أبو عبد الله محمد الحاكم الرابع والعشرون من آل بني حفص، بدأ الأمر في التراجع إلى حد أن غالب المملكة خرج عن سلطة هذا الأمير وبدا العجز ظاهراً في دواليب الدولة في حين قويت شوكة الخلافة الإسلامية في المشرق بظهور دولة «آل عثمان» واستفحال أمرها بأوروبا لا سيما على عهد السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية سنة 857 هـ / 1453 م والسلطان سليم الأول المتولي لذلك الوقت.

وفي أيام الأمير أبي عبد الله الحفصي ظهر الأخوان خير الدين وعروج، وأصلهما من جزيرة «مدللي» إحدى جزر بحر الأرخبيل. وكانا يشتغلان بالقرصنة في البحر الأبيض المتوسط، فقدموا في بعض المرات على الأمير الحفصي واتفقا معه على غزو البحر ويكون له الخمس من الغنائم الحاصلة. واستمر الحال على ذلك مدة. ثم إن خير الدين وعروج افتكاً مدينة الجزائر من أيدي الإسبانيول وجعلها مركزاً مستقلاً لعمارتها البحرية. وعلا صيتهما شرقاً وغرباً، وقويت شوكتهما في ميدان القرصنة.

وفي هذه الأثناء توفي الأمير عبد الله الحفصي سنة 932 هـ، وقد عرف بفطنته وأعماله الخيرة ورغبته في نشر المعرفة والثقافة بين الناس، من ذلك إنشاءه مكتبة جامع الزيتونة المعروفة «بالعبدلية» التي تنسب



سكة الوضبة ياريس

حكمة الحفصيين أثناء الحملة الصليبية

في إرساء أسس الأمن والاستقرار والأمن في جميع أنحاء في جميع المقومات للحكم على يد لكن سرعان ما دب الضعف في أركان سبل وثورة لم تستطع سلطة الحفصيين في أخذ الحكم دون كفاءة ولاحقاً لم يستحل أمرهم حتى نصبوا الحماية

السي الذي انتهت إليه الدولة الحفصية

إليه وتولّى الأمر بعده ابنه الحسن بن أبي عبد الله الحفصي الذي سار في أول مدّته بعدل وإحسان فاجتمعت على تأييده قلوب الرعية. ثمّ سرعان ما انقلب إلى سوء السيرة، فاضطربت أحوال الدولة، وضعف نفوذها في الأفاق، وخرجت البلاد شيئاً فشيئاً عن طاعته بثورة القبائل من الأعراب ورفض سلطة الدولة فسادت الأحوال وانحرم الأمن وأصبح الحسن الحفصي في ضيق من أمره إذ ساءت الحياة



الحسن الحفصي رسم لصورة زيتية من مدرسة البندقيّة للفنون التشكيلية (متحف الجزائر).

الاجتماعية في المدن وخاصة في عاصمته تونس. وتقهقر الوضع الاقتصادي في البلاد بعدما كان على جانب كبير من الازدهار. وكان لكل ذلك انعكاسه السيء على مؤسسات الدولة وخاصة وضع الجيش، فتردّت الأمور من كل جانب.

في سار في أول مدته بعدل وإحسان
سوء السيرة، فاضطربت أحوال الدولة،
شدة القبائل من الأعراب ورفض سلطة
في ضيق من أمره إذ ساءت الحياة

وعلم القرصان خير الدين بربروس الذي جعل مدينة الجزائر قاعدة له مآلت إليه مملكة الحفصيين
من الهرم والاضطراب، فعزم على مد نفوذه على تونس وامتلاك البلاد. وقد يكون تخطيطه لإزالة الدولة
الحفصية والقضاء عليها بايعاز من السلطان التركي سليمان القانوني، فخرج من الجزائر في جيش من
الأتراك واستولى على بنزرت. ولما بلغ الخبر الحسن الحفصي هرب من الحاضرة لأنه توقع الهزيمة لضعف ما
لديه من الجنود. ودخل خير الدين تونس سنة 935 هـ وخطب للسلطان العثماني، وسكن ما في نفوس
الناس من الخوف على مصيرهم فأمنهم واستتب له الأمر في تونس دون أدنى مقاومة.

ولم يجد الحسن الحفصي سنداً من قبائل الأعراب، فتوجه إلى طلب نصرة ملك إسبانيا شارلكان،
وهو كرلوس الخامس الذي كان معزز القوة في القرن السادس عشر، مد نفوذه من سنة 1516 إلى 1558
فشمل ملكه إسبانيا وألمانيا والنمسا وهولندا وإيطاليا وأمريكا بأجمعها. ووجد ملك إسبانيا شارلكان في هذا
الطلب فرصة سانحة لمد نفوذه على تونس تركيزاً لسلطته على ضفاف المتوسط الجنوبية وللمراقبة مضيق
صقلية من قريب، فأجاب نداء الحسن الحفصي وجهز عمارة قوية قادها بنفسه.

ونزل على حلق الوادي، ومنها زحف إلى الحاضرة فدخلها سنة 942 هـ/ 1535 م، وأمر جيوشه
بنهب المدينة «فاستباحوها بالقتل والأسر والسبي حتى قيل أن عدد سكان تونس كان مائة وثمانين ألفاً
قتل منه الثلث وأسر الثلث ونجا الثلث. ومن أفضع ما ارتكبه عساكر الإسبان أن هجموا على جامع الزيتونة
وبدؤوا ما كان يوجد به من نفائس المخطوطات في المكتبة العبدلية، فأصبحت أثراً بعد عين» ونصب شارلكان
الحسن على كرسي الحفصيين من جديد ولكن شرك معه في النظر أحد قواد العساكر الإسبانية.

وفي هذه الفترة من تاريخ تونس تبدأ مأساة مدينة أريانة كغيرها من أحواز الحاضرة. وكنا قد بينّا أن
مدينة أريانة بأحوازها الغناء من البساتين كانت في عهد ازدهار الدولة الحفصية في القرن الثالث عشر محل
إقامة السلطان المستنصر بالله الحفصي في قصوره ببستان أبي فهر وقصور حاشيته وإقامة حراسه من الجنود
العلوج بثكنة برج العلوج قرب جبل جعفر. ويمرّد زحف عساكر الإسبان على تونس في غطسة لا مثيل
لها من نهب وتقتيل لجأ سكان العاصمة فارين إلى أريانة وباديتها مختبئين في بساتينها والأحراش حولها
كجبل جعفر والجبل الأحمر.

ولم تسلم المدينة من نهب الإسبان وكذلك ما فيها وحولها من قصور الحفصيين وحاشيته لقربها
من العاصمة ومن ميناء حلق الوادي، بل أكثر منها أصبحت معالم أريانة مصدراً لاقتلاع الحجارة لبناء
ثكنة الإسبان أوماسمي بالبستيون وكان موجوداً في المكان الحالي للسفارة الفرنسية قرب باب البحر بمدينة
تونس. كما بنوا قلعة حلق الوادي بحجارة ساقية الحنايا وكان تخريب هذه المعالم والمواقع من مدينة أريانة
على أيديهم فأصبحت أثراً بعد عين، وقضوا على وجه مشرق لضاحية أريانة الجميلة وعلى ما في بستان أبي
فهر من القصور والجنان الغناء التي جلبت إعجاب عبد الرحمن بن خلدون كما أسلفنا.

ومن المتأكد أن جيوش الإسبان خرّوا الحنايا وقصور الحفصيين بأريانة لإنشاء تحصينات خاصة
بهم، فيثبت حسن حسني عبد الوهاب في «خلاصة تاريخ تونس» ذلك بقوله «فأقاموا قلعة عظيمة جداً
خارج سور تونس اشتهرت باسم «الباستيون» وهي لفظة إسبانية معناها القلعة. وكان هذا الحصن واقعا

صادي في البلاد بعدما كان على جانب
القلعة وخاصة وضع الجيش، فتردّت

خارج باب البحر حيث السفارة الفرنسية الآن وشارع البحيرة وجدّوا بناء الحصن المعروف بشكلي بوسط البحيرة، كما رمّموا حصون حلق الوادي وأسوارها بالحجارة الكبيرة المقطوعة من الحنايا الرومانية فأصبحت معقلا منيعا.

ولم يغادر الملك شارل كان تونس إلا بعد إمضاء معاهدة مع الحسن الحفصي سنة 942 هـ / 1535 م أثبت فيها شروطا مجحفة تقضي بتمكين الإسبان من سكنى جميع أنحاء القطر وإقامة طقوسهم الدينية والتنازل لهم عن مدن عتابة وبنزرت وحلق الوادي مع دفع جباية سنوية ثقيلة. لكن هذه الشروط لم ترق في أعين السكّان فخاروا على الحسن الحفصي بمجرد رجوع ملك الإسبان إلى بلاده، وجمعوا كلمتهم على عزله، وقدموا ابنه أبا العباس أحمد، وأمسكوا الحسن وسملوا عينيه، فقرّ وهو أعمى ومات بالقيروان وقيل بأروبا سنة 942 هـ / 1535 م.

واستفحل أمر الإسبان في عهده، فاستولوا على نغر المهدية والمنستير وعلى جزيرة جربة ومدينة طرابلس، وتحصّنوا بهذه الأماكن حتى افتكّهم منهم درغوث باشا سنة 958 هـ / 1551 م.

وبوفاة خير الدين صاحب الجزائر عين السلطان التركي سليم الثاني ابن سليمان القانوني القائد علي باشا الذي قدم إلى تونس وأبعد أبا العباس الحفصي عن الحكم. فاستنجد مثل والده بالإسبان رغم ما كان يكتنه لهم من العداء في أول أمره. فأنجده ملكهم بأسطول عظيم لإعائته على الأتراك. ولكن قائد الأسطول استظهر بمجرد وصوله إلى حلق الوادي بمكتوب يقضي بضرب الحماية من جديد على تونس، فأنكر أبو العباس الحفصي ذلك، وانتقل إلى صقلية سنة 980 هـ / 1572 م فأقام بها حتى مات.

وقبل أخوه محمد بن الحسن شروط الإسبان المجحفة. ولاقى التونسيون في تلك المدة جور العساكر الإسبانية وتعديهم بأنواع المظالم ما حمل السكّان من جديد على الفرار إلى البوادي، ونالهم من الخطوب وضروب الهوان ما لا يوصف. وتطاول هؤلاء المتغلبون على المعالم الدينية فأهينت وهتكت حرما حتى قيل إن الخيول ربطت بجوامع الزيتونة، وألقي ما فيه من نفائس الكتب في الطرقات، وحمل بعضها إلى مكتبة الفاتيكان بروما ومكتبة «الاسكوريال» بمدريد ولا تزال تشهد هنالك.

ونال مدينة أريانة وماحولها من التخريب من جديد ودمّرت وسائل الريّ وهدّمت الآبار وطميت بالتراب وكسرت ساقية الحنايا الواصلة إلى جابية بستان أبي الفهر وحملت حجارها الضخمة إلى حلق الوادي لبناء قلعة الإسبان وتحصين سورها وترميم حصن جزيرة شكلي في وسط بحيرة تونس، هذه الجزيرة التي طالما تردّد عليها المستنصر بالله الحفصي خاصّة لقضاء سهرات في فصل الربيع يشاهد منها مدينة أريانة وقصور بستان أبي الفهر وقد أنارتها القناديل والشماريح المضيئة. ولكن سلطة الإسبان في النصف الأول من القرن السادس عشر قد دعّمت أركانها على الجور والاعتساف، فلم يكن من الممكن استمرارها. وقد اغتاز السكّان من فعل هذه الحماية الإسبانية وتوغّرت صدورهم عليها، وكانوا ينتهزون الفرصة للإيقاع بالحفصيين والإسبان معا. وسنحت الظروف في نهاية الأمر للخلاص من وطأة الجور والظلم اللذين أنتجا الخراب والذمار حيثما حلّت جيوش الإسبان العاشمة. وظهرت بوادر هذا الخلاص في وقت وجيز بقدوم القوة التركية. وقد قيل في المثل السائر «العدل إن دام عمر والظلم إذ ساد دمر».

وجدوا بناء الحصن المعروف بشكلي
الكبيرة المقطوعة من الحنايا الرومانية

الحسن الحفصي سنة 942 هـ / 1535 م
بعد أضاء القطر وإقامة طقوسهم الدينية
نسوية ثقيلة. لكن هذه الشروط لم ترق
الإسبان إلى بلاده، وجمعوا كلمتهم على
يقر وهو أعمى ومات بالقيروان وقيل

والمستير وعلى جزيرة جربة ومدينة
سنة 958 هـ / 1551 م.

سليم الثاني ابن سليمان القانوني القائد
قد استجد مثل والده بالإسبان رغم
عصب لإعانتة على الأتراك. ولكن قائد
ضرب الحماية من جديد على تونس،
1572 م فقام بها حتى مات.

التونسيون في تلك المدة جور العساكر
المرور إلى البوادي، ونالهم من الخطوب
الدينية فأهينت وهتكت حرمتها حتى
في الطرقت، وحمل بعضها إلى مكتبة

المراسل الرئي وهدمت الآبار وطميت
وحملت حجارها الضخمة إلى حلق
في وسط بحيرة تونس، هذه الجزيرة
ات في فصل الربيع يشاهد منها مدينة
سنة. ولكن سلطة الإسبان في النصف
والاعتساف، فلم يكن من الممكن
وغرت صدورهم عليها، وكانوا ينتهزون
في الأمر للخلاص من وطأة الجور والظلم
من وظهرت بوادر هذا الخلاص في وقت
عمر والظلم إذ ساد دمر.

نهاية الحماية الإسبانية وتدخل الأتراك:

هذا الوضع المتردي في مدينة تونس وأحوالها وبالأحرى مدينة أريانة التي احتضنت جلّ اللاجئين إليها من سكّان الحاضرة قد تسبّب فيه التعسف الذي قام به الجيش الإسباني. وكان هؤلاء السكّان الموتورون ينتظرون الخلاص والمنجّي من هذا المغتصب البغيض. وبدأت تظهر جيوش الأتراك في الأفق وقد تحرّك القائد درغوث رايس لنجدتهم فاستولى على القيروان وأتاب على ولايتها حيدر باشا، فرتّب هذا القائد جيشاً منظماً، وانضمت إليه العساكر التي كان تركها علي باشا والي الجزائر لحراسة تونس عند قدومه إليها، وأصبح الجيش التركي عندئذ قوّة ضاربة بالقيروان. وتقدّم حيدر باشا لنزع تونس من أيدي الإسبان الذين ضربوا حمايتهم على كامل المملكة الحفصية، وأصبحت جميع شؤونها في أيديهم. وما كان من هذا القائد إلّا أن انتظر المدد من مصطفى باشا قائد الحامية التركية بطرابلس فاجتمعت قوتها وسارا بهذا الجيش القوي عدّة وعددا في اتجاه الحاضرة من مكان التقائهما في بلدة المحمدية قرب تونس. وبمجرد وصولهما إلى العاصمة الحفصية الموتورة علم القائدان التركيان سرّاً بوصول الأسطول العثماني قريبا من ميناء حلق الوادي، وكان يستهدف ما كانا يقصدانه، فكانت قوّة الجيش التركي الزاحفة في أتمّ أهبتها براً وبحراً.

كان قد سطر هذه الخطة السلطان العثماني سليم الثاني (1566 - 1574) لامتلاك تونس وطرد الإسبان منها، فكلّف رجلاً من أعيان وزراء الدولة العثمانية قد سبقت له شهرة في خدمة الباب العالي باخلاص ونصح حتى نال الصدارة هو الخوجة سنان باشا الذي كانت له انتصارات باهرة على رأس الجيش التركي في بلاد الشام واليمن ومصر وبلاد الكرج والجزر، فعينه السلطان قائداً عاماً على الجنود، وأضاف إليه قليج علي قبودان رئيساً على العمارة البحرية المتألّفة من نحو ألف سفينة. وكان خروج هذا المدد العظيم من القسطنطينية في غرة ربيع الأنور سنة 981 للهجرة / 1573 م.

اللقاء التركي الإسباني في حلق الوادي:

مرّة أخرى تحضن مدينة أريانة المهاجرين من سكّان تونس خوفاً من تصادم الإسبان بالجيوش العثمانية الخيمة على حلق الوادي براً وبحراً. فألقت مراكب الأسطول الذي يقوده سنان باشا مراسيها أمام الحصون الإسبانية بحلق الوادي وتقدّمت الجيوش الخيمة على تونس، ونصب قوادها الحصار على ميناء الإسبان براً في حين نصب سنان باشا بنفسه بحراً. ودارت رحى الحرب في شدّة على الجيوش المرابطة بحصن حلق الوادي، واضطّرت بعد مدافعة عنيفة إلى التخلّي عن مراسم المنيع، ولاذوا بالفرار مع الأمير محمد الحفصي، فالتجأوا إلى قلاعهم بتونس وتحصّنوا بالباستيون، فلحقهم الأتراك إليها واستمرّ القتال أياماً متوالية. وأخيراً تمكّن سنان من فتح القلاع عنوة وتأسير من بها يوم 25 جمادى الأولى سنة 981 هـ / 1573 م.

وكان هذا الاصطدام التركي الإسباني من أشدّ ما وقع في تونس، سقط فيه خلق كثير من الجانبين. وكان من نتائجه تخليص البلاد من تخريب الجيش الإسباني وبثّ الأمن في نفوس السكّان في كامل البلاد وإخماد غليان الثورة سواء التي أعلنها الحفصيون على بعضهم تنازعا على السلطة أو التي وقعت بين زعماء العروش والقبائل ورؤساء الطوائف والجماعات. ولم تخلّف هذه الحماية الإسبانية وما تسبّبت فيه من حروب دامية ومن الاعتداء بالظلم والتعسف إلّا الخراب والتقهقر في مظاهر الحضارة التي

وصلت إليها البلاد في عهود ازدهارها في فترات متميزة من الدولة الحفصية.

انقراض الحفصيين وبداية العهد التركي: (981 هـ / 1574 م)

وقع الأمير الحفصي مع جملة الأسرى في قبضة سنان باشا في هذه الحوادث التي دارت فيها الدائرة على جيش الإسبان. وأرسل الأمير محمد بن الحسن إلى الأستانة عاصمة الدولة التركية فبقي معتقلاً بها إلى أن قضى نحبه. «وموته انقطعت السلالة الحفصية بعد أن حكمت القطر الإفريقي ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين عاماً عرفت فيها البلاد التونسية أوج ازدهار الحضاري نتيجة الأمن والاستقرار بحزم أبرز أمراء الحفصيين، ومن أحزمهم أبو زكريا الحفصي وابنه المستنصر بالله. لقد قويت الحياة الاقتصادية في تونس الحاضرة وتطور العمران، وكبرت حركة الأسواق، وانبعثت مؤسسات التعليم في أنحاء المملكة، وانتشرت وسائل العلم والثقافة، من ذلك المكتبات العمومية ونشر الكتب بين جميع الطبقات وتوافد العلماء على تونس وخاصة من الأندلس فطبعوا الثقافة ومظاهر العمارة بالطابع الأندلسي.

ملخص عن نشأة الدولة الحفصية (1228 - 1574 م / 626 - 981 هـ)

لقد ركزنا البحث على أهم الأحداث التي برزت وقائعها في عهد الدولة الحفصية لأنها عنت بصفة مباشرة لاعاصمة دولتهم الحاضرة تونس خاصة وإنما مدينة أريانة وجميع مناطقها وهي التي أصبحت مسكن الحفصيين بدءاً من إمارة المستنصر بالله الأول (1249 - 1276 م) وهو أول من تلقب بأمر المؤمنين. وأصبحت مدينة أريانة وأحوازها على جانب من ازدهار العمراني وخاصة الفلاحي بقدم الأندلسيين على الدولة الحفصية من غرناطة وبلنسية وجيان ومالقة كما سنبين ذلك.

والدولة الحفصية هي الدولة الإسلامية الرابعة التي ركزت سلطتها ومنتتها بالبلاد التونسية ودامت هذه الدولة كما أسلفنا ثلاثة قرون ونصف قرن من سنة 1228 إلى سنة 1574 للميلاد، عرفت فيها البلاد التونسية أبرز التطور العمراني والاجتماعي والثقافي حتى اعترف أكبر المؤرخين لهذه الدولة بتأسيس حضارة حفصية بقي طابعها واضح المعالم إلى اليوم في أنحاء البلاد التونسية وخاصة العاصمة. لكن هذه الحضارة أودت بقوتها يد التخريب بفعل الجيوش الإسبانية التي توالى هجماتها فنصبت حمايتها على البلاد طيلة حقبة من القرن السادس عشر بقيادة ملك إسبانيا كرلوس الخامس (شارلكان) سنة 1535 م. مؤسسها هو أبو زكرياء يحيى الحفصي ثاني أبناء أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي. وأصله من هنتاتة إحدى فروع قبيلة المصامدة البربرية التي كانت تقيم بالمغرب الأقصى. وأبو حفص الهنتاتي الجد كان من مساعدي عبد المؤمن بن علي الكومي، وهو من قبيلة زناتة البربرية، على إعلاء شأن الدولة الموحدية وإرساء قواعدها وإثبات بأسها باستيلائها على المغربين الأقصى والأوسط وضم الأندلس إلى نفوذها، فأحرز أبو حفص الهنتاتي منزلة رفيعة في تلك الدولة.

أمّا أبو محمد عبد الواحد والد أبي زكرياء الحفصي فقد كان وزيراً للخليفة الموحي الناصر محمد يعقوب الذي عينه سنة 603 هـ / 1206 م والياً على البلاد التونسية وطرابلس وبرقة في العهد الموحي. وإثر وفاته سنة 618 هـ / 1221 م باشر الولاية على التوالي ابنه عبد الرحمان ثم أخوه إدريس، ثم عبد الله عبّو الذي خالفه الجند ورجال الدولة وبايعوا أخاه أبا زكرياء يحيى الحفصي الذي اغتتم فرصة تراجع

أمر الموحدون وضعهم واختلال سلطتهم فأعلن استقلال البلاد التونسية وتأسيس الدولة الحفصية سنة 626 هـ / 1228 م.

أريانة المدينة الحفصية:

إن من نتائج انتشار العدل في البلاد في مدة العشرين أميرا الأولين الحفصيين (626 - 899 هـ) أن أقبل الناس على العمل والمشاركة الفعلية في الحياة الاقتصادية، فتمت الثروة العمومية، وارتفعت مداخيل الدولة، وازدهرت الحياة الاجتماعية. وأينعت حضارة البلاد بأجمعها انطلاقا من الحاضرة تونس وأقرب الأحواز منها وخاصة مدينة أريانة في عهد الأمير المستنصر بالله (647 - 675 هـ) وهو الذي وجّه عناية خاصة إلى مدينة أريانة وماحولها من البساتين فجعلها إقامته في قصور بستان أبي فهر، وإقامة رجالات الدولة من حاشيته، فكثر الثرف لدى الطبقة الأرستقراطية في الجهة، تأنقوا في المباني والمراكب والملابس والماعون والآنية. وعنى الأمراء الحفصيون بشأن الفلاحة، واهتموا بإنشاء بساتين كثيرة حول العاصمة: برادس، والمرسى، ورأس الطابية، وخاصة حول أريانة حتى ارتقت أساليب الريّ بوسائل كبرى تمثلت في ساقية الحنايا وكذلك في سلاسل الآبار بما عرف بالفجّارة في بساتين منطقة سكرة، وهو ما فصلنا الحديث فيه في فصل السقاية والريّ في العهد الحفصي. ولقد تطوّرت الفلاحة في بساتين أريانة وريفها بقدم الأندلسيين الذين كان لهم فضل غراسة الزيتون حتى أصبح ريف مدينة أريانة مضرب الأمثال في نقاوة هوائه من أجل غابات الزيتون الممتدة في المنبسّطات وعلى هضاب منطقة جعفر. وقد أثبت هؤلاء الأندلسيون عادات فلاحية جديدة في غراسة الخضر والباكورات. وعرفت الجهة بنوع من البطيخ اشتهر باسم بطيخ جعفر. وتفنّنوا بمالهم من الذوق الرفيع في بلادهم بزراعة الأزهار وخاصة الورد الذي أصبحت تعرف به مدينة أريانة إلى اليوم منذ العهد الحفصي وأتقنوا استخراج زيت الورد واستعماله في شتى الأطعمة والحلويات حتى أصبح تقطير الورد من الصناعات التي تعرف بها أريانة لما لماء الورد وزيته من الفوائد الطبية التي تبسّط في وصفها العشّاب الغرناطي المشهور ابن البيطار في كتابه «الأدوية المفردة» وقد ترجمه إلى الفرنسية لوسيان لوكلارك، وكذلك ذكر منافعه الطبيب ابن سينا في كتابه «القانون في الطب». وجلب هؤلاء الأندلسيون، إلى جانب حذقهم لأساليب جديدة في الفلاحة، أنواعا غير معروفة قبلهم من الخضر كالطماطم والبطاطا والصناعات اليدوية. وقد اختصت النساء في أريانة دون غيرهنّ بزرع الكبوس بخيوط الصوف، فكان تجار الشاشية في العاصمة يمدّونهن بالصوف فيزردن منه الكبابيس التي تكشط وتصيغ بالقرمز وتنظف في سدّ البطان. كما عرفت الأريانيات منذ ذلك العهد بتسدية الأغطية الصوفية إلى جانب مشاركتهنّ في الأعمال الفلاحية خاصة الموسمية كجني الورد وتقطيره في المنازل أو في معامل خاصة به.

وقد أصابت هذا الازدهار الفلاحي والصناعي نكسة عند الزحف الإسبانيّة في الثلث الأول من القرن السادس عشر فأثت على هذا التطور العمراني إذ طاردت الجيوش السكّان اللاجئين من العاصمة إلى أرياف أريانة وسلبتهم ونكّلت بهم. وأتت يد إفسادهم على المقدّسات مما دعا السّلطة التركيّة فيما بعد إلى إعادة بناء زاوية سيدي عمّار المعروف التي وقع تخريبها كما خرّبوا قصور الحفصيين في بستان أبي فهر

في هذه الحوادث التي دارت فيها الدائرة على عاصمة الدولة التركية فبقي معتقلا بها من القطر الإفريقي ما يقرب من ثلاثمائة سنة. نتيجة الأمن والاستقرار بحزم أبرز أمراء الدولة في تونس. لقد قويت الحياة الاقتصادية في تونس. كانت التعليم في أنحاء المملكة، وانتشرت في جميع الطبقات وتوافد العلماء على الأندلس.

66 هـ

في عهد الدولة الحفصية لأنها عنت بصفة جميع مناطقها وهي التي أصبحت (1276 م) وهو أول من تلقب بأمر العماري وخاصة الفلاحي بقدم كما ستبين ذلك.

سلطتها ومشتها بالبلاد التونسية ودامت سنة 1574 للميلاد، عرفت فيها البلاد أكبر المؤرخين لهذه الدولة بتأسيس تونس خاصة العاصمة. لكن هذه كانت هجمات فنصبت حمايتها على من الحسن (شارلكان) سنة 1535 م. عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني. ثم تيم بالمغرب الأقصى. وأبو حفص من فيلة زناتة البربرية، على إعلاء شأن من الأقصى والأوسط وضمّ الأندلس

لخليفة الموحد الناصر محمد بن طرابلس وبرقة في العهد الموحد. عبد الرحمان ثم أخوه إدريس، ثم عبد الحفي الذي اغتنم فرصة تراجع



معمل البطان حيث تصبغ الشاشية المزودة بأريانة (الكبوس صناعة الأريانات منذ الهجرات الأندلسية الأولى)

وساقية الحنايا المحاذية لأريانة والمزودة لفسقية بستان أبي فهر (في وسط مدينة العلوم اليوم) وذلك لتحسين سور حلق الوادي وبناء حصن جزيرة شكلي وسط البحيرة ودعم بناء «الباسطيون» (قرب باب البحر في مكان سفارة فرنسا اليوم)، وهو عبارة عن قلعة محصنة بالصخور الضخمة والجدران العالية.

وأمن الجند الإسبان في التخريب، فأتوا على مظاهر الحضارة العمرانية في كامل الجهة، ومحو ما كان لأريانة وأحوازها السلطانية من البهجة فأصبحت معالمها أثرا بعد عين.

وفقدت هذه الضاحية السلطانية الحفصية معالمها المتميزة كما تعطلت وظيفتها الفلاحية والصناعية بسبب الحماية الإسبانية وفعلها السلبي. وبدأت اليقظة بطيئة بدءا من القرن السابع عشر خاصة بقدوم أفواج المهاجرين الأندلسيين وإن كانت هذه الهجرة الأندلسية قد بدأت منذ سقطت غرناطة آخر إمارة إسلامية وخرجت من سلطة ملوكها بني الأحمر إلى سلطة «فردند الكاثوليكي» صاحب فشتالة، فكانت الطامة الكبرى. فهاجر عندئذ خلق عظيم ولم يبق من السكان إلا الضعفاء مهانين في معتقدهم مضطهدين في حقوقهم. وتوالى ظلمهم في مواطنهم حتى انتهى الأمر إلى تشريدهم وطردهم إلا من تنصّر منهم، فتوافدوا ملتجئين برقابهم ودينهم إلى بلاد المغرب وقصدوا خاصة القطر التونسي لما كان يبلغهم عن كرم أهله وخصب تربته من سنة 1016 هـ إلى ما بعدها.

وكان أول قدومهم على عهد عثمان داي وهو من أفضل الجند القادمين صحبة سنان باشا. فلهجرة الأندلسية قد بدأت بصفة مكثفة بعد الاستيلاء التركي ومنذ بدايته في عهد عثمان داي «فإن هذا الداي أقطع مهاجري الأندلس ما اختاروا من الأراضي ووزع على محتاجيهم الأموال والتفقات، فانتشروا في أكناف البلاد يشيدون القرى وينشؤون المزارع والبساتين حتى استأنف القطر عمرانه المفقود وثروته الغابرة. فمن المدن التي أسسوها سليمان وقرنالية والجديدة وزغوان وطبرية ومجاز الباب وتستور وقلعة الأندلس وغيرها. وعلاوة على ذلك فقد استوطن منهم جانب وافر حاضرة تونس واتخذوا بها حارات عرفت بهم مثل حومة الأندلس وزقاق الأندلس. وأنشأوا أسواقا للصناعات التي جلبوها معهم كصناعة الشاشية ونسج الحرير ونقش الرخام والجيس والزليج وقد نقل أهل البلاد عنهم أصول تلك الحرف حتى أتقنوها. وبالجملية فقد حصل للقطر من هجرة الأندلسيين إليه ثروة واسعة وعمران دافق». وقد نالت مدينة أريانة كضاحية فلاحية وصناعية أيضا حظها من مشاركة الهجرة الأندلسية، كما بينا ذلك، في استعادة نهضتها وازدهارها في العهد الحفصي. وقد فقدتهما بفعل الزحف الإسباني العنيف والهمجي.

لَيْسَانِيَّة

في حاضرها الواعد ومستقبلها المشرق

«إن دراسة الماضي تمكّنتنا من استجلاء الحاضر لإنارة المستقبل»

لويس التوسير



صالة الأرشيفات منذ الهجرات الأندلسية الأولى

سطح مدينة العلوم اليوم) وذلك لتحصين
من بناء «الباسطيون» (قرب باب البحر في
الضخمة والجدران العالية.
نضارة العمرانية في كامل الجهة، ومحو
بعد عين.

كما تعطلت وظيفتها الفلاحية والصناعية
من القرن السابع عشر خاصة بقدم
من بدأت منذ سقطت غرناطة آخر إمارة
الكثوليكي» صاحب فشتالة، فكانت
الضعفاء مهانين في معتقدهم مضطهدين
من تشريدهم وطردهم إلا من تنصّر
خاصة الفطر التونسي لما كان يبلغهم عن

من القدمين صحبة سنان باشا. فالهجرة
في عهد عثمان داي «فإن هذا الداي
أحبه الأموال والثغقات، فانتشروا في
الفطر عمرانه المفقود وثروته الغابرة.
من وطيرة ومجاز الباب وتستور وقلعة
من حاضرة تونس واتخذوا بها حارات
الصناعات التي جلبوها معهم كصناعة
البلاد عنهم أصول تلك الحرف حتى
واسعة وعمران دافق». وقد نالت مدينة
الأندلسية، كما بينا ذلك، في استعادة
السياسي العنيف والهمجي.

أريانة الحديثة: التحول السكاني والعمراني

إن مدينة أريانة - على غرار الحاضرة تونس - قد وجدت في أكناف السلطة الحفصية التي تواصل نفوذ دولتها قرابة ثلاثة قرون ونصف تطورا حضاريا واضح المعالم تمثل في ازدهار عمراني كامل شمل الجهة إذ أصبحت مقر سكن السلطان وحاشيته. فإلى جانب القصر السلطاني الذي كان يتوسط بستان أبي فهر وهويطل على الفسقية العظيمة الذائعة الصيت كانت تتجاور قصور رجالات الدولة في بساتين محاذية إلى حدود روابي قمرت المطلة هي الأخرى على ساقية الخنايا التي تشق في عظمة الجمال والأبهاء منبسط «العونية» إلى خزانات المعلقة بقرجاج - وقد بسطنا الحديث في ذلك فيما سبق من الفصول. كما تمثل هذا التطور الحضاري الحفصبي في مشروع واسع النطاق في ميداني السقاية والري. وأصدق مظهر له إعادة ترميم ساقية الخنايا من زغوان إلى بستان أبي فهر، وخاصة إنشاء الفرع منها إلى الجابية العظيمة التي أطنب في وصفها بباعث الإعجاب مؤرخنا الكبير عبد الرحمان بن خلدون. وما زالت آثارها قائمة إلى الآن تطوقها بنايات مدينة العلوم حاليا. كل هذا إلى جانب بئر البطون بجانبها ووسائل الري الأخرى كالآبار المسترسلة وهي ما سمي بطريقة الفجارة FOGGARA، وإقامة التواعير على الآبار وتزويد تونس الحاضرة بمنايع الماء في الأحياء في أجباب الرصاص (المصاصات).

وقد زاد هذه الجوانب العمرانية قوة وتمكنا في جهة أريانة بكاملها التمازج السكاني وتنوعه. ويثبت لنا جان دانتوار Jean D'Anthouard في مقاله «بلدة أريانة وقصورها» الصادر في «النشرة الاقتصادية والاجتماعية التونسية» أن من سكان أريانة من يعودون في أصلهم إلى الجالية القبطية والأندلسية. فأما الأقباط فيرجع قدمهم إلى القرن الثامن حين جلب القائد العربي حسان بن النعمان ألف رجل وأمرأة من أقباط مصر لحفر القناة الرابطة بين حلق الوادي وتونس الحاضرة، فأسكنهم أريانة وأستوطنوا بها دون أن يعودوا إلى بلادهم. وأما الجالية الأندلسية فإن قدمها يعود إلى القرن السادس عشر. وترجع آخر هجرة لهم إلى تونس إلى عهد ملك إسبانيا فيليب الثالث وعثمان باي في تونس (1016 هـ / 1607م) وقد ضمت حوالي مائتي ألف مهاجر من مختلف المدن الأندلسية بين مسلمين ويهود.

ويؤكد هذا الباحث أن الأندلسيين يتميزون على السكان السابقين لهم في استيطان بلدة أريانة بلامحهم التحيفة وشعورهم الشقاء. كما أن لهم أريانة خاصة بهم مثل الكدرون والشاش المخطط. ويرون في المساء عائدين من حقول منطقة جعفر المجاورة للبلدة ينقلون على ظهور دوابهم زنايل مخروطة الشكل مصنوعة من الخشب ملأى ببطيخ جعفر الشهير في ذلك الوقت. وهم يتخاطبون بلهجة فيها إمالة بعض الأصوات وتخطيط لها في غنة ليست عند غيرهم من سكان الجهة.

والأندلسيون ببلدة أريانة وجهتها لا يختلفون عن مهاجري الأندلس الذين عهدنا وجودهم في روابي قمرت وبساتينها وفي قلعة الأندلس وتستور والسلوقية. ومن أسمائهم: القسطلي (نسبة إلى قسطلو بالبرتغال) وتروالي (من تروال بالأندلس) والسرقسطي (نسبة إلى سرقسطة بشمال الوادي الكبير بالأندلس).

وقد تعود هؤلاء الأندلسيون مجاورة أبناء بلدهم من يهود الأندلس في نفس المنزل. وعادة تسكن المسلمين واليهود في بيت واحد تلاحظ خاصة في أريانة ونابل وباجة دون غيرها من المدن التونسية. فقد

كانوا جميعا أطرودوا في كثير من الأحيان منهم النصارى. فإن نفس الحنة قد فتقاسموا نفس البيت في غرف متجاورة والمخازن والأروقة والأفنية، فيتعاونون لتقاربهم في الأذواق ونوعية العيش شهرة أريانة بالورد وماء الورد وماء ليكرد ويصنع ويصبح الشاشية الفخمة حدود البلاد الإفريقية كالتيجر والجلود وكان لهؤلاء السكان الجدد مدينة أريانة، من مدن بنسبة وغرفة عشر في تنشئة طرق جديدة في القلاع على غرار ناعورة بئر الصنصاف بالمرجة فكانت كل الآبار مجهزة بالنواع

المسارب الفاصلة بين السواني يسمع مندفعة من أفواه الجرار الموثوقة في حيا أقيى عدود وموثوق في كتب البعير أو فتدور الناعورة بدورانه وتتجاوب هذه أصواتا ترافقها حناجر الصبايا الفلاحات أفرح الفلاحين والفلاحات في مواهب وزيادة في تثبيت هذه النهضة كالطماطم والفلفل بشتى أنواعه. وأما البلاد اشتهار ببطيخ باجة أوتفاح جربة وأزهار القوارص والتسرين. وإلى المهاجرين أصبحت صناعة مخصصة عرفت المعروف إلى اليوم في مدينة غرناطة الأندلسية ومفخرة من مفاخر معالمها

أما عن غراسة الزيتون والأشجار روابي جعفر وكروش الغاية وفج الرياح إنتاج الزيت إلى جانب الشهرة التي تميزها بالهواء النقي الشافي للمعتلين «قوستاف فلوبار» الذي قدم إليها مرة

في أكتاف السلطنة الحفصية التي تواصلت في ازدهار عمراني كامل شمل الجهة التي كان يتوسط بستان أبي فهر جالات الدولة في بساتين محاذية إلى شق في عظمة الجمال والأبهة منبسطة فيما سبق من الفصول. كما تمثل هذا غاية الري وأصدق مظهر له إعادة ترميم منها إلى الجابية العظيمة التي أطنب في يومها زالت آثارها قائمة إلى الآن تطوقها ووسائل الري الأخرى كالآبار المسترسلة الآبار وتزويد تونس الحاضرة بمنايع الماء

كاملها التمازج السكاني وتنوعه. وثبتت صورها الصادر في «التشرة الاقتصادية» إلى الجالية القبطية والأندلسية. فأما في حنان بن النعمان ألف رجل وأمرأة مرة فأسكنهم أريانة وأستوطنوا بها دون القرن السادس عشر. وترجع آخر هجرة في تونس (1016 هـ / 1607 م) وقد مسلمين ويهود.

الباقيين لهم في استيطان بلدة أريانة مثل الكدرون والشاش المخطط. ويرون صور دوابهم زناجيل مخروطية الشكل وهم يتخاطبون بلهجة فيها إمالة بعض

الأسلس الذين عهدنا وجودهم في روابي القسطنطيني (نسبة إلى قسطلو بالبرتغال) والوادي الكبير بالأندلس).

الأسلس في نفس المنزل. وعادة تساكُن حجة دون غيرها من المدن التونسية. فقد

كانوا جميعا أطردوا في كثير من الأحيان من نفس المدينة أو نفس القرية من أرض الأندلس التي سلبها منهم النصارى. فإن نفس المحنة قد جمعتهم وقارت بينهم في نفس الهجرة والتوجه وحتى الطريق، فتقاسموا نفس البيت في غرف متقابلة يجمع بينها نفس صحن الدار والمرافق كالبنجر أو الجابية والمطبخ والمخازن والأروقة والأفنية، فيتعاونون في السراء والضراء والأفراح والأتراح. ويشترون في نفس الأعمال لتقاربهم في الأذواق ونوعية العيش كالميل إلى حب التزهة وزراعة الخضر والأزهار وتقديرها. ومن ذلك شهرة أريانة بالورد وماء الورد وماء أزهار البرتقال وصناعة النساء الكبوس الذي يرسل إلى قرية البطان ليكرد ويصنع ويصبح الشاشية القرموزية المشهورة في تونس. وقد غزت تجارتها بلاد المغرب جميعا إلى حدود البلاد الإفريقية كالتيجر والسنگال.

وكان لهؤلاء السكّان الجدد من الأندلسيين القادمين إلى تونس، وخاصة إلى ضاحيتها المتميزة مدينة أريانة، من مدن بلنسية وغرناطة وشاطبة وجيان ومالقة الأندلسية، دور هام منذ بداية القرن السابع عشر في تنشئة طرق جديدة في الفلاحة مثل طرق الري بإخراج الماء من الآبار بناورة يديرها جمل أو ثور على غرار ناعورة بئر الصمصاف بالمرسى أو بئر برودة بالقيروان إلى اليوم.

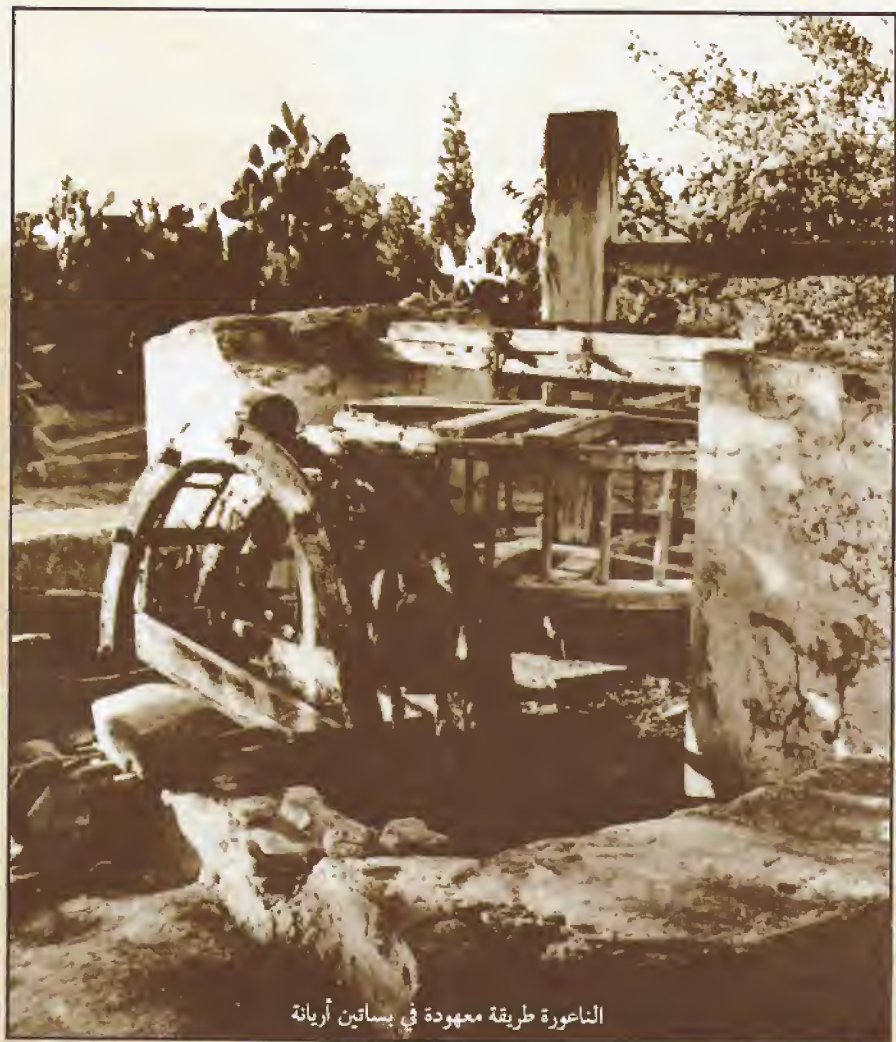
فكانت كل الآبار مجهزة بالنواعير. ويذكر لنا شيوخ الفلاحين بأريانة من الطاعنين في السن أن المار في المسارب الفاصلة بين السواني يسمع أزيز النواعير من كل جانب وتدق الماء في الجوابي وخريها في السواقي مندفعة من أفواه الجرار الموثوقة في حبال (القوادس جمع قادوس) تديرها عجلة خشبية ضخمة يحركها صار أقيي بمدود وموثوق في كتب البعير أو بردعة الحمار والبغل أوفي نير الثور. ويدور الحيوان في حلقة حول البئر فتدور الناعورة بدورانه وتتجاوب هذه النواعير بأزيزها وأناتها من كل صوب في البساتين المتجاورة فتحديث أصواتا ترافقها حناجر الصبايا الفلاحات بالأهازيج وأعذب الألحان. وقد صور كثير من الشعراء الشعبيون أفراح الفلاحين والفلاحات في مواسم الجني والحصاد وتغنوا «بالبير والصمصاف والناعورة».

وزيادة في تثبيت هذه النهضة الفلاحية جلب الأندلسيون مزارعات جديدة لاعهد للبلاد بها كالطماطم والفلفل بشتى أنواعه، وأنواعا من الباكورات الفصلية من ذلك بطيخ جعفر الذي اشتهر في البلاد اشتهار بطيخ باجة أوتفاح جربة. كما تفتنوا في زراعة الأزهار وإنتاج روح الأزهار (ماء وزيتا) كالورد وأزهار القوارص والتسرين. وإلى المهاجرين الأندلسيين بأريانة تعزى زراعة الورد في أراض شاسعة حتى أصبحت صناعة مخصصة عرفت بها أريانة فتشبهت بساتينها بجنة العريف البستان بقصر الحمراء المعروف إلى اليوم في مدينة غرناطة. وورده هو نفسه ورد أريانة. وجنة العريف مزار السباح اليوم في غرناطة الأندلسية ومفخرة من مفاخر معالمها يعتز به الغرناطيون.

أما عن غراسة الزيتون والأشجار المثمرة فحدث ولا حرج. فقد أصبحت بساتين أريانة وما حولها من روابي جعفر وكرش الغابة وفج الرياح غابات شاسعة من أشجار الزيتون زاحمت عديد المناطق المختصة في إنتاج الزيت إلى جانب الشجرة التي أحرزتها كامل منطقة أريانة في تونس وخارجها، كما سنبين ذلك، في تميزها بالهواء النقي الشافي للمعتلين الذين يقصدونها في الصيف والربيع. وقد نوه بذلك الروائي الشهير «قوستاف فلوبار» الذي قدم إليها مرتين للاستشفاء في القرن التاسع عشر. وكانت بساتين أريانة تزود

ويثبت صاحب المقال أن البيعة أشهرها الغربية في جربة. ولها زيارة سنوية وأخرى في تونس، وأخرى في عتابة (ص) ومن الميزات الخلقية للسكان وتكثر في لهجتهم إمالة لبعض الأصوات مدينة أريانة وأريافها. ويلبس الرجال محيط بها «الشاش» المزركش، وهو عبارة أما النساء فيخرجن مؤثرات الأطراف، وهي من حياكة مختصات أصبح لا يخلو بيت أرياني من نول، وكان في مصنع قرية البطان الشهير، وهو غير بعيد يقدر بخمس فرنكات عن الكبوس (المراد بذلك للمرأة الأريانية دور كبير في الصناعة الأسرية أيضا. وزرد الكبوس قد اختص الاقتصاد التونسي خاصة في القرن التاسع ونتج عن وظيفة أريانة الأساسية وخاصة الزياتين، وظيفه ثانية تأكدت لنقل الثزّه وقضاء فصل الربيع بين أو جزء منه في أرحاب مدينة أريانة وفي اليوم لجميع السكان في تونس في فصل العاصمة من جميع الفئات، وخاصة من العاصمة.

ويثبت جاك طيب في بحثه كما لاحظنا ذلك منذ بداية القرن التاسع المتمولة من سكان الحاضرة تونس سواء لقضاء فصل الربيع. وإن أقل الناس وتواصل الالتجاء إلى هذه الثزّه (1918). وتماثلت الجالية اليهودية في هذه أو الكرنفال في عيدي الفصح وبورع. وينعمون بالثزّه بين بساتين الورد، ويشهد العادة رغم زوال البساتين والورود، فأصبح



الناعورة طريقة معهودة في بساتين أريانة

الحاضرة تونس بشتى أنواع الخضضر والثمار. وقد أطال المؤرخون والوصافون الحديث عن ذلك. ويكفى أن نشير إلى ما كتبه شارل منشكور CHARLES MONCHICOURT عن دور أريانة في إنتاجها الفلاحي في نهاية القرن التاسع عشر في كتابه «منطقة تونس» سنة (1904 ص 166):

LA RÉGION DE TUNIS. ANNALES DE GEOGRAPHIE

ولابد أن نذكر هنا أن يهود الأندلس قد سبقوا أهلها المسلمين في هجرتهم إلى مدينة تونس وإلى أريانة، فبنوا بيعتهم فيها وسموها «الغربية» وهي إلى الآن موجودة في المدينة العتيقة في زقاق ضيق قبالة السوق البلدية. ويعود بناء «الغربية» حيث يقيم السكان اليهود طقوسهم الدينية في أريانة حسب أسطورة يتناقلها اليهود الأريانيون إلى اكتشاف لفّة من ورق البردي PAPYRUS كتبت عليها القوانين العشرة الموسوية حملها البحر على شاطئ رواد فعر عليها بعضهم وحفظت في هذه البيعة التي سماها يهود أريانة «الغربية» (انظر في ذلك مقال جاك طيب: إحدى ضواحي تونس: أريانة).

Une Banlieue de Tunis L'Ariana-Cahier de Tunisie n°32, 4 ème trimestre 1960

ويثبت صاحب المقال أن البيعة اليهودية التي تحمل اسم «غريبة» توجد في العديد من المدن التونسية أشهرها الغربية في جربة. ولها زيارة سنوية موسمية من اليهود في الدّاخل والخارج، والغريبة في الكاف، وأخرى في تونس، وأخرى في عنابة (صفحة 40 من مقال جاك طيّب).

ومن الميزات الخلقية للسكان الأندلسيين بأريانة أنهم كانوا يبيض البشرة شقرا، في كلامهم غنة وتكثر في لهجتهم إمالة لبعض الأصوات مع فاقأة عند بعضهم أو تشتشة تميزهم عن غيرهم من سكان مدينة أريانة وأريافها. ويلبس الرجال منهم جلبابا فضفاضاً يسمونه «بلوزة». وتعلو رؤوسهم الشاشية القرمزية يحيط بها «الشاش» المزركش، وهو عبارة عن قلنسوة غليظة أو مفتوحة (غير ملوثة).

أما النساء فيخرجن مؤتررات «بالفراشية» المنسوجة من الصوف الأبيض قد تزينا خطوط ملونة في الأطراف، وهي من حياكة مختصات حاذقات على الأنوال المنزلية والصناعات من ساكنات أريانة. وقد أصبح لا يخلو بيت أرياني من نول، فكل النساء يزردن الكبّوس الذي تصنع منه الشاشية وتصنع بالقرمز في مصنع قرية البطان الشهير، وهو غير بعيد من أريانة، فيتولّى تجار الشاشية تقديم الصوف لزرده بمقابل مالي يقدر بخمس فرنكات عن الكبّوس الواحد. وتقوم الأريانيات بهذه الصناعة اليدوية في منازلهن. وأصبح بذلك للمرأة الأريانية دور كبير في المشاركة في ازدهار الحركة الاقتصادية للبلاد، وفي جانب هام من اقتصاد الأسرة أيضا. وزرد الكبّوس قد اختصت به نساء أريانة دون غيرهن. ونحن نعلم دور صناعة الشاشية في الاقتصاد التونسي خاصة في القرن التاسع عشر.

وتنتج عن وظيفة أريانة الأساسية، وهي الفلاحة في زراعة شتى الباكورات وغراسة الأشجار المثمرة وخاصة الزيتون، وظيفة ثانية تأكدت خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي السياحة أو لنقل التزهة وقضاء فصل الربيع بين أحضان طبيعة غناء. وتأصلت عادة سكان العاصمة في قضاء الربيع أو جزء منه في أرحاب مدينة أريانة وفي أكناف ريفها الجميل بين الخضرة والماء العذب على غرار ما يقع اليوم لجميع السكان في تونس في فصل الصيف. فأصبح قضاء الربيع في أريانة من فرضيات حياة سكان العاصمة من جميع الفئات، وخاصة من اليهود الذين ضاق بهم حي الحفصية قرب ضريح سيدي محرز بالعاصمة.

ويثبت جاك طيّب في بحثه السالف الذكر (صفحة 44) «أن وظيفة أريانة كمركز للتزهة قد تأكد كما لاحظنا ذلك منذ بداية القرن التاسع عشر. وأصبح من الثوابت المحمودة لدى الطبقة الأرستقراطية المتمولة من سكان الحاضرة تونس سواء كانوا من المسلمين أو من اليهود امتلاك بيت فخيم في مدينة أريانة لقضاء فصل الربيع. وإن أقل الناس حظوة مالية يكتفون بكراء بعض المنازل أو الغرف من الأريانيين. وتواصل الالتجاء إلى هذه التزهة الربيعية بصفة مكثفة إلى حدود الحرب العالمية الأولى (1914). وتماادت الجالية اليهودية في هذه العادة كل أيام السبت والأعياد فيحيون مهرجان التنكر بالأزياء أو الكرنفال في عيدي الفصح وبورم. ويقبل الزوار على المطاعم وباعة الأكلات الجاهزة بنهم وشراسة، وينعمون بالتزهة بين بساتين الورد، ويشربون ماء بثر بلحسن، ثم يعودون إلى حاضرة تونس. ولم تنقطع هذه العادة رغم زوال البساتين والورد، فأصبح وجودها في عداد الذكريات. ويعود إليها المتنزهون إلى حد الآن



وصفون الحديث عن ذلك. ويكفي أن
عن دور أريانة في إنتاجها الفلاحي
س 166):

LA RÉGION DE TUNIS. ANNALES

سبن في هجرتهم إلى مدينة تونس وإلى
في المدينة العتيقة في زقاق ضيق قبالة
سهم الذبينة في أريانة حسب أسطورة
PAPYR كتبت عليها القوانين العشرة
في هذه البيعة التي سماها يهود أريانة
أريانة).

Une Banlieue de Tunis L'Année

في أمسيات الصيف بعد الرجوع من شاطئ البحر وإن ارتفاع عدد المقاهي ودكاكين الشّوائين يبرّره كما يبدو ازدحام الزّائرين الذي ما يزال في تواصله.

وأصبح لمدينة أريانة، إلى جانب ما ذكرنا، وظيفة هامة أخرى هي ارتقاؤها إلى مركز استشفائي. وتأكّدت هذه الوظيفة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فلقد اشتهر هواء أريانة



ومناخها الجاف السليم لدى الخاصّ والعامّ في داخل البلاد وخارجها بنفعه للأبدان وخاصة للعليلة منها حتّى جرى في ذلك مثل تردّده الألسن «لوكان أريانة فيها بحر ما يمشي أحد للقبر». وزاد الناس يقينا بما للعيش في مدينة أريانة من النّفع للأبدان والأرواح عندما صار العديد من أطباء الحاضرة تونس ينصحون



مرضاهم بقضاء فترة النّقاها أو التّداوي بماء يثر بلحسن، وخاصة للمصابين منهم بمرض داء الصّدر أو السّل - عفاكم الله -. وأسست الطّائفة اليهودية - وقد بدأت تتكاثر في بداية القرن العشرين في مدينة أريانة - مركزا للرّاحة للمصابين بالأمراض العقلية في فترة ما بين الحربين. وكذلك أنشأت دارا للعجّز، وكذلك مراكز للوقاية سنة 1938 .

وفي سنة 1956 أنشأت كتّابة الصّدرية للأطفال، بقمة ربوة تطلّ على الأمراض العقلية.

ولابد أن نلاحظ أن الإحصائية بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الأولى. والولي الصّالح محرز بن خلف حتّى أصاب أسباب انتقالهم من العاصمة إلى ضوا البيوت. وتلت هجرة اليهود هذه إلى السّكن في مدينة أريانة وذلك من أجل وأدخلت هذه الهجرات المتتالية هذا الضّغط السّكاني مؤسّسات جديدة بعثت إدارة مشيخة المدينة وأنشئت وسائل النّقل العمومية بين أريانة والعاصمة طوال السّنة في هذه الضّاحية الجميلة العيش في أكنافها وبين بساطينها ريعا وليس غريبا أن نرى الطّبقة الأرستقراطية والطّبيعية والمناخية فتختارها مريعا وتبذل أريانة العتيقة أو تنشع أبراجا في وسط أو شطرانة أو جعفر. وهذه الأبراج هي الكثيرة والحمامات وبيوت الجلوس، كالكروية، من ذلك الاصطبلات للخيول أفراد العائلة من الحريم إلى العاصمة، أو الفلاحين على عين المكان في مواطن العمل أخرى حول البرج لخزن المحاصيل الزراعيّة إلى جانب حوش الطّيور المتنوعة واصطبل الصّفّة تجمع العائلة بين الحياة المدنيّة والقرية

تقاضي ودكاكين الشّوائين يبرّره كما

شأن أخرى هي ارتقاؤها إلى مركز
العرش العشرين. فلقد اشتهر هواء أريانة



لصحة الأبدان وخاصة للعليلة منها
في أحد القبر. وزاد الناس يقينا بما
من أطباء الحاضرة تونس ينصحون



لصحة أوالسل
العرش العشرين في مدينة أريانة - مركزا
أشأت دلوا للعجز، وكذلك مراكز

وفي سنة 1956 أنشأت كتابة الدّولة للصّحة العموميّة والشؤون الاجتماعيّة مستشفى الأمراض
الصّدرية للأطفال، بقمّة ربوة تطلّ على مدينة أريانة وسط غابة الزّياتين الشاسعة غير بعيد عن مركز
الأمراض العقليّة.

ولا بد أن نلاحظ أن الإحصائيات السّكّانية للمدينة تثبت أن هجرة مكثّفة لليهود إلى مدينة أريانة
بدأت تظهر بعد الحرب العالميّة الأولى (1914 - 1918) من الحارة بمنطقة الحفصيّة بالعاصمة قرب زاوية
الوليّ الصّالح محرز بن خلف حتّى أصبح عددهم يفوق السّكان الأصليين (انظر الخريطة السّكّانية). وتعود
أسباب انتقالهم من العاصمة إلى ضيق الحارة وتدهور الأحوال الصّحيّة فيها لضيق المساكن وخراب
البيوت. وتلت هجرة اليهود هذه إلى أريانة رغبة الأوربيّين منذ نهاية الحرب العالميّة الثّانية سنة 1945 في
السّكن في مدينة أريانة وذلك من أجل أزمة السّكن في العاصمة تونس.

وأدخلت هذه الهجرات المتتالية تبدّلا في المظهر السّكّاني لمدينة أريانة نوعا وعددا. وتكوّنت بسبب
هذا الضّغط السّكّاني مؤسّسات جديدة تستجيب لتطوّر الخدمات الاجتماعيّة داخل البلدة. من ذلك
بعثت إدارة مشيخة المدينة وأنشئت سوق قارّة للخضر وأسواق أسبوعيّة في بعض أحياء المدينة. وأدخلت
وسائل النّقل العموميّة بين أريانة والعاصمة لنقل الموظّفين والعمّال الذين اختاروا مقرّ إقامتهم وسكناهم
طوال السّنة في هذه الضّاحية الجميلة. وقد استفادوا من طيب هوائها واعتدال مناخها واستلذّوا هدوء
العيش في أكنافها وبين بساطينها ربيعا وكذلك صيفا.

وليس غريبا أن نرى الطّبقة الأرستقراطيّة في العاصمة تونس تستجيب لما للمدينة أريانة من المغريات
الطّبيعيّة والمناخيّة فتختارها مربعا وتبذل من أجل ذلك نفقات باهضة في ابتناء منازل فخمة حول مدينة
أريانة العتيقة أو تنشئ أبراجا في وسط المزارع والبساتين المترامية الأطراف في ريف المدينة سواء في سكرة
أو شطّانة أو جعفر. وهذه الأبراج هي منازل فخمة تجمع بين الطّابع الحضريّ بما فيها من المرافق كالغرف
الكثيرة والحمامات وبيوت الجلوس، كما يضاف إلى هذه المرافق المتأنّقة ما يصل ساكني البرج بالحياة
القرويّة، من ذلك الاصطبلات للخيول الجارّة لأصناف من العربات ووسائل النّقل كالكروسة التي تنقل
أفراد العائلة من الحرم إلى العاصمة، أو الكاليس الذي يستعمله صاحب البرج والصّبيعة لمراقبة أعمال
الفلاحين على عين المكان في موطن العمل سواء عند الحصاد أو جني الثّمار والزّيّتون. كما تخصصّ فضاءات
أخرى حول البرج لخزن المحاصيل الزراعيّة وأعلاف الحيوانات من تبن وبرسيم وحبوب بمختلف أنواعها. هذا
إلى جانب حوش الطّيور المتنوّعة واصطبلات الأبقار الخلوب والخرفان وسائر الأنعام الدّاجنة الأخرى. وبهذه
الصّفة تجمع العائلة بين الحياة المدنيّة والقرويّة في فترة اعتدال الطّقس وخاصة طوال فصل الرّبيع.

المعالم والمواقع بأريانة: القصور

جلبت مدينة أريانة وأحواض الأرسناتية والطبقة المتمولة من البلدة أو في منطقة سكرة وضيعات برج الطويل وبرج كريمة. فأنشأ المتمول دولة الباي أو من التجار المسلمين ويتوسط كل واحد منها بستان شامع ما هي أشجار مثمرة. وكثيرا ما يكثر الناعورة، وتحاذيها الجارية الفسيحة، الوردية ذات طبقتين أو ثلاث تريد وطلبا للهواء النقي الذي عرفت به والمعتلين.

وجلبت هذه المساكن الفخمة ريفو (Jacques Rivault) - على طابع الفن المعماري لبيوت النهضة البساتين المجاورة للبلدة على امتداد الثالث (1859-1882).

ويثبت هذا الباحث أن مدينة من وزراء الباي ومن كان في خدمته المرموقة والمراكز العسكرية السامية الشبيهة في دولة الباي بالولايات في دورا فخمة لقضاء الاستراحة في أو سلامبو. ودفع سراة الدولة منهم ونقاء هوائها - كما أصبح ذلك شاعرا جانب آخر الباي نفسه، فأصبح يتردد باي كان يسكنها طوال السنة.

ونذكر من الأسر المرموقة في أسرة الزاوش وابن عياد والبكوش ورافو Raffo الذي أبتنى لنفسه قصر هذه الأسر تملك دورا فخمة معروفة في أريانة ببساتينها الغناء وجمالها الفاتن

مدينة أريانة تحدّث أخبارها أو أريانة مع الزمن الآتي

المعالم والمواقع بأريانة: القصور والأبراج.

جلبت مدينة أريانة وأحوازاها منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الطبقة الأرستقراطية والطبقة المتمولة من سكان الحاضرة تونس لقضاء فصلي الربيع والصيف في البساتين المجاورة للبلدة أو في منطقة سكرة وضيعات ريف سيدي عمر بوخطوبة وهضاب النحلي وسهل رواد حيث أجتة برج الطويل وبرج كريمة. فأنشأ المتمولون منهم وأهل اليسار والنعمة سواء كانوا من الموظفين السامين في دولة الباي أو من التجار المسلمين واليهود، أنشأوا منازل فخمة هي أقرب إلى القصور منها إلى الدور العادية يتوسط كل واحد منها بستان شاسع تحيط به الأشجار الباسقة، منها ما جعل للزينة ولأزهارها الجميلة، ومنها ما هي أشجار مثمرة. وكثيرا ما يكون بجوار هذا البيت الفخم في أحد أفنية البستان البئر التي تعلوها الناعورة، وتحاذيها الجايبة الفسيحة، وتتصدّر مدخل البيت الذي تظلله أشجار عالية نافورة الماء من الرخام الوردي ذات طبقتين أو ثلاث تزيد هذا البيت رونقا وبهجة. وقد أسس هذا البيت وما حوله لغاية النزهة وطلباً للهواء النقي الذي عرفت به مدينة أريانة ومنطقتها وكذلك لمائها العذب وقد أشتهر بنفعه للأصحاء والمعتلين.

وجلبت هذه المساكن الفخمة انتباه بعض الدارسين للفن المعماري التونسي، فتعرض إليه جاك ريفو (Jacques Rivault) - على سبيل المثال - في كتابه «الإقامات الصيفية الثانية في تونس» ووصف طابع الفن المعماري لبيوت النزهة بأريانة. ويرجع هو الآخر بناء هذه الدور الفخمة في ريف أريانة وفي البساتين المجاورة للبلدة على امتداد عهدي أحمد باي المشير الأول (1837-1855) والصادق باي المشير الثالث (1859-1882).

ويثبت هذا الباحث أن مدينة أريانة وأريافها الشاسعة حولها قد استهوت بمباهجها الطبيعية العديد من وزراء الباي ومن كان في خدمته من موظفي الخزن وهم رجالات الدولة الذين شغلوا المناصب الإدارية المرموقة والمراكز العسكرية السامية في الدولة سواء في الحاضرة تونس أو فيما سمي بالعمالات وهي الشبيهة في دولة الباي بالولايات في التقسيم الإداري اليوم. فكانت هذه الشخصيات في دولة الباي تملك دورا فخمة لقضاء الاستراحة في الصيف في مدينة المرسى بشاطئ سيدي عبد العزيز أو سيدي أبي سعيد أو سلامبو. ودفع سراة الدولة منهم إلى زيادة بناء منازل فخمة أخرى في أريانة جمال موقعها وريع بساتينها ونقاء هوائها - كما أصبح ذلك شائعا عند القاصي والداني - وثانيا قربها من الحاضرة. وقد أستهوت من جانب آخر الباي نفسه، فأصبح يتردد على أريانة. ومما يذكر إلى عهد قريب أن ولي العهد محمد الحبيب باي كان يسكنها طوال السنة.

ونذكر من الأسر المرموقة في القرن التاسع عشر مَن شيدت قصرا أو برجاً في أريانة أو محاذيا لها: أسرة الزاوش وابن عياد والبكوش وابن عاشور ونسيم شمّامة، دون أن تغفل عن خال أحمد باي الكونت رافو Raffo الذي أبتنى لنفسه قصرا يضمّه اليوم المعهد الثانوي خير الدين بمدخل مدينة أريانة. وجلّ هذه الأسر تملك دورا فخمة معروفة في الحاضرة وفي ضاحيتها الشمالية كالمرسى وسيدي أبي سعيد. ولكن أريانة ببساتينها الغناء وجمالها الفائق - كما بيّنا - قد استقطبت هذه الطبقة المتمولة ففضلتها على غيرها

أخبارها
الآتي

من المراجع ومواطن الاصطيف.

وسنرى أن هذه الإقامات الثأوية، وخاصة ما كان منها في وسط مدينة أريانة، تصبح بعيد الاستقلال ملكا للدولة التونسية، وتتحول إلى مراكز إدارية جهوية تابعة لبعض الوزارات، أو يصبح بعضها مدارس



قصر الوزير رفو تحوّل إلى مدرسة للمهّن منذ زمن قريب

عمومية تابعة لوزارة التعليم. وأبرز مثال على ذلك قصر عبد الرحمن بن عياد - في مدخل مدينة أريانة - وهو الذي تحوّل إلى مدرسة ابتدائية بعد أن كان مقراً لعجز الحرب العالمية، ثم أصبح منذ سنة 1983 مقرّ البلدية وإدارتها المركزية، وما تزال تشغله إلى اليوم. وهذا القصر قد بني حوالي 1860. ورغم ما أدخلت عليه من تغييرات في الدّاخل والخارج فهو لا يزال يحتفظ ببعض المظاهر التي تعطينا فكرة واضحة عن مباهج هذه المنازل الفخمة. ولنا أن نقدم وصفا عن بعض هذه القصور أو الأبراج التي تشهد على مدى ما لمدينة أريانة ومنطقتها من المنزلة الرفيعة عند سكّان الحاضرة مهما اختلفت طبقاتهم الاجتماعية.

شواهد عن ماض عريق:

إن كتب التاريخ والدراسات التي تعرّضت لمدينة أريانة من قريب أو من بعيد - وقد حرصنا على أن تقدّم منها بعض الفوائد التي رأيناها جديرة بالذكر - تثبت أن هذه المدينة الشّهيدة طورا والمناضلة أطوارا أخرى تعدّ مركزا عريقا ومحورا أساسيا دارت فيه وحوله أحداث جسام قلّقت البلد وحيرت السّاسة والحكّام وأضنت سكّانها الطّيبين على مدى أزمان من تاريخ تونس. ذلك لأنّ مدينة أريانة كانت الدّرع الواقية للحاضرة في الوقائع الجليّة والأزمات العصيبة - وقد بسطنا الحديث في هذا المضمار فيما سبق. ومنتظر أن نجد في أرجاء أريانة معالم ومواقع أثرية كثيرة ومتنوعة. ولكننا - في واقع الأمر - لا نظفر بشواهد متميزة عن هذا الماضي التليد للمدينة. فأقصى ما نحصل عليه يتمثّل في صفحات ضئيلة وموجزة وصف فيها بعض من زار أريانة من الرّحّالين مشاهد قديمة في المدينة أو قريبا منها. كما نعثر أيضا خلال بعض المقالات القديمة على صور فوتوغرافية أو مخطّطات تشهد بوجود معالم كانت موجودة وأنت عليها يد

الهدم عند بناء عمارات وأحياء سكنية فلم يبق حينئذ من أريانة القديمة المدينة العتيقة. ويذكر بعض الدارسين ليون الإفريقي في كتابه «وصف إفريقيا» ويذكر لنا أن بابا واحدا للمدينة ويواجه المسجد الحفصي الوحيد آنذاك الصنهاجي زمن وجود الشيخ الصالح



المسجد الحفصي

ويحدّثنا الباحث جان داتوار أن كان يحيط بالبلدة في زمن غير بعيد. وفي صدر في المجلة الاقتصادية والاجتماعية المراجع، وخاصة على البحث الميداني «أشغال السّقاية والرّي في العهد الحفصي وعمرانيا عندما جعلها المستنصر بالله الذي كان آية للتأخرين خضرة ورواق خلدون كما ذكر ذلك أنفا. وقد طبقت الطّابية قرب باب سعدون إلى حدود برج الحفصي ربّما امتدت إلى روابي قمرت. والعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب

سط مدينة أريانة، تصبح بعيد الاستقلال
س الوزارات، أو يصبح بعضها مدارس



من قريوب
من عياد - في مدخل مدينة أريانة -
عليه، ثم أصبح منذ سنة 1983 مقر
سي حوالي 1860. ورغم ما أدخلت
تغير التي تعطينا فكرة واضحة عن
في الأبراج التي تشهد على مدى ما
احتلت طبقاتهم الاجتماعية.

قريب أو من بعيد - وقد حرصنا على
التي شهيدة طورا والمناضلة أطوارا
حسام قفقت البلد وحيرت الساسة
ذلك لأن مدينة أريانة كانت الدرع
الحديث في هذا المضمار فيما سبق.
لغة. ولكننا - في واقع الأمر - لا نظفر
طية يتمثل في صفحات ضئيلة وموجزة
س أو قريبا منها. كما نعر أيضا خلال
ود معالم كانت موجودة وأنت عليها يد

الهدم عند بناء عمارات وأحياء سكنية عصرية.

فلم يبق حينئذ من أريانة القديمة ذلك السور القديم الذي كان يحيط بالمباني والدور والأسواق في
المدينة العتيقة. ويذكر بعض الدارسين أن هذا السور كان قائما في أوائل القرن الثامن عشر (راجع ما كتبه
ليون الإفريقي في كتابه «وصف إفريقيا»).

ويذكر لنا أن بابا واحدا للمدينة فتح في هذا السور يخرج منه جميع السكان يقابل زاوية سيدي عمار
ويواجه المسجد الحفصي الوحيد آنذاك في المدينة. ومن المؤرخين من يثبت أن المسجد هو من العهد
الصنهاجي زمن وجود الشيخ الصالح محرز بن خلف طيلة شبابه إلى حد كهولته في مدينة أريانة.



المسجد الجامع بأريانة أسس في العهد الحفصي

ويحدثنا الباحث جان دانتوار (Jean d'Anthouard) عن الآثار والمعالم خارج ما يزعم أنه سور
كان يحيط بالبلدة في زمن غير بعيد. ويقدم لنا وصفا مشفوعا ببعض الصور في مقاله: «بلدة أريانة وقصورها»
صادر في المجلة الاقتصادية والاجتماعية لتونس سنة 1951 في عددها الثاني، ويعتمد على العديد من
المراجع، وخاصة على البحث الميداني الذي قام به المهندس جان مرسال سولنيك (J.M.Solignac)
«أشغال السقاية والرّي في العهد الحفصي». ويثبت المنزلة التاريخية التي احتلتها أريانة وجهتها حضاريا
وعمرانيا عندما جعلها المستنصر بالله الحفصي مقرا لسكناه، فبنى قصوره الضخمة وأحاطها ببستان أبي فهر
الذي كان آية للتأخرين خضرة وروث أشجار وتوار حتى جلب إعجاب الوصّافين ومن بينهم مؤرخنا ابن
خلدون كما ذكر ذلك أنفا. وقد طبقت شهرة هذه المباني الأفاق. ويذكر أن هذا البستان كان يمتد من رأس
الطابية قرب باب سعدون إلى حدود برج الوزير اليوم، ويذهب بعضهم إلى القول إن قصور حاشية السلطان
الحفصي ربما امتدت إلى روابي قمرت. ويعتمد جان دانتوار في بحثه على بعض المراجع، ومن أهمها «كتاب
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» لعبد الرحمان بن خلدون (1332 - 1408م) في

جزئه السادس، وكذلك على ما أخذه مباشرة بذكر المرجعية في ذلك من معلومات منقولة عن المرحوم عثمان الكعاك، المؤرخ التونسي المعاصر. فماذا بقي من بستان أبي فهر بالجنوب الشرقي من مدينة أريانة؟ وماذا انتهى إلينا من المعالم الحفصية وما بعدها؟

ويمكن أن نلخص الإجابة عن هذين السؤالين فيما يلي - وقد كنّا عرضنا للمظاهر الحضارية والعمرانية طيلة العهد الحفصي قرابة ثلاثة قرون ونصف في الفصول السابقة من هذا الكتاب. وقد نالت أريانة وجهتها الحظّ الأوفر من ذلك - فنقول إجمالاً لذلك إن «المستنصر بالله الحفصي» أتمّ ترميم ساقية الحنايا من زغوان إلى أريانة سنة 1252م. مهملاً بقيتها الواصلة إلى خزانات المعلقة بقرطاج أي حوالي ستة عشر كيلومتراً من مائة وإثنين وثلاثين امتدادها الكامل من زغوان إلى قرطاج. وأسس لأول مرة فرعها من باردو إلى القصبة لتزويد جامع الزيتونة والحاضرة تونس بالماء الصالح للشرب ومن وادي قرب (حي النصر اليوم) إلى بستان أبي فهر وجابيته العجيبة في مدينة العلوم اليوم.

وساقية الحنايا العجيبة هي التي بناها الامبراطور «هديران» Hadrien بين سنتي 120 و138 للميلاد وقطعها «حسان بن النعمان» عند حصاره لمدينة قرطاج والتغلب على الدولة البيزنطية فيها التي كان يرأسها «البطريق يوحنا» سنة 78 هـ / 698م. وأجرى المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1277) عن طريق ساقية الحنايا كما أسلفنا ماء زغوان إلى الجابية العجيبة التي أطال في وصفها عبد الرحمان بن خلدون وأطنب في الحديث في نقل ما شاهده حولها من ريع البستان والأشجار البواسق بمختلف أنواعها وذكر أن الفلك تحمل الحسان من الجوّاري للترّه عبر هذا البستان، فتسبح كأنها في اليمّ العريض. واعتبر هذا المعلم الذي تظهر آثاره في مدينة العلوم من المعالم الرسمية سنة 1912 كما أكد ذلك مارسال سولنيك Solignac في بحثه. وقد عثر عليه الباحثون قبله. ويثبت مزية ذلك إلى الباحث كوكلار M. Gauckler مدير مصلحة الآثار بالبلاد التونسية، وكذلك المهندس لويس درابيي M. Louis Drappier وتمتدّ هذه البركة محاذية الطريق عدد 31 على 200 متر في جنوبها بين أريانة وتونس، مروراً بالمدرسة العليا للفلاحة وقصر البكوش.

وبقي من هذه البركة - حسب هذا المقال - جدارها الغربي وجدارها الجنوبي. ولها من الطول 209 أمتار على عرض 80 متراً ونصف متر، فتكون مساحتها حوالي 16.824 متراً مربعاً. وإذا كان لها من العمق متر فحسب، إذ بقي ذلك غير محدد بسبب الأتربة التي ملأتها، فتكون كمية الماء فيها حوالي 33.648 متراً مكعباً ويمكن أن تقارنها ببركة الأغلبة قرب قصر رقادة على ثمانية كيلو مترات من القيروان، وهي التي تمسح 19.000 متراً مربعاً ويمكن أن تكون تعبئتها 38.000 متر مكعب من الماء).

ومن المعالم الحفصية التي أصبحت أثراً بعد عين بسبب الزحفة الإسبانية على تونس وأريانة توجد آثار برج العلوج الذي يمثل موقع ثكنة الحرس الخاص للسلطان الحفصي، وهم من المرتزقة من أصل مسيحي من جزيرتي كورسيكا وسردينيا خاصة، وهم مكلفون بحراسة القصور والإقامة الرسمية. والعلوج (جمع عليج ومؤنثه عليجة) هو كل أجنبي من غير المسلمين، وعادة ما يطلق على الجنود القادمين من جنوة أو سردينيا أو إيطاليا). ويوجد برج العلوج على بعد كيلومترين في الجهة الغربية للبركة في غابة الزيتون

جنوب جبل التحلي.

وغير بعيد من بركة بستان أبي فهر في زمن غير بعيد بقصر ابن عمار، فرأى أن قصر ابن عمار هذا قد كان ملكاً ل...



آثاره قائمة منذ عهد قريب محاذية للممرس. ويوجد العديد من القصور في ضواحيها. كان وزيراً لدى الباي، وقد وجدنا صوراً له. ويوجد قصر رفو في مدخل أريانة من جهة الجنوب. اليوم المعهد الثانوي خير الدين في أريانة. كما يوجد في نفس الطريق قصر أحمد باي سنة 1850 م ولم يبق منه شيء. مشبك حديدي يحمل العلامة S.D. وإلى جانب هذه المعالم القديمة تتوفر فيها مرافق الحياة القروية البسيطة. أريانة من حاضرة تونس، وقد اختارت المرسى وسيدي أبي سعيد. ومن هذه شمامة، وإبن عباد، والسنوسي.

وتحيط بهذه القصور جميعاً الأبنية الحديثة. وأقدمها من القرن الثامن عشر. ويغلب على بنائها الطابع الخارجي وفي الداخل، وكذلك التلّيث...

ذلك من معلومات منقولة عن المرحوم
عبد الجليل الشرفي من مدينة أريانة ؟

وقد كنا عرضنا للمظاهر الحضارية
السابقة من هذا الكتاب. وقد نالت
قصر بالله الخفصي « أتمّ ترميم ساقية
حركات المعلقة بقراطج أي حوالي ستة
متر قراطج. وأسس لأول مرة فرعها من
الشرب ومن وادي قرب (حي النصر

Hadrien بين سنتي 120 و 138
الغلب على الدولة البيزنطية فيها التي
عبد بالله الخفصي (1249 - 1277) عن
في وصفها عبد الرحمن بن خلدون
بمختلف أنواعها وذكر أن
في أيام العريض.

الرمسية سنة 1912 كما أكد ذلك
في وقت مبكر ذلك إلى الباحث
M.Louis لويس درايبلي
200 متر في جنوبها بين أريانة وتونس،

وجدارها الجنوبي. ولها من الطول 209
15 مترا مربعا. وإذا كان لها من العمق
تكون كمية الماء فيها حوالي 33.648
مليون كيلو مترات من القيروان، وهي التي
تقرب من الماء).

وحدة الإسبانية على تونس وأريانة توجد
الخفصي، وهم من المرتزقة من أصل
القصور والإقامة الرسمية. والعلوج
ما يصل على الجنود القادمين من جنوة
في الجهة الغربية للبركة في غابة الزيتون

جنوب جبل النحلي.

وغير بعيد من بركة بستان أبي فهر وعلى مائتي متر تقريبا عشر باحثو الآثار على بقايا قصر كان يدعى
في زمن غير بعيد بقصر ابن عمّار، فرأى بعضهم أنه جزء مما بقي من إقامة المستنصر بالله الخفصي. ويذكر
أن قصر ابن عمّار هذا قد كان ملكا لعائلة «سانتو روشيو» Santo Rouccio مدّة 54 سنة. وكانت



آثار قصر ابن عمّار

آثاره قائمة منذ عهد قريب محاذية للمدرسة العليا للفلاحة على الطريق عدد 31 الرابطة بين تونس وأريانة.
ويوجد العديد من القصور في ضواحي أريانة نذكر منها قصر البكوش وقصر رفو Raffo، وقد
كان وزيرا لدى الباي، وقد وجدنا صورة له بريشة أحد الرسّامين في قصر باردو - مجلس النواب اليوم -
ويوجد قصر رفو في مدخل أريانة من جهتها الجنوبية وقد أصبح في سنة 1951 مدرسة صناعية ويضمّه
اليوم المعهد الثانوي خير الدين في أريانة.

كما يوجد في نفس الطريق قصر «إيليا شمّامة» وهو محافظ الخزينة العامة للبلاد التونسية في عهد
أحمد باي سنة 1850 م ولم يبق منه إلى حدود 1951 سوى ساريتين حجريّتين لمدخل بستانه يعلوهما
مشبك حديدي يحمل العلامة S.D 1873 في إطار بارز.

وإلى جانب هذه المعالم القديمة تسترعي انتباه كل زائر مدينة أريانة العتيقة المكوّنة من دور متلاحمة
تتوفّر فيها مرافق الحياة القروية البسيطة إلى جانب قصور بعض العائلات الأرستقراطية الموسرة القادمة إلى
أريانة من حاضرة تونس، وقد اختارت الإقامة فيها رغم أنها تملك بيوتا على جانب من الفخامة والأبهة في
المرسى وسيدي أبي سعيد. ومن هذه العائلات نذكر: المستيري، والزّاوش، ورفو، والقائد، ونسيم، و
شمّامة، وابن عياد، والسّنوسي.

وتحيط بهذه القصور جميعا الأجنّة الجميلة والأشجار المثمرة، وفيها الآبار ذوات النواعير حسب
التقنيات الأندلسية في الري. وأقدم هذه القصور حول مدينة أريانة يعود إلى النصف الثاني من القرن
الثامن عشر. ويغلب على بنائها الطابع الإيطالي من حيث الهيكل وشكل المعمار والتزييق والنقوش من
الخارج وفي الداخل، وكذلك التّأثيث وتوزيع الفضاءات وانفتاحها على الخارج وتواصل المباني الإضافية

منحطّ قديم لأريانة وهو النهج الذي يحيط
وعثرنا في «الحوليات التونسية»
عضوا في المجلس البلدي بأريانة من سنة
بعد وزيرا أكبر لدى أحمد باي الثاني
19 جوان 1942. وقد أهدى نيكولا
والاستشفاء بمائها شربا واغتسالا.

وهكذا اشتهرت أريانة من أجل
الربيع والصيف وأصبحت مركز استجمام
ذلك مفصّلا فيما سيأتي. فكان يقصده
أريانة العتيقة. وتطوّر جمعهم فيما بعد
السكاني العام حسب الأدلة الإحصائية
سنة 1956 (انظر الجدول الموضح لكل

ولم نعتز فيما بحثنا فيه من المراجع
ذكر نفع مائها لأمراض الكلى منذ بداية
في فصل أريانة في عيون الأدباء. وإن
العهد الحفصي إذ يتبيّن لنا من دراسة
البئر تقع غير بعيدة عن فرع ساقية الحماة
حيث بئر البطوم التي نالت شهرة بئر
فسقيتان واسعتان تستمدّان ماءهما من
الفرعية المتوجّهة لبستان أبي فهر في الحماة



مدخل قصر إليّا شمّامة بأريانة

حول المبنى الأصليّ وسبل ارتباطها بالقصر.

و من الملاحظ أنّ جلّ هذه القصور قد خلت بعد من أهلها وساكنيها ودبّ فيها البلاء والخراب، ثمّ
أصبحت ملكا للدولة بعد الاستقلال، فجعلتها مؤسسات للتدريس أو مراكز إدارية لبعض المصالح، أو
أصبحت صنفا من المساكن الجماعية لفائدة العائلات الفقيرة من المسلمين واليهود تسمّى الواحدة منها
وكالة فيما قبل الاستقلال بزمان قليل دون أن يدخل عليها أي إصلاح أو ترميم. وكانت هذه المباني التي
احتفظت ببعض مباهج ماضيها التليد مرتعا لعيون المعجبين الذين كانوا يتوافدون على مدينة أريانة في
الربيع أو الصيف فيكترون الدور والمساكن المنتشرة في غابات الزياتين الشاسعة لقضاء فترة من الراحة أو
لطلب العافية واسترجاع القوة والصحة بشرب ماء بئرها المعروفة وهي «بئر بلحسن».

بئر بلحسن بأريانة:

تقع هذه البئر على طريق تونس في مدخل أريانة وقد طبّقت شهرة مائها الأفاق. وعرف هذا الماء
عند القاصي والداني أنّه صالح للتبوّل ومن ذلك فهو يخرج الحصى من الكلى. وتتوسّط البئر بستانا
يعرف بسانية القرقي عند العامة وذلك لأنّ مالكها هو السيد «كوفوبولو» Couvopolo وأبناؤه وهو من
أصل يوناني (إغريقي). وقد عثرنا في كتاب التّقويم التونسي لسنة 1939 عن ترجمة لبعض أفراد عائلة
كوفوبولو وهذا ما ورد فيه:

«كوفوبولو نيكولا كنسنتان» - أريانة 1900 - (ابن السيّد ديميتري كوفوبولو وهو أحد المستشارين البلديين
بأريانة وتوفّي هذا الأب في 1918 ونيكولا هو ملاك وفلاح ومستشار بلديّ أيضا بأريانة منذ سنة 1929 يحمل
أحد أنهج أريانة اسم أخيه جورج الذي مات مناضلا في الحرب الكبرى) وبحثنا عن نهج جورج كوفوبولو في



بئر بالحسن و سانية القريقي (Couvopolo)

مخطّط قديم لأريانة وهو النهج الذي يحمل اسم قوتنبرق (Guttenberg) اليوم. وعثرنا في «الحواليات التّونسية» لسنة 1937-1938 على معلومة تفيد أنّ كوفوبولو كنسنتان كان عضوا في المجلس البلدي بأريانة من سنة 1935 إلى سنة 1938 برئاسة «الحبيب الجلولي» الذي أصبح فيما بعد وزيرا أكبر لدى أحمد باي الثاني (1942) وهو الذي اعتلى سدة الحكم من سنة 1929 إلى وفاته في 19 جوان 1942. وقد أهدى نيكولا كوفوبولو بئر بلحسن إلى بلدية أريانة فأصبحت بئرا عمومية للسّقاية والاستشفاء بمائها شربا واغتسالا.

وهكذا اشتهرت أريانة من أجل مائها ونقاوة هوائها فجاءها القاصي والدّاني وخاصة في فصلي الرّبيع والصّيف وأصبحت مركز استشفاء بعدما أنشئت فيها مؤسّسات خاصّة بذلك. وسنتعرّض لكلّ ذلك مفصّلا فيما سيأتي. فكان يقصدها خاصّة يهود الحاضرة حتّى فاق عددهم السّكّان الأصليين لبلدة أريانة العتيقة. وتطوّر جمعهم فيما بعد، ثمّ وتناقص لظروف تاريخيّة كنّا تعرّضنا إليها ولخصناها في الجدول السّكاني العامّ حسب الأدلّة الإحصائيّة التي سجّلناها منذ نهاية القرن التّاسع عشر إلى الاستقلال في سنة 1956 (انظر الجدول الموضّح لكلّ ذلك).

ولم نعر فيما بحثنا فيه من المراجع عن تاريخ حفر هذه البئر، ولكن ما يمكن أن نثبته أنّها قديمة. وقد ذكر نفع مائها لأمراض الكلى منذ نهاية القرن التّاسع عشر في بعض الكتابات الأدبيّة التي سنتعرّض لها في فصل أريانة في عيون الأدباء. وإنّ ما يمكن أن نقوله تخميننا عن بئر بلحسن أنّها قد تكون موجودة منذ العهد الحفصي إذ يتبيّن لنا من دراسة مرسّال سولينياك عن السّقاية والرّي في العهد الحفصي أنّ هذه البئر تقع غير بعيدة عن فرع ساقية الحناية المتوجّهة إلى بستان أبي فهر وفسقيّتها في موقع مدينة العلوم اليوم حيث بئر البطّوم التي نالت شهرة بئر بلحسن في بداية القرن العشرين خاصّة. ويوجد قرب بئر بلحسن فسقيّتان واسعتان تستمدّان ماءهما من ساقية الحنايا (انظر الخريطة الموضّحة للمواقع المائيّة ولساقية الحنايا الفرعيّة المتوجّهة لبستان أبي فهر في الجهة الجنوبيّة لمدينة أريانة) كما توجد فسقيّة ثالثة في الجنوب الغربيّ



بئر بلحسن. وكانت هذه المباني التي كانوا يتوافدون على مدينة أريانة في السّاعة لقضاء فترة من الرّاحة أو في بئر بلحسن.

تشتهر مائها الآفاق. وعرف هذا الماء على من الكلى. وتتوسّط البئر بستانا كوفوبولو وCouvopolo وأبنائه وهو من 1939 عن ترجمة لبعض أفراد عائلة

كوفوبولو وهو أحد المستشارين البلديين في أريانة منذ سنة 1929 يحمل بئر بلحسن عن نهج جورج كوفوبولو في

في فرع ساقية الحنايا المتوجهة لبستان أبي فهر. ولسنا ندري هل تتزود بماء الساقية على غرار الساقيتين السابقتين المتصقتين مباشرة بهذه الساقية الحفصية الفرعية التي أسسها المستنصر بالله الحفصي.

وخلاصة القول أن الجهة الجنوبية الغربية لمدينة أريانة كانت غنية بالآبار على غرار جهة سكرة مما يجعلنا نرجح قدم بئر بلحسن. ونذهب إلى الجزم أنها من الآبار التي وجدت منذ العهد الحفصي. وهي ليست الوحيدة في هذه الجهة الفلاحية حيث تمتد غابات الزيتون التي مازالت بقاياها حول مستشفى الأمراض الصدرية رغم الاكتساح العمراني لكامل هذه الجهة. وقد أصبحت منطقة سكنية شاسعة تجاوزت حدود أريانة الجديدة وكل الجهة المحيطة ببئر الرصاع وهي بئر مشهورة في هذه المنطقة بمائها العذب ويمتد قريباً منها حيّ اليسمينية مرياح. وفي غربه أحياء النصر التي اكتسحت روابي كرش الغابة حيث كانت المساكن القصديرية لأولاد عيار.

بئر الصفصاف:

من منابع السقاية والماء العذب في أريانة نذكر بئر الصفصاف وهي أقرب إلى المدينة العتيقة من بئر بلحسن. وبئر الصفصاف تضمها اليوم البناية الحاملة لاسم الصفصاف وتتوسط المدينة العصرية يقابلها برج الساعة الضخمة في الساحة العمومية. وتقع هذه البناية في شارع بئر حكيم قبل الاستقلال وهو اليوم شارع 18 جانفي 1952.

وتضم هذه البناية مقهى في الهواء الطلق على غرار مقهى بئر بلحسن اليوم وقاعة سينما وحمّاماً وكذلك مضخة للبنزين. كل هذا قبل الاستقلال (انظر مخطط أريانة القديم). واعتمدنا على شهادات من تردّدوا على هذا المكان وعرفوه عن كثب.

فبئر الصفصاف كانت تعلوها ناعورة يديرها جمل مغمض العينين على غرار بئر الصفصاف بالمرسى أو بئر برّوطة بالقيروان. ومما يروى عن هذه البئر أنها كانت لصيقة بالمقهى، بل هي جزء من مساحتها يتهافت الزائرون على الشرب منها ممّن يأتون إلى أريانة من الحاضرة أو من مواطن أخرى للاستشفاء. ومما يذكر أن ماء بئر الصفصاف تزيد ملوحة على ماء بئر بلحسن ولكنها تعرف ببرودتها وقضائها على العطش، خاصة في فصل الصيف اذ يشربها المرتادون على مقهى الصفصاف بمجرد استخراجها من البئر. ومما يذكر أيضاً أن مقهى الصفصاف كانت في الهواء الطلق وتقام فيها سهرات للغناء والطرب إلى الفجر. ومن أشهر من يحييها في الخمسينات الفنانان علي الرياحي وراوول جورنو. وكانت مقهى الصفصاف وحمّام الصفصاف على ملك ديدة حدّاد. وما من شك أن بئر الصفصاف قديمة تتوسط بستاناً محاذياً لسانية سيدي عمّار الممتدة الأطراف أو قد تكون جزءاً منها. وسنعدّد العقارات الأخرى التي كانت مجاورة لها اعتماداً على ما بقي في ذاكرة شيوخ الأريائيين الذين تطارحنا معهم الحديث في بحثنا الميداني عمّا كانت بلدة أريانة بعيد الحرب العالمية الثانية. ونوضح كل ذلك في مخطط دقيق للمدينة الحديثة كما سنستعرضه فيما سيأتي.





قصر ابن عياد (مقر البلدية حالياً)

في كل تنزود بماء الساقية على غرار
سيرة الفرعية التي أسسها المستنصر

كانت غنية بالأبار على غرار جهة
من الأبار التي وجدت منذ العهد
تحت غابات الزيتون التي مازالت
العمارة لكامل هذه الجهة. وقد
وكن الجهة المحيطة ببئر الرصاع وهي
اليسمينية مرياح. وفي غربه أحياء
القصديرية لأولاد عيار.

صاف وهي أقرب إلى المدينة العتيقة
الاسم الصفصاف وتوسط المدينة
يتبع هذه البناية في شارع بئر حكيم

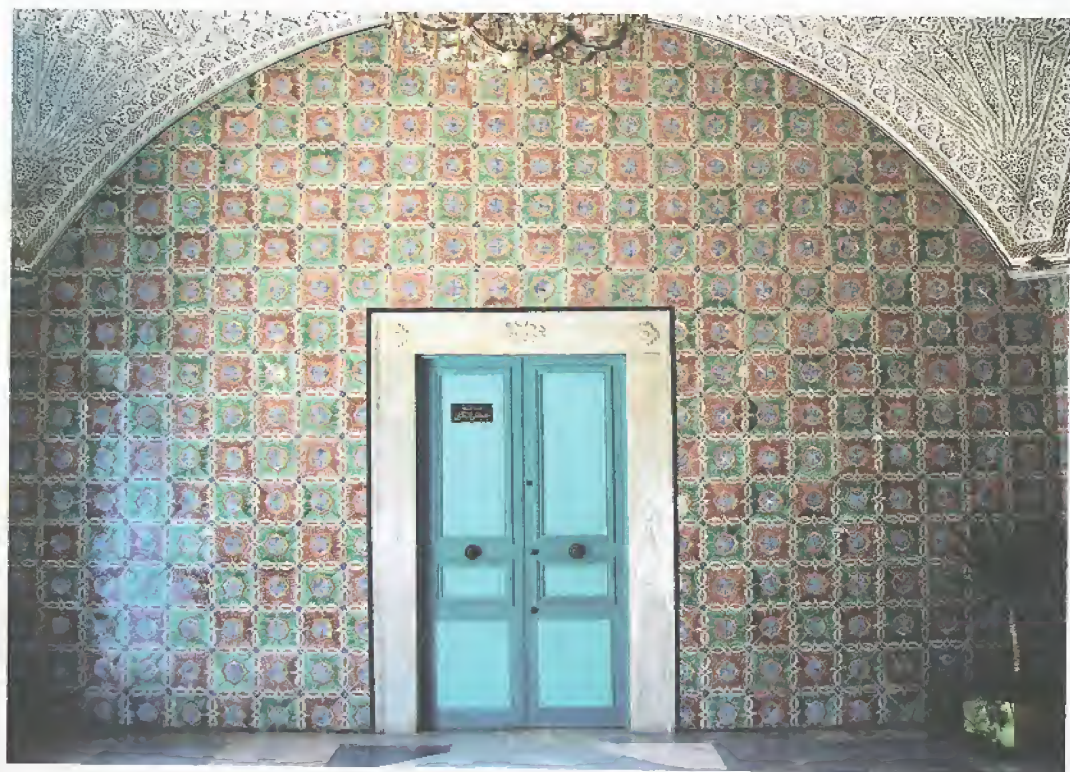
تسمى بئر بلحسن اليوم وقاعة سينما
المرمخطط أريانة القديم). واعتمدنا

من العينين على غرار بئر الصفصاف
كانت لصيقة بالمقهى، بل هي جزء
من أريانة من الحاضرة أو من مواطن
على ماء بئر بلحسن ولكنها تعرف
أذ يشربها المرتادون على مقهى
مقهى الصفصاف كانت في الهواء
من يحبها في الخمسينات الفئتان
الصفصاف على ملك ديدة حداد.
محاذيا لسانية سيدي عمار الممتدة
التي كانت مجاورة لها اعتمادا على
في بحثنا الميداني عما كانت بلدة
مخطط دقيق للمدينة الحديثة كما





قصر ابن عياد (منظر داخلي)

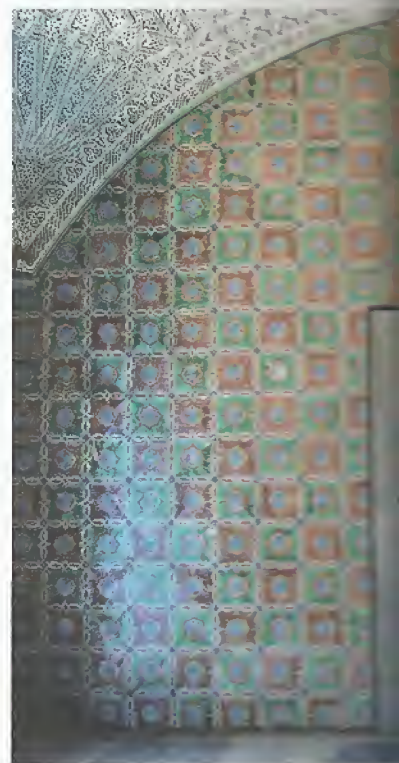


مدخل قصر ابن عياد بنقش حديدية في السقف وخزف حائطي





قصر ابن عياد (مكتب رئيس البلدية) بخزف حائطي



وخرق حائطي





قصر

قصر ابن عياد

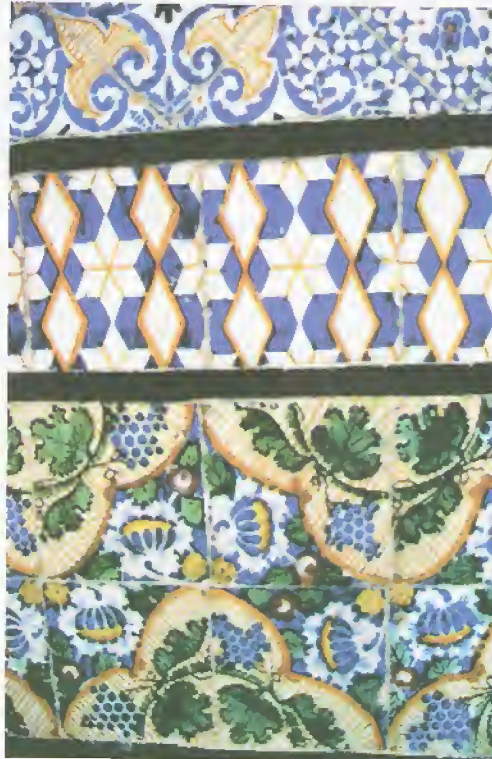


رکن من مدارج قصر ابن عياد

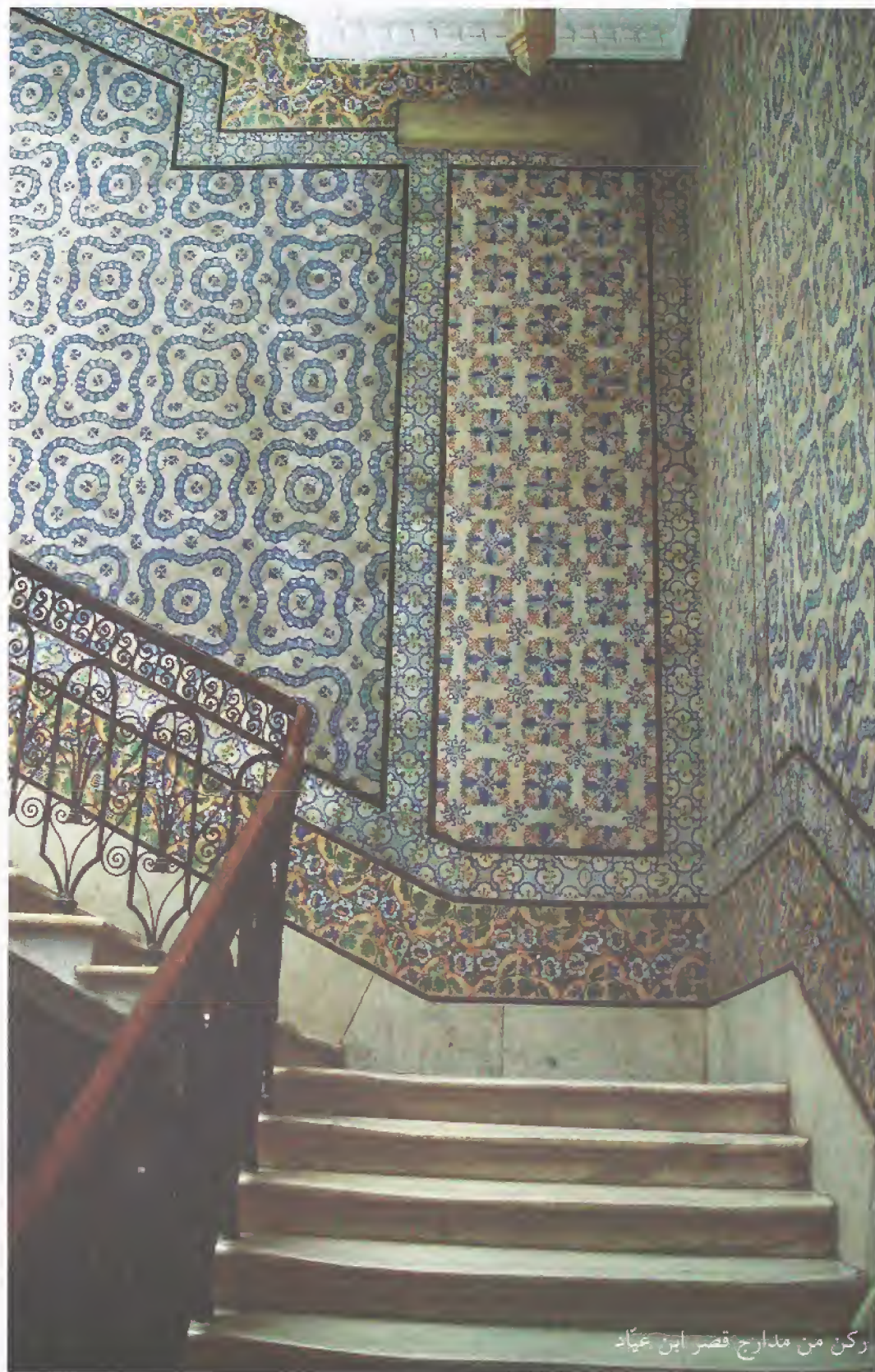


قصر ابن عياد : سياج حديدي داخلي جزئي

قصر ابن عياد : منظر جزئي للخزف الجداري - صناعة يدوية



ركن من مدارج قصر ابن عياد









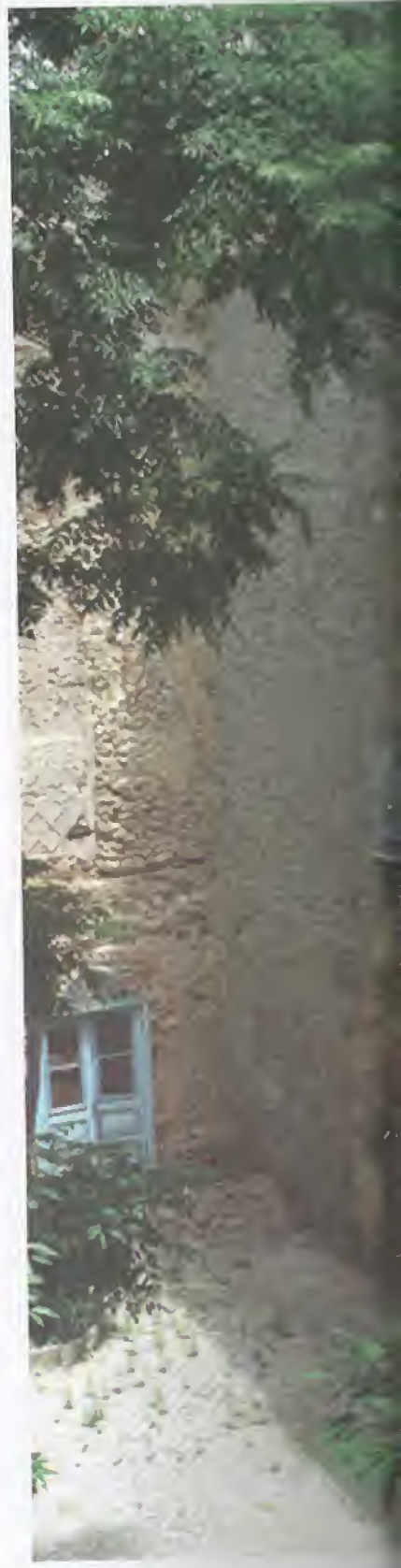
حديقة داخلية ببرج البكوش (منظر واجهي)



حديقة الكلية ببرج البكوش (جزئية على اليمين)



حديقة داخلية ببرج البكوش (جزئية على اليسار)





سقف خشبي مزخرف ببرج البكوش

زخرفة سقف ببرج البكوش





برج البكوش : غرفة المرايا



ومثلت بناية الصّفصاف بمقتضى موقعها مركزا يستقطب العديد من سكّان أريانة طلبا للتّرفيه والمرح. فقد ضمّت إلى جانب المقهى حسب من حدّثونا عنها من الشيوخ والسكّان القدامى قاعتي سينما: واحدة في الهواء الطلق تشغل صيفا من العاشرة ليلا إلى منتصف الليل وتعرض فيها في جلّ السهرات الأفلام المصرية، والسينما الثّانية توجد داخل بناية الصّفصاف وتعرض في بقية السّنة من يوم الجمعة إلى يوم الأحد وكذلك أيّام العطل ثلاث حصص متتالية: الأولى في الثّانية بعد الزّوال، والثّانية في الرّابعة، والثالثة في السّادسة. والأفلام فيها متنوّعة: منها الفكاهي أو البوليسي أو المأسوي... وما يذكر أنّه توجد في أريانة سينما في الهواء الطلق اسمها اللّيدو LIDO وتعرض في أرض واسعة بنهج قرطاج إلا أنّها لم تشغل إلّا طيلة صيف سنة 1950. وكان آخر عرض لها شريط النجاح La réussite قبل إفلاس صاحبها.

من أشهر قصور أريانة اليوم:

(قصر ابن عياد: مقر البلدية حاليا)

إنّ أبرز شاهد على الفنّ المعماري للقصور وإقامات الصّيف بأريانة وما حولها من الدّور في البساتين الجميلة إنّما هو قصر عبد الرّحمان بن عياد مقر البلدية منذ سنة 1983 وقد بني هذا القصر في النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر، وخصّه الباحث جاك ريفو بوصف شامل في كتابه «قصور وإقامات الصّيف في أحواز تونس» سنة 1974.

إنّ هذا المعلم هو أحسن إقامة تمثّل الخصائص المعماريّة في بداية القرن التاسع عشر من حيث التّصميم للبناء والتّزيين الخارجيّ والداخليّ بالزّليج والرّخام. فهو يجمع بين تصميم البناء العصري المستوحى من النمط الإيطالي السائد حينئذ ومن توزيع الفضاءات الداخليّة المتّبعة في قصور البايات وأشراف المخزن من حاشية الباي والمقرّبين منه.

فمن هو عبد الرّحمان بن عياد صاحب هذا القصر وبانيه ؟

يترجم له «أحمد ابن أبي الضّياف» في الجزء الثّامن من كتابه «إتحاف أهل الرّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» بقوله في ص 23: «عبد الرّحمان بن عياد، أبو زيد عبد الرّحمان بن محمد بن حميدة بن قاسم بن عياد. نشأ هذا الوجيه في خدمة الدّولة مع أبيه وتدرّج في الأعمال والمناصب، كولاية جربة وسوسة والأعراس. وسافر بحالها على فخامة لا عهد بمثلها لثله، وأركبه الباشا أبو عبد الله حسين باي على فرسه يوم سفره، ونشر عليه من أردية التّقريب والحرمة ما أعانه على قضاء أوطاره، والوزير يومئذ أبو محمّد شاكير صاحب الطّابع، فبالغ في إعانته. وكان جوادا كريم النّفس عالي الهمة وجيها، ينحو منحى عمّ أبيه رجب بن عياد المتقدّم ذكره، (وردت ترجمته في الجزء السّابع من كتاب الإتحاف ص 37 و38) محبّا عند الباي ورجال دولته، لبين العريكة، بقي عرضه بماله، ويجنح إلى ما يحمد من حاله، مثابرا على مرضاة أبيه، لا يرى لنفسه اختيارا معه. ولم يزل بالغ الأمانة، وأثار السّعادة واردة إليه من كلّ ثنية، إلى أن صدمته مغيرات المنيّة، في سنة 1251 هـ / 1836 م في حياة أبيه، وأعقب أولادا هم من الأعيان، وأكبرهم فارس هذا الميدان، وجدّه جدّه لما كبا جواده كما تقدّم».

ويستنتج من ترجمة أحمد بن أبي الضّياف في كتابه «إتحاف أهل الزمان» لهذه الشّخصيّة المرموقة من المخازنية الذين كانوا في خدمة البايات أنّ عبد الرّحمان بن عياد، وهو من بنى القصر المعروف باسمه إلى اليوم

في مدخل مدينة أريانة ويُمثّل قصر
سنة 1836 للميلاد. وهذا التاريخ
وثيقة تثبت تاريخ الانتهاء من بنائه
مواصلة السّعي في إمطة الثّامن عن
ونسوق ملاحظة تراها هامة
لها منذ سنة 1983 لم يتغيّر في نمط
الأولى وأشكاله المعماريّة الأصليّة في
يحيط به أو بعض البناءات الاص
ما عثرنا عليه من نصوص تصف
والاسطبلات ومجارى المياه والأحواض
النّزهة وقضاء الرّبيع لأسرة صاحب
وصف قصر ابن عياد اعتمادا على
إنّ ما سجّله جاك ريفو في وصف
للمزروعات والأشجار والفسقيّات
دخلت عليه تغييرات كبيرة بالحدود
حتّى أصبح مقرا لإدارة بلدية أريانة
وخاصّة من الداخل من حيث توزيع
تزيين المباني على غرار قصور الباي
كلّ من مدينة المرسى أو سيدي أبي
وصف قصر ابن عياد في
يبدو المدخل الأساسي
خلالها مرّ تمتدّ تحيط بجانيه أشجار
النّخيل وتتوسّطها بركة تعلو تاعورة
البناء السّميك. وقد زرع في بستان
بقايا لدور قديمة كانت قائمة في هذا
أمّا القصر ذاته فهو مزيج بين نمط
من حيث الهيكل العامّ المعتمد على
والقباب، والنّمط التّونسي من جانب
المشبّكات الحديدية المسطّحة أو في
المقوس الفاخر الذي لا يختلف عن

مديد من سكان أريانة طلبا للترفيه والمرح.
والسكان القدامى قاعتي سينما:
الليل وتعرض فيها في جلّ السهرات الأفلام
تقبة السنة من يوم الجمعة إلى يوم الاحد
والثانية في الرابعة، والثالثة في السادسة.
توجد في أريانة سينما في الهواء الطلق
تتغلّ إلا طيلة صيف سنة 1950. وكان

وما حولها من الدور في البساتين الجميلة
في هذا القصر في النصف الأول من القرن
صور وإقامات الصيف في أحواز تونس»

في القرن التاسع عشر من حيث التصميم
بمبنى البناء العصري المستوحى من النمط
البيات وأشراف المخزن من حاشية الباي

تحت أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد
محمد بن محمد بن حميدة بن قاسم بن
صاحب كولاية جربة وسوسة والأعراض.
الحسين باي على فرسه يوم سفره، ونشر
في تونس محمد شاكير صاحب الطابع، فبالغ
في حب عياد المتقدم ذكره، (وردت
في السجلات ورجال دولته، ليّن العريكة، بقي
نفسه اختيارا معه، ولم يزل بالغ الأمنية،
سنة 1251 هـ / 1836 م في حياة أبيه،
كما جواده كما تقدّم».

أهل الزمان لهذه الشخصية المرموقة من
في القصر المعروف باسمه إلى اليوم

في مدخل مدينة أريانة ويمثل قصر البلدية حاليا، قد توفي في نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر أي في
سنة 1836 للميلاد. وهذا التاريخ يثبت لنا أن قصر ابن عياد قد شيد في بداية القرن التاسع عشر وليس لنا
وثيقة تثبت تاريخ الانتهاء من بنائه. ولعلنا نعر على ذلك بالتدقيق في مستقبل الأيام إذ مازلنا منكبين على
مواصلة السعي في إمطة اللثام عن العديد من الحقائق المتعلقة بمدينة أريانة ومعالمها وقد غفل عنها الباحثون.
ونسوق ملاحظة نراها هامة في هذا الصدد وهي أن قصر ابن عياد الذي اتخذته بلدية أريانة مقرا
لها منذ سنة 1983 لم يتغير في غط بنائه لا من الخارج ولا من الداخل، وبقي بصفة عامة محافظا على هيئته
الأولى وأشكاله المعمارية الأصلية في جملتها. هذا إذا تحدثنا عن القصر. أما فيما يخص البستان الذي كان
يحيط به أو بعض البناءات الاضافية حوله فما من شك أنها كانت محلّ تغيير بل تقويض كامل حسب
ما عثرنا عليه من نصوص تصف القصور ومستلزماتها الخارجية من النافورة المائية والبشر والتاعورة
والاسطبلات ومجارى المياه والأحواض والبطائح والأرجحة المخصصة للورود والأزهار وهي المتممة لغرض
النزهة وقضاء الربيع لأسرة صاحب القصر وخاصته وأتباعه.

وصف قصر ابن عياد اعتمادا على فصل جاك ريفو في كتابه «إقامات الصيف في تونس»:

إنّ ما سجله جاك ريفو في وصفه لقصر ابن عياد وخاصة لما كان حوله من بناءات إضافية ومن توزيع
للمزروعات والأشجار والفسقيات يساعدنا على تصوّر ما كان عليه الوضع الأصلي لبستان القصر الذي
دخلت عليه تغييرات كبيرة بالحذف والتبديل بعدما تغيرت صيغة هذا المعلم منذ الاستقلال إلى اليوم
حتى أصبح مقرا لإدارة بلدية أريانة. أمّا بناية القصر فيبدو أنها حافظت على طابعها المعماري من الخارج
وخاصة من الداخل من حيث توزيع الغرف وتزيين جدرانها بالجليز وسقوفها بنقش حديدية وهي طرق من
تزيين المباني على غرار قصور البايات سواء في مدينة باردو أو في الضاحية الشمالية لتونس العاصمة في
كلّ من مدينة المرسى أو سيدي أبي سعيد.

وصف قصر ابن عياد في وضعه القديم في مستهل القرن العشرين:

يبدو المدخل الأساسي لبستان القصر عالي السمّ، مشتبك القضبان الحديدية يشاهد من
خلالها ممرّ ممتدّ تحيط بجانبه أشجار السّرو، ينتهي إلى باب القصر. ويشقّ هذا الممرّ ساحة يحيط بها
التّخيل وتتوسطها بركة تعلو ناعورة تملأها باستمرار من بثر عذبة الماء مغطّاة، وتشرف عليها أربعة حنايا من
البناء السّميك. وقد زرع في بستان القصر أشجار البرتقال وأشجار مثمرة أخرى. وتوجد في هذا البستان
بقايا لدور قديمة كانت قائمة في هذا المكان قبل بناء قصر ابن عياد.

أمّا القصر ذاته فهو مزيج بين نمطين من البناء. إنهما متداخلا تداخلا كليّا: النمط المعماري الإيطالي
من حيث الهيكل العامّ المعتمد على الزّوايا القائمة المستقيمة البعيدة عن الخطوط المنحنية كالأقواس
والقباب، والنمط التونسي من جانب ثان وهو المتمثل خاصة في شكل النّوافذ في واجهة المعلم ذات
المشبكات الحديدية المسطّحة أو في المشرفية المعروفة بالقنّارية في الطّابق الأعلى وهي المطلّة على المدخل ببابه
المقوّس الفاخر الذي لا يختلف عن أبواب الدّور الفخمة ببلدة سيدي أبي سعيد في الضّاحية الشماليّة.

مدخل القصر

يتركّب هذا المدخل من بهوين يسمّى البهو الأول «الدريبة» والبهو الثاني «السقيفة». وكلاهما قاعة مربعة يغطّي أرضهما مربّعات كبيرة من الرّخام المجزّع قد وضعت معاكسة لأضلاع هاتين القاعتين المتقاربتين من حيث المساحة. ويكسو جدرانها جليز مستورد من مدينة نابلي الإيطالية بلونه الورديّ والأخضر. وتختلف أشكال الزيّنة فيه في قوس الباب من الدّاخل وفي لوحات متجاورة من جدار إلى آخر. ويعلو القاعتين (الدريبة والسقيفة) سقف من الجصّ المنقوش (نقش حديدة) على النمط الأندلسيّ في شكل وردة كبيرة الأوراق. وتتجمّع في السقيفة، وهي الفسحة الدّاخلية، كلّ مداخل غرف الطّابق السّفلي للقصر. وفي السقيفة ينتصب مصعد الطّابق الأوّل بدرجاته الرّخاميّة البيضاء. ويحيط بالصّاعد على المدرج من جهة اليسار درابزين من الحديد الأهن المصبوب Fonte في زخارف حلزونيّة الشكل قد طلي بالدهن الأخضر فيتعارض بذلك مع الجليز ذي التّزييق الأزرق المغطّي للجدران التي تحاذي الصّاعد على هذا المدرج من جهة اليمين. وتأخذ اللّوحات الجليزيّة على جدران هذا المصعد الدّائري أشكالاً مستطيلة أو مربعة بحسب المساحات المغطّاة. وطرافة التّزييق تتمثّل في اختيار الأشكال والألوان التي يغلب عليها الأزرق في أرضيّة بيضاء قد يضاف عليها البرتقالى لزيادة اللّون رونقا وبهاء.

قاعة الاستقبال:

تقابل الدّاخل في الطّابق العلوي أبواب ذات إطارات منقوشة. وتحيط بالمدخل مستطيلات من الرّخام الأبيض البراق. وتمكّن هذه الأبواب الزّائرين والمدعوّين من الدّخول إلى بيت الاستقبال وإلى شقق الضّيافة.

صحن الطابق الأول:

نجد تشابها كبيرا بين صحن القصر في الطابق الأول وبين صحن قصر باردو وقد نظم بناؤه وترتيب شكله المستطيل، تحيط به المنحنيات تحملها السماري على النمط الإيطالي من حيث نقش الرخام وزخرفة الجليز. وتفتح غرف هذا الطابق الأول بناؤها العالية على شرفة تدور بكامل القصر من خارجها يحفظها درابزين من الحديد المشبك بزخارف نباتية أو أشكال حلزونية وهي تطل على بستان من كل جهة. ويعتبر قصر ابن عياد من إقامات الضيافة للأسرة الكبيرة، وكذلك للأصدقاء الذين ينتقلون من العاصمة إلى مدينة أريانة القريبة، خاصة في الربيع على متن عربات تجرها الخيول تعرف الواحدة منها بالكروسة.

الدور والإقامات في بساتين سكرة:

تغطيّ بساتين سكرة منبسطة شاسعا من الأرض يمتدّ من جنوب مدينة المرسى وتحدّه شمالا سبخة أريانة. وتعرف هذه البساتين بخضرتها وجمال تنظيم أغراسها ورقّة هوائها وعذوبة ماء أبارها ذوات النواعير على الطّريقة الأندلسيّة في السّقاية وطرق الرّيّ بالأحواض وترتيب السّواقي. وفي منطقة سكرة تكثّر غراسة الأزهار من ورد ونّوار البرتقال ونسريّ. ومنها يستخرج ماء الورد خاصّة الذي طبّقت شهرته الأفاق كإنتاج اشتهرت به مدينة أريانة. وتكثر في سواني سكرة خزّانات الماء والنّافورات التي تحمل بالذّكرى إلى الازدهار

والجيو الثاني «السقيفة». وكلاهما قاعة
مكتبة لأصلاص هاتين القاعتين المتقاربتين
على الإيطالية بلونه الوردية والأخضر.
حرف متجاوزة من جدار إلى آخر. ويعلو
على النمط الأندلسي في شكل
مداخل غرف الطابق السفلي للقصر.
ويحيط بالصاعد على المدرج
حرف حلزونية الشكل قد طلي بالذهن
الحمران التي تحاذي الصاعد على هذا
المسجد الدائري أشكالا مستطيلة أو
الأشكال والألوان التي يغلب عليها.

وتحيط بالمدخل مستطيلات من
الدخول إلى بيت الاستقبال وإلى

قصر باردو وقد نظم بناؤه وترتيب
من حيث نقش الرخام وزخرفة
بكمال القصر من خارجه يحفظها
على بستان من كل جهة.

وكذلك للأصدقاء الذين ينتقلون من
الحيول تعرف الواحدة منها بالكروسة.

وبمدينة المرسى وتحده شمالا سبخة
وعذوية ماء أبارها ذوات التواغير
التي. وفي منطقة سكرة تكثر غراسه
الذي طبقت شهرته الأفاق كإنتاج
التي تحمل بالذكرى إلى الازدهار

المعماري في عهد الدولة الحفصية. وقد بقي طابعه غالبا في تنظيم هذه البساتين والأجنحة وهي التي طالما
نوه بها الوصافون والأدباء أمثال محمد الصغير بن يوسف في أخباره عن الحياة التونسية في القرن الثامن
عشر، فوصف لنا بيتا فخما في أحد بساتين سكرة بناه قاسم بن سلطانة، وهو أحد الموظفين السامين من
حاشية الباي وقد أثرى من عائدات القرصة وبيع العبيد في عهد حسين باي وارتقى إلى رتبة مستشار لدى
الباي وباش كاتب. وابتنى قاسم بن سلطانة - نتيجة إعجابه الشديد بجمال بساتين سكرة - بيتا فخما عرف
ببرج الغطاس، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر. وتعزى تسميته إلى أب وابنائيه من حذاق البنائين تولوا
تشبيد هذا البرج أو البيت الرفيع.

قصر قاسم بن سلطانة أو برج الغطاس:

من الصدف المواتية أن يعتني الباحث جاك ريفو Jacques Revault بوصف بعض المعالم في مدينة
تونس وأحوازاها في كتابه «الإقامات الصيفية في تونس» فينصّ برج الغطاس في بستان قاسم بن سلطانة بفصل
شامل لمكوناته. يشتمل هذا المعلم قبل أن تأتي عليه يد الزمان على ثلاثة أقسام: الإقامة أو مكونات القصر
الصالحة للسكن. والقسم الثاني منه يتركب من «المنافع» وهي متممات البناية وتمثل في الاصطبلات والمخازن
والملاحقات من غرف العملة والخدم وغيرها. والقسم الثالث يتمثل في البستان وما يضمه من أشجار مثمرة ومظاهر
الزينة من ممرات وأزهار أو فسافي ومجار للمياه نافورات، وكل هذا يعرف بالسانية.

بني برج الغطاس حسب بعض الوثائق في أواخر القرن الثامن عشر محاذيا للطريق الرابطة بين أريانة
وقرطاج. ويبرز هذا المعلم بمدخله الواسع ومنه ينطلق ممر طويل تحيط به من جانبيه أشجار «الكالتوس» العاتية،
ويثبت الباحث جاك ريفو أن السيد بيكوران M. Picoron قد اشتراه سنة 1895 وسكنه مع عائلته.
والسيد موريس جوزاف ألفراد بيكوران هو من مواليد 1880 بباريس، درس الفلاحة في المدرسة العليا
للفلاحة بتونس التي استقرّ فيها في سنة 1898 وكان من كبار الفلاحين ورئيسا لجمعية المعمرين بسكرة،
وكان مستشارا ببلدية أريانة سنة 1922 وأصبح برج الغطاس من أملاك الدولة التونسية فيما بعد هذا التاريخ.
ويثبت جاك ريفو في دراسته لبرج الغطاس أنه عشر على قطع ذهبية أثناء أشغال ترميم القصر في
سنة 1896 يعود تاريخها إلى السنوات 1181 و1767 و1768. وقد تمكن هذا الباحث من الاطلاع على
هذا المعلم والحصول على تخطيط ضاف لكامل البناية عن طريق ابنة المالك الفرنسي الأنسة بيكوران
Mlle. Pocoron. ويأسف جاك ريفو أنه لم يبق من برج الغطاس إلى حد كتابه دراسته سنة 1962
إلا جدران مهتمة وأنقاض خربة.

بني البرج وعلى غرار كل الأبراج الموجودة في ضواحي العاصمة تونس فوق مصطبة كبيرة في نفس
ارتفاع صحنه الذي يتوسط المساكن ومجموع الغرف وكذلك في علو المساحات التي تحيط بالأبار الملاصقة
للجانبية. وغير بعيد عنها توجد المخازن ذات الأبواب المقوسة. وفوقها توجد غرف الخدم ومرافق المؤن وكل
ما يخزن من حبوب كالقنول والقمح والشعير وأكياس الذرة وغيرها.

مدخل البرج:

يفتح باب البرج على الجهة الجنوبية الشرقية، والدخول إلى البناية مرورا بالبستان يبدأ من السقيفة



Borj El-Chatas, Plan d'ensemble



برج الغطاس ما بقي من دار الضيافة بعد زوال البرج

وبها دكانة ولها سقف مقوس ذو أضلاع من جهتين، محني في الوسط. وتلي السقيفة بعد الصحن الداخلي غرفة بسقفها المقوس هي غرفة السقيفة. ومن الجهة المقابلة يوجد المدخل الأصلي وهو مقوس أيضًا في شكل غرفتين متلاصقتين ومتصلتين. وبصعود بعض مدارج سلم صغير في إحدى الغرفتين يفتح أمام الدّاخل الباب الخارجي فيوصله إلى صحن واسع أرضه من التراب. وتحيط بهذا الصحن جدران البرج وجدران السّباح الخارجي وينفتح عليها بابان كبيران يدخل منهما فيما مضى قطعان الحيوان وكذلك العربات وخيول صاحب البرج أو المدعوين من ضيوفه.

صحن البرج:

إن المظهر العام لهذا الصحن يذكر الزائر بما يوجد في قصر العبدلية: تنوّعه جابية الماء المرتعة ويحيط به البرطال الذي يمثل رواقا وهو ممر مكشوف على حوض الماء مسقوف بعقود على أعمدة. وهذا النوع من الصحن معهود في الدور العتيقة داخل العاصمة، ويوجد أيضًا في هذه المنازل الرّيفية المعروفة بالأبراج. ومن هذا المكان المركزي أي الصحن تنطلق الممرات أو المداخل إلى كل المرافق بالبيت. وتنتفح من البرطال على خارج البيت بعض النوافذ التي تزيد هذا المكان الذي يسمّى المقعد رونقا وهواء منعشا عند أيام الحر، ويتمتع الجالسون فيه برؤية الرّعاة وأغناتهم في الحقول أو الفلاحين في أرجاء البستان الواسع.



ويلي المقعد بأروقته من جهته الشرقية الشقق وهي متعددة الغرف بمقاصرها. وأهم قاعة وأفسحها هي غرفة صاحب البرج وهي متصلة بغرف أخرى أصغر منها ترتبط هي الأخرى بدرجة تسمى بيت القبو. ويضئ هذه القاعة الوسطية الممر الذي تحيط به نافذتان كبيرتان تمكنان صاحب المحل من الإشراف على الأروقة الجانبية من جهة ورؤية جانب من البستان من جهة أخرى.



في الوسط. وتلي السقيفة بعد الصحن
متصلة يوجد المدخل الأصلي وهو مقوس
رج سلم صغير في إحدى الغرفتين يفتح
من الخراب. وتحيط بهذا الصحن جدران
منها فيما مضى قطعان الحيوان وكذلك

بعدلية: تتوسطه جابية الماء المربعة ويحيط
بغرف يعقود على أعمدة. وهذا النوع من
هذه المنازل الريفية المعروفة بالأبراج. ومن
المرافق بالبيت. وتنتفح من البرطال على
رواقا وهواء منعشا عند أيام الحر، ويتمتع
البستان الواسع.

هو عبارة عن غرفة مرتفعة في جهة من «القبو» يصل إليها مدرج له بابان متتاليان. والكشك يطل على أفنية البرج وعلى كل مرافق القصر وهو شبيه بالمرقبة وبه «قبو» محني به سرير ينام فيه صاحب البرج طلباً للراحة في أوقات من النهار لبعده عما يحدث من حركية في البرج. ومن هذا المكان يستطيع صاحب البرج مراقبة كل العاملين في الدّاخل وكذلك في الخارج.

قاعة الاستقبال:

قد رُتبت قاعة الاستقبال في الجانب الشرقي من البرج فوق أقباء المخازن. وتنفصل في مقدّم البناية على انفراد من القسم المربع الشكل الذي يمثل مجموع الغرف المجاورة لهذه القاعة. وتمتد مساحتها الداخليّة مستطيلة الشكل في توزيع ثلاثي فيطلق في تسميتها التعريف التالي: «بيت بثلاث قبوات وأربع مقاصر». وقد أستوحى المخطط بناءها من قاعات الاستقبال في قصر الباي بباردو وفي قصور الأثرياء بالحاضرة. وتجدر هنا ملاحظة ما أولاه صاحب البرج من العناية في تهيئة مثل هذه القاعة للاستقبال في مسكنه الرّيفي. فهي لا تختلف عن مثيلاتها بدار حسين ودار المستيري ودار الأصرم ودار رمضان باي ويحيط شيكاً كان أرضيّا بمدخل هذه القاعة الفخمة. ويعلو باب الدّخول قوس مزوّق بالجليز المصنوع من معامل القلائين بالحاضرة وتحيط بالقاعة الوسطية المتساوية الأضلاع الأقبية الثلاثة وقد هيئت بجوانبها المقاصر. ويمتد أمام قاعة الاستقبال ممرّ فخم التّزيّيق في شكل رواق يوصل الزّائرين إلى أروقة أخرى في البرج كالتّي تحيط بالصّحن أو تحيط بالجانبية.

إنّ فخامة قاعة الاستقبال تكمن فيما تحلّت به جدرانها وأقبيتها من زخارف نقش حديدية على الطّريقة الأندلسيّة والجليز بأزهاره ذات الألوان اللّماعة التي يغلب عليها الأخضر والأصفر والأزرق والبني، وهي من أنصع الألوان في هذا الطّلاء الخزفيّ وقد نظّمت كلّ هذه الزّخارف بذوق يجلب الانتباه ويدعو إلى الإعجاب إلى جانب رونق الكساء الأرضي في قاعة الاستقبال بالجليز الأبيض والأسود وبعض اللّوحات الحائطيّة ذات الأشكال الهندسيّة المتناصرة دون أن تكون متماثلة في الصّورة أو الخطوط.

إنّ ظلمة القاعة من الدّاخل تتناقض بتدفق النّور من باب البهو ومن نوافذ الأقبية المفتوحة على البستان وراء مشبك من الحديد المكوّر. تمتلئ المقاعد والأرائك التي تستدير بجدران الأقبية بالزّوار والضّيوف بمناسبة حفلات الاستقبال أو في سهرات الأعراس. وعند المساء توقد فوانيس الثّريا المجلوبة من جنوة والمعلّقة في سماء القبو الرّئيسي فتضئ، في وسط المدعوّين العازفين والراقصات الذين استقدموا لإدخال البهجة والفرحة على الحاضرين في كامل اللّيل.

وهيئت المقاصر في الجهات الأربع من قاعة الاستقبال حيث تفتح أبوابها في تناظر يزيد توازناً في تناسق الرّتبة. ومن نوافذها ينبعث الضّوء والهواء سواء من الأروقة الأمامية أو من رحاب البستان القريب. وتزيد هذه المقاصر بجدرانها المغطّاة بالجليز المزوّق وبسقفها الخشبيّة المزركشة على الطّريقة الايطاليّة في رونق المكان وفخامة تكامل مركّباته. وتستعدّ هذه المقاصر أو الغرف ومثيلاتها في طرف البرطال لاستقبال

الضيوف. وهي تشتمل على جميع
الأبار والفسقيّة:

يضمّ برج الغطّاس في بادئ الأمر وهي تلبي حاجات السّقاية والتّزويّد التقليدية في استخراج الماء، وهي تنزل ويصعد حتى يغيب تحت الأرض بهيكل البرج وترتفع فوهتهما إلى حدّ للبرج وتعلوها ناعورة مزدوجة، يديرها والباقي من هذا الماء يروي جزءاً من يخيّل للرّائي أنّه يمدّ في امتداد مساحة المرافق المشتركة في البرج. وتعتمد والاسطبلات المخاضية له. ومنها تتكوّن الداخليّة تضاف إلى البئر الرّابعة بناء على سقاية الخضر والأشجار المثمرة

المرافق المشتركة:

يمثل هذه المرافق المشتركة ويضمّ هذا المجمع الحمام أو المطهرة والخيول والحميز والجمال ويحاذيها المسخّن وغرفة غسيل الأردية وكلّ بعض الرّاحة أثناء أعمال النّهار.

إنّ وصف برج الغطّاس سقاه في زمن غير بعيد قبل أن تكتظّ بالنّاس تونس في فصل الرّبيع خاصّة. وقد توجّد البرج الذي تعدّد ظهوره في بساطين جانب آخر صورة عن الحياة المتوقّعة

معلم آخر: برج التركي:

يقع البرج في غرب أريانة، كما سنة 1974. ويظهر كبرج منفرد على عمر بوخطوبة. ويعرف هذا البرج علي درويش. وعلى مقربة منه توجد

الضَيُوف. وهي تشتمل على جميع المرافق لراحة المدعوين.

الآبار والفسقية:

يضمّ برج الغطّاس في بادئ الأمر أربعة آبار موزعة بين السّانية ومحلات السّكنى والمرافق المشتركة. وهي تلبّي حاجات السّقاية والتّزويد بالماء. توجد البئر الأولى في كلّ طرف من الضّبعة وتحفظان بالطّريقة التّقليدية في استخراج الماء، وهي المتمثلة في دلو أو دلوين يجرّهما ثور أو جمل وقلّما يعوضهما حمار. نراه ينزل ويصعد حتى يغيب تحت الأرض في منحدر في ساعات من النّهار. أمّا البئر الأخرى فملتصقتان بهيكل البرج وترتفع فوقهما إلى حدّ مصطبة بناء الصّحن إحداها تعضدها دعامتان تجاور باب الدّخول للبرج وتعلوها ناعورة مزدوجة، يديرها جمل كانت فيما مضى عملاً ببعض مائها الجابية الدّاخلية في البرج، والباقي من هذا الماء يروي جزءاً من الجنان حوله. أمّا الفضاء المسطّح الثّاني، وهو الأوسع في البرج، فأنّه يخيّل للرّائي أنّه يمدّ في امتداد مساحته من الجهة الغربيّة ويوصل إلى هذا الفضاء درابزين يعتمد على بناء المرافق المشتركة في البرج. وتعتمد القاعدة الحاملة للنّاعورة وحوضها في اتّساعها على مساحة الماجل والاسطبلات المحاذية له. ومنها تتكوّن المصطبة العريضة. إن هذه البئر بتجهيزها المتمثّل في النّاعورة والجابية الدّاخلية تضاف إلى البئر الرّابعة بناعورتها، وتتعاقدان جميعاً وتتبادلان لتزويد البرج ومرافقه بالماء فضلاً على سقاية الخضر والأشجار المثمرة التي يضمّها البستان.

المرافق المشتركة:

يمثّل هذه المرافق المشتركة مجمّع من الأبنية اللّصيقة بالبرج، ويدخل في الحرم داخل سياجه. ويضمّ هذا المجمع الحمام أو المطهرة والمطبخ وسكنى الخدم، ومخازن المونة والعولة، ثم الاسطبلات ومرابض الخيول والحمير والجمال ويحاذيها مخزن آلات الرّكوب والسّروج وما والاها. ويجاورها فضاء خزّان الماء المسخّن وغرفة غسيل الأردية وكلّ الأتواب والملابس. وتحاذيها مساكن الخدم والمرافق التي يجدون فيها بعض الرّاحة أثناء أعمال النّهار.

إنّ وصف برج الغطّاس سقناه كمثال لنوع من المساكن الرّيفيّة التي كانت موزعة في بساتين سكّرة في زمن غير بعيد قبل أن تكتظّ بالسكّان وتفقد صفتها كمنزّه للطّبقة الأرستقراطية من سكّان الحاضرة تونس في فصل الرّبيع خاصّة. وقد توفّقنا إلى العثور على مخطط كامل لهذا البرج يوضّح لنا أكثر مركّبات البرج الذي تعدّد ظهوره في بساتين سكّرة وريف منطقة قمرّت في القرنين الثّامن والتّاسع عشر. ويمثّل من جانب آخر صورة عن الحياة المترفة للطّبقة الموسرة من سكّان العاصمة في فترة من السّنة.

معلم آخر: برج التركي:

يقع البرج في غرب أريانة، كما وصفه جاك ريفو (Jacques Revault) في كتابه الصّادر في باريس سنة 1974. ويظهر كبرج منفرد على حافة درب ضيّق، قريباً من الجبل المقطوع الذي تعلوه زاوية سيدي عمر بوخطيوة. ويعرف هذا البرج باسم مؤسّسة علي تركي ويسمّى أيضاً برج طويل، وهو الآن على ملك علي درويش. وعلى مقربة منه توجد ضيعة ومسجد لم يبق منه - اليوم - إلا بعض الآثار. ويوجد قريباً من

بها مدرج له بابان متتاليان. والكشك يطلّ
قوساً محنيّ به سرير ينام فيه صاحب البرج
في البرج. ومن هذا المكان يستطيع صاحب

قوساً أقباء الخازن. وتنفصل في مقدّم البناية
بها المجاورة لهذه القاعة. وتمتدّ مساحتها
لتعريف التّالي: «بيت بثلاث قبوات وأربع
في قصر الباي بباردو وفي قصور الأثرياء
في تهيئة مثل هذه القاعة للاستقبال في
السنيري ودار الأصرم وداررمضان باي

باب الدّخول قوس مزوّق بالجليز المصنوع
الاصلاح الأقبية الثلاثة وقد هيئت بجوانبها
لوقوف يوصل الرّائرين إلى أروقة أخرى في

بها وتبينها من زخارف نقش حديدية على
بها عليها الأخضر والأصفر والأزرق والبني،
بها زخارف بذوق يجلب الانتباه ويدعو إلى
جليز الأبيض والأسود وبعض اللّوحات
في الصورة أو الخطوط.

بها البهو ومن نوافذ الأقبية المفتوحة على
بها التي تستدير بجدران الأقبية بالزّوار
بعد الماء توقّد فوانيس الثّريا المجلوبة من
بها العرفين والرّاقصات الذين استقدموا

بها حيث تفتح أبوابها في تناظر يزيد توازناً في
بها «لامعية أو من رحاب البستان القريب.
بها شبة المزركشة على الطّريقة الايطاليّة في
بها ومثلاتها في طرف البرطال لاستقبال

البرج قبر يعزى لعلي تركي، لا يزال مكرّماً، ويزور بعض الورعين من الناس هذا المقام.

(Jacques Revault: Palais et Résidences d'été de la région de Tunis. Paris, 1974)

وتوجد هنا وهناك بقايا تيجان لأعمدة رومانية وتركية في ضيعات قريبة لبعض الموسرين تؤكد صلة هذا المكان بامتداد مدينة قرطاج وبساتينها.

وتوجد في الأراضي الشاسعة آثار لأبار كثيرة وقع طمرها بالتراب. ويعلّق جاك ريفو لاستقصاء سبب ذلك في الزمن الماضي، قائلاً «تجنباً لدفع الأذواء التي كانت تضرب على الضيعات بحسب عدد هذه الأبار». ويبدو أنّ برج التركي بني في أواخر القرن الثامن عشر. وقد كان يضم عمارة (أي ضيعة فلاحية) لصاحب القصر ومساكن ملحقة بها وموزعة فيها للخدم والفلاحين واصطبلات للماشية. ويلاحظ أنّ جزءاً من المساكن قد أتى عليه البلى. وما بقي من الغرف يعود للقرن التاسع عشر حسب شهادة بعض الفلاحين. ويوجد في بعضها ما يمثل السرير المبنى في شكل دكانة أوسدة.

ويتأكد أنّ برج التركي، في وضعه الحالي البدائي، لم يكن من المساكن التي شيّدت للفرجة والتنزه، وإنّما هو منزل كبير يتوسط ضيعة كبيرة (هنشير) كان على ملك أحد الأثرياء من سكّان الحاضرة تونس وكان يسمّى «تركي قارة برني درويش» وقد كان يتردّد على المكان في فترات من السنة على بغلته ليراقب عمّال الفلاحة في ضيعته. ويبدو من بعض الوثائق أنّ ملكيّة هذه الضيعة والبرج تعود إلى حبس، تصرف مداخيله المالية على بيت قديم وعريق هو اليوم: دار الدرويش، الموجودة في زنقة غرنوطة بالمدينة العتيقة في تونس، قرب نهج الباشا، وقد أنشئت في القرن الثامن عشر.

وخلاصة لكلّ ما قيل عن المعالم والمواقع والقصور والابراج في أريانة وضواحيها وبساتينها الغناء المتراصة الأطراف في جهة سكرة أو دار فضال أو جعفر فانتا لا ندعي الاتيان على جميعها وصفا وتحديدًا من حيث الهيئة والمعمار، وإنّما قصارى ما قدّمنا عن بعضها إنّما هو عيّنة أردنا بها تثبيت ما لهذه البلدة ونعني أريانة من المكانة عند سكّان الحاضرة تونس وخاصة عند الطبقة الموسرة منهم حين جعلوا من هذه الضاحية الشمالية مربعا ومواطن للتنزه وكذلك بساتين شاسعة للفلاحة وإنتاج مستلزماتهم من الغلال والخضر. وما قدّمناه من وصف لبعضها يكون شاهدا لما كانت تنعم به مدينة أريانة ولا تزال من منزلة رفيعة في نفوس متساكنيها وزائريها ماضيا وحاضرا.

وفي نهاية المطاف في هذه الرحلة السريعة عبر معالم أريانة وما بقي من قصورها الشهيرة، وما بقي لنا من وصفها بأقلام المؤرخين أو من زارها من الوصّافين والرحّالة الذين قدموا إليها للاستشفاء أو لطلب المتعة والراحة، نعود إلى المدينة العتيقة. فكلّ ما نعرفه عنها لا يعود بنا إلى أبعد من القرن الثامن عشر. فنجد بعض الدّيار التي يرجع بناؤها إلى سنة 1700 م. بنهج الحاج طوبّوب وأخرى إلى سنة 1750 في نهج سيدي بوديب وفي سنة 1756 في زنقة الغربية وفي سنة 1792 في زنقة الجربي.

وإنّ ما يغلب على هذه الدّور العتيقة إنّما هو الطّابع القرويّ الظاهر في شكل بنائها وتوزيع غرفها ووجود الإسطبل في بعضها لإيواء الأبقار، وتخزين بجوارها لإيواء العرب أو الأدوات الفلاحية عند العودة من الحقول بعد القيام بالأعمال الفلاحية أو لحزن الحبوب وأكياس البذور.

وإنّ النهضة السّكانية التي ستعرفها أريانة الدّواعي الاجتماعية التي ثبتت أمّ الحديث للقيام بدور كبير كمدينة متكاملة التّوسع العمراني، فأصبحت اليوم من بعد يوم وتتركز فيها المؤسسات المواكبة له في مكانه في الفصول القادمة من هذا **مدينة أريانة في عيون الأدباء** إنّ الطّبيعة الخلابة التي عرفت

ضواحي مدينة تونس الحاضرة وجعلتها من الشّعراء والأدباء. فأطنبوا في وصفها للذيد العيش في أكنافها الخضراء البهيبة منعطف من أجنتها. فقالوا فيها وأطروا والبصر، والزائر راحة ورغدا، والمقيم أطمأن وليس غريبا أن تكون أريانة قد

القديم، فلهجوا بمحاسن رياضها وجنتها النفوس والأفئدة، ففاضت قرائح الشعراء مدينة أريانة وبقصورها، وبمهاج بساتينها واستهواهم ربيعها وأنعشهم هوادها الوجد والرغبة في الاستزادة من متعة التنزه ونسرين برعت في تصفيفه الأيادي الامتلاء ونقدّم باقة مختارة مما جادت به

فيها من روائع طبيعتها وروضاتها الرقيقة بهذه المدينة البيضاء، العريقة بماضيها

ابن خلدون (1332-1406) في وصفها (1249-1276م) قصوره وجعلها مركز

جعل عنوانه «كتاب العبر وديوان المستشرق السلطان الأكبر» فيقول واصفا جمال

الأندلسية في تنميق ورودها وأزهارها وتتمتع سلسبيلا: «وأتخذ أيضا (يعني المستنصر

فهر، يشتمل على جنات معروشات وغيره والزيتون والرمان والتخيل والأعشاب وسائر

من الناس هذا المقام.

(Jacques Revault: Palais et R

قريبة لبعض الموسرين تؤكد صلة هذا

ويعلق جاك ريفو لاستقصاء سبب

على الضيعات بحسب عدد هذه الآبار».

كان يضم عمارة (أي ضيعة فلاحية)

من اصطبلات للماشية. ويلاحظ أن

من التاسع عشر حسب شهادة بعض

روسة.

الساكن التي شيدت للفرجة والتنزه،

أحد الأثرياء من سكان الحاضرة تونس

في فترات من السنة على بغلته ليراقب

الضبعة والبرج تعود إلى حبس، تصرف

حديقة في زقة غرناطة بالمدينة العتيقة في

في أريانة وضواحيها وبساتينها الغناء

في الأتيان على جميعها وصفا وتحديدا

من عينة أردنا بها تثبيت ما لهذه البلدة

منطقة المرسنة منهم حين جعلوا من هذه

ملاحة وإنتاج مستلزماتهم من الغلال

مدينة أريانة ولا تزال من منزلة رفيعة

وما بقي من قصورها الشهيرة، وما بقي

الذين قدموا إليها للاستشفاء أو لطلب

في بعد من القرن الثامن عشر. فنجد

وأخرى إلى سنة 1750 في نهج سيدي

في

في العمار في شكل بنائها وتوزيع غرفها

العربية أو الأدوات الفلاحية عند العودة

البلور.

وإن النهضة السكانية التي سنطلع عليها شيئا فشيئا، في أثناء عرضنا المتواصل لمختلف مخططاتها، وإن الدواعي الاجتماعية التي ثبتت أسسها وتأكّدت جدواها قد فتحت أفقا جديدة لمدينة أريانة في العصر الحديث للقيام بدور كبير كمدينة متكاملة المرافق تجاوزت - في حقيقة الأمر - كل التقديرات من حيث التوسع العمراني، فأصبحت اليوم من المراكز السكانية المرموقة في كامل البلاد، تتكامل فيها المرافق يوما بعد يوم وتتركز فيها المؤسسات المواكبة لحياة عصرية. وهذا الوجه الوضاح لمدينة أريانة العصرية سنعرض له في مكانه في الفصول القادمة من هذا التأليف.

مدينة أريانة في عيون الأدباء

إن الطبيعة الخلابة التي عرفت بها أريانة وما حولها من البساتين أحلتها مكانة مرموقة من بين ضواحي مدينة تونس الحاضرة وجعلتها قبلة القصاد مختلف الزائرين من جميع البلاد وجلبت إليها العديد من الشعراء والأدباء. فأطنبوا في وصف مرابعها الغناء المترفة الأنيقة وراقهم هواؤها المنعش وأستطابوا لذيق العيش في أكنافها الخضراء البهيجة، واستعذبوا ماء آبارها الرقاق وأستمتعوا بأزيز نواخيرها في كل منعطف من أجنّتها. فقالوا فيها وأطالوا، وكان العليل يجد فيها عافية ونشاطا والمتفصح رونقا ومتعة للروح والبصر، والزائر راحة ورغدا، والمقيم أطمئنان نفس وسكينة بال.

وليس غريبا أن تكون أريانة قد شغلت أذهان كل الذين مروا بها، وذاقوا حلاوة الإقامة فيها، منذ القديم، فلهجوا بمحاسن رياضها وجنّاتها المثمرة ومائها السلسيل المتدفق. وشغل جمال طبيعتها الغناء النفوس والأفئدة، ففاضت قرائح الشعراء وتحركت همم الأدباء وتجددت أقلام الوصّافين للتنبؤ بمحاسن مدينة أريانة ويقصورها، وبما هاج بساتينها الغناء ومرابعها الفيحاء.

واستهواهم ربيعها وأنعشهم هواؤها فبعث فيهم حب الحياة وأوقد مشاعرهم فقصدوها تحذوهم مشاعر الوجد والرغبة في الاستزادة من متعة النفوس وإشباع العيون بروق رياضها المنمقة بشتّى الأزهار من ورد وباسمين ونسرین برعت في تصفيفه الأيادي الاندلسية في فتن لا تضاهيها إلا جنة العريف بمدينة غرناطة التليدة.

ونقدّم باقة مختارة مما جادت به أقلام الوصّافين لمدينة أريانة ممّن نالتهم حظوة زيارتها والتمتع بما وجدوا فيها من روائع طبيعتها وروضاتها الرقيقة وبساتينها ذات الأشجار المثمرة والزّياتين الباسقة تحيط كالسّوار بهذه المدينة البيضاء، العريقة بماضيها، المجيدة بأصولها التليدة، وهي التي تفنّن المؤرّخ الكبير عبد الرّحمان ابن خلدون (1332 - 1406) في وصف جنّاتها من بستان أبي فخر الذي بنى فيه المستنصر بالله الحفصي (1249 - 1276م) قصوره وجعلها مركز إقامته. وضمّ هذا الوصف المستفيض لمؤلّفه الرّائع في التّاريخ الذي جعل عنوانه «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» فيقول واصفا جمال بستان أبي فخر وهو جزء من جمال طبيعة أريانة التي تأنّقت الأيادي الأندلسية في تنميق ورودها وأزهارها وتصفيف أشجارها وعرائشها وشقّ سواقي المياه في أراضيها فسالت سلسبيلا: «وأتخذ أيضا (يعني المستنصر بالله الحفصي) بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فخر، يشتمل على جنّات معروشات وغير معروشات أغترس فيها من شجرة كل فاكهة من أغصان التين والزيتون والرمان والتخيل والأعنان وسائر الفواكه وأصناف الشجر، ونضد كل صنف منها في دوحه، حتّى

154

فذكر أريانة في كتابه الذي أتمّ تأليفه سنة 1550 وقد نشر في باريس باللغة اللاتينية سنة 1632 بعنوان «وصف إفريقية» ويقول عن أريانة في صفحة 569: «يحيط بها حدائق بأسمة، وتنتج ثمارا كثيرة، ويحيط بها سور متين، ويسكنها عدد كبير من الفلاحين»:

Hortis amoenissimis maximeque fructeferis , cingitur, murum habet
munitissimum, agricolarum maxime frequentiam

وفيدنا هذا الرّحالة الزائر لبلادنا من أرض الأندلس أن أريانة كانت تنتج ثمارا كثيرة وكان يحيط بالبلدة سور متين. وإنّ شهادته هي الوحيدة التي تثبت أن للمدينة هذا التّحصين الذي لم نجد له أثرا يذكر على أرض الواقع وهو أمر يجلب استغرابنا ألّهم أن تكون يد التّخويب قد أتت عليه مدّة الاحتلال الإسباني لتونس بين سنتي 1535 و1574 للميلاد.

ونذكر أقوالا أخرى بأقلام من زار مدينة أريانة وأعجب بجمال طبيعتها واستهوته مباهجها. فلقد بلغت شهرة أريانة كمنتزه ومكان استشفاء، الأماكن البعيدة، ورغب في زيارتها والإقامة بين حقول الزيتون وصفاء هوائها الجاف إلى جانب سكّان الحاضرة تونس، نذكر أيضًا كثيرا من الأجانب الذين قصدوها قصد التداوي والاستشفاء. ومن أبرز من زارها في القرن التاسع عشر، قبل الحماية الفرنسيّة، الروائي والكاتب الفرنسيّ الذي طبّقت شهرته الآفاق قوستاف فلوبيير (Gustave Flaubert) (1821-1880). فقد زارها مرتين: الأولى سنة 1849 والثانية سنة 1858.

ويذهب الظنّ ببعض الباحثين أنه قدم إلى تونس في هذين التاريخين وتوجّه إلى مدينة أريانة للاستشفاء بهوائها الجاف ورغبة في النّقاها من المرض العصبيّ الذي ألمّ به سنة 1844 ويؤكد من تحدّث عن فلوبيير أنه زارها ثمّ عاد إليها وخصّها بوصف في تأليفه: «الرّحلة إلى المشرق» (VOYAGE EN ORIENT)، الصّادر بباريس سنة 1950 فيقول عنها:

«إنّها لطيفة ورائعة وشيء ساحر! إنّ منازلها ذات السّطوح البيضاء والنّوافذ الخضراء، تبرز وسط الاخضرار، ويبدو جميعها من بين منفرجات الجبال التي تشرف عليها حقول من الزّيتون وأشجار الخروب العظيمة، تحوطها حواجز من تين الهند، قد أصبحت صفائح المتقدمة شبيهة بالأغصان»

Charmante, délicieuse, enivrante chose ! les terrasses blanches des maisons à volets verts saillirent au milieu de la verdure. Le tout est dominé en échappée par des montagnes bleues. Champs d'oliviers, caroubiers énormes, des haies de napals où les feuilles, vieillissant, sont devenues des branches.

(G. FLAUBERT: Voyage en Orient. Les Belles lettres. Paris, 1950. T. II. P549)

ولكنني أميل إلى اعتبار أن زيارتي قستاف فلوبيير إلى تونس قد استهدفتا غايات أخرى. ففي الزّيارة الأولى سنة 1849 وقد صحبه فيها صديقه ماكسيم دي كان (Maxime de Camp) ومن تونس توجّه إلى مصر ولم يعد منها إلى فرنسا إلّا سنة 1851. وكانت نتيجتها تأليفه «الرّحلة إلى المشرق». وفيها وصف مدينة أريانة وجولة في هضاب البليدير. أمّا زيارته الثانية إلى تونس سنة

شعراء.

من التّور والتّزه من اللّيم والتّارنج والسّدر

الماء حاجزا من أعواد الحور جلب إليه
تطن الأرض في أماكن، وتركب البناء
في أخرى. فعطف هذه القناة من أقرب
بعث من فوهة عظيمة إلى جبّ عميق
في أن يعمّه الماء فيرسله في قناة أخرى
بمواجه. ويترّفه الحضايا عن السّعي

الحفصيّ يصوّر لنا جزءا من طبيعة أريانة
تتبن. ولا نشكّ في أن هذا الوصف هو
صل من الجزء السّادس من كتاب العبر
قصبة على عهد المستنصر بالله الحفصي
في العهد الحفصيّ وترميم ساقية الخنايا
غيات المعلقة بقرطاج مرورا بمدينة أريانة.
لها للجريان، وبناء فرعين جديدين لها،
فيستان أبي فهر. وقد تفنّن ابن خلدون
لحسها الخنايا فقصّب من أعلى جدار في
م. ويصف ابن خلدون جوارى السّلطان
في خدم بهنّ وأيهنّ تصل بمركبها قبل
الطّهر.

حلت - أي المراكب - فيتبارى بهنّ» وذلك

الأشجار ونباتات الزّينة والتّرصيف التي
سحق السّقاية والرّي وأخال هنا النّاعورة
في الصّخريّة التي حول العجلة الخشبيّة
مروحة بالقيروان اليوم.

(Léon L'Africain) وهو جغرافي ورّحالة
ميلاده في مدينة غرناطة بالأندلس سنة

1858 فكانت مقصودة ومحددة. فقد جاء ليجمع المكونات الحية والواقعية فيما يشاهد من الاطار الحقيقي الذي سيبني فيه أحداث روايته «صلمبو» Salammbô التي أصدرها سنة 1862. فلا ننسى أن فلوبيير هو أب الرواية الواقعية وباعثها للوجود، وهو حريص على وصف الإطار الواقعي لروايته التاريخية «صلمبو». فرأى أن زيارته لقرطاج ولأحوازا ومنها بساتين أريانة هي أمر حتمي لتحصل له الفكرة القريبة من واقع أحداث رواية صلمبو.

ف نجد في هذه الرواية جانبا مهما للإطار المكاني لما حول قرطاج من القرى والمجمعات السكنية والبساتين. وتتراءى لنا بساتين أريانة وسكرة في عيني هذا الأديب الفرنسي وكأننا نراها في النصف الأول من القرن التاسع عشر مثلما صوّرها لنا يان فرماين Jan Vermeyen بريشته سنة 1535 عندما صاحب ملك إسبانيا شارل الخامس Charles Quint في زحفته على تونس دخولا من حلق الوادي. وتبقى رواية «صلامبو» لفلوبار مرجعا أدبيا هاما لوصف بساتين أريانة الغناء والطبيعة الخلابة للضاحية الشمالية للحاضرة تونس في القرن التاسع عشر وفي نصفه الأول بصفة خاصة.

وتحظى بساتين أريانة في هذا التاريخ بالذات بعناية الوصّافين من الشعراء أيضا ونجد صورتها في عيون بعض الشعراء التونسيين ممن أوقد قرائحهم جمالها الخلّاب ومن بينهم شاعر عاش في القرن التاسع عشر وهو الباجي المسعودي (1810 - 1880)، وكان كاتب السرّ لدى وزير القلم أحمد أبي الضياف



غوستاف فلوبيير

صاحب التاريخ المشهور «إنحاف أهل الزمان، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان». والباجي المسعودي هو الجدلّ للأُمّ للشاعر الصادق مازيغ مترجم القرآن الكريم للفرنسية. والباجي المسعودي ناثر ومرسل ومؤرخ

وأهم آثاره: - 1 ديوان شعر جمعه
النقية في أمراء إفريقية وطبع في تونس
تونس سنة 1905. وهذه القصيدة
ووصف للضواحي الشمالية، صاحب
من جمال فياض ثم يتخلص لدح
حذوت حذو أبي العباس
فخري وذخري وأستاذي
مثنى الوزارة من سيف
يدوم في العزف

ويتأكد لنا مرة أخرى - من قصيدته -
وما تتميز به عن جميع الضواحي
حي نسيمك حتى كاد يحيا
سرى عليلا ووافى بال
قم يا نديمي فيبارك روضها
أهدى لنا الربيع ظرفا
أما ترى أعين الأزهار شاح
ساعد أخاك إلى أريانة
وأغنم بها أنفاس الأزهار
ومل لشطرانة عند الغيرة
وجعفر لاذت أغصانه
ظل ظليل وماء كالسلا
وأرتد لنفسك في رواد
إن العديد من الشعراء المعاصرين
بشئ الأوصاف تنويها بالمباهج
القصائد والموشحات وترنموا في شئ
من الأحاسيس الرقيقة والمشاعر
للهادي المدني هذه الابيات وهو بعنوان

ألا يا
وناد

بـ الواقعية فيما يشاهد من الاطار
S التي أصدرها سنة 1862. فلا
على وصف الإطار الواقعي لروايته
أريانة هي أمر حتمي لتحصل له
خرج من القرى والمجمعات السكنية
فرتسي وكأنا نراها في النصف الأول
عده بريشته سنة 1535 عندما صاحب
حوالا من خلق الوادي. وتبقى رواية
والطبيعة الخلابة للضاحية الشمالية

من الشعراء أيضا ونجد صورتها في
بينهم شاعر عاش في القرن التاسع
الذي وزير القلم أحمد أبي الضياف

وأهم آثاره: - 1 ديوان شعر جمعه ابنه عبد العزيز وتوجد منه نسخة خطية في المكتبة العاشورية - 2 الخلاصة
النقية في أمراء إفريقية وطبع في تونس سنة 1866 - 3 عقد الفوائد في تذييل الخلافة وفوائد الرائد وطبع في
تونس سنة 1905. وهذه القصيدة التي نورد مختارات من أبياتها استهلها بتشوقه إلى تونس الحاضرة
ووصف للضواحي الشمالية، ضاحية بعد أخرى. ثم يخص أريانة ومرباعها بذكر ما حرك سواكن مشاعره
من جمال فياض ثم يتخلص لدح ولي نعمته أحمد بن أبي الضياف قائلا:

حذوت حذو أبي العباس أحمد في	نسيم تونس حياني ويحييني
فخري وذخري وأستاذي الشهير ومن	وجدي به في تجاوبف الشرايين
مثنى الوزارة من سيف ومن قلم	ومنصف غير محتاج لتبيين
يدوم في العز فذا لا بسا أبدا	سعادة من إله الكاف والنون

ويتأكد لنا مرة أخرى - من قصيدته - قيمة مدينة أريانة كمنتزه ومربع عند سكان الحاضرة تونس من جانب،
وما تتميز به عن جميع الضواحي للعاصمة من جهة أخرى. فيقول عن تونس وأريانة:

حي نسيمك حتى كاد يحييني	ياتونس الأنس يا خضرا الميادين
سرى عليلا ووافى بالسّلام إلى	مضنى بحبك نائي الدّار مغبون...
قم يا نديمي فبارك روضها سحرا	فالسعد نادى بنا من باب سعدون
أهدى لنا الربيع ظرفا وتكرمة	شميم أنفاسه ضمن الرياحين
أما ترى أعين الأزهار شاخصة	للّهو والأنس والأفراح تدعوني
ساعد أخاك إلى أريانة فبها	روض توشّى بوردي ونسرين
وأغنم بها أنفاس الأزهار مصطحبا	من خمرة عتقت في ديار عبدون
ومل لشطرانة عند الغبوق وقف	وأشطر بها ما تشا يأتيك في الحين
وجعفر لاذوت أغصانه وسقت	ثغور أزهاره بنت الزّراجين
ظل ظليل وماء كالسّلاف على	رجع النّواعير ربّات التّلاحين
وأرتد لنفسك في رّواد منزلة	واخلع عذارك فيه خلع مأمون

إن العديد من الشعراء المعاصرين قد نوهوا بربيع أريانة وورودها ومياهها العذبة، وجادت قرائحهم
بشتى الأوصاف تنويعا بالمباهج الخلابة في هذه البلدة الآمنة الحاملة في بساطتها الرائقة الغناء، فكتبوا
القصائد والموشحات وترنّموا في شتى الاوزان وعلى مختلف الأوتار بأعذب الكلام وبثّوا ما في نفوسهم
من الأحاسيس الرقيقة والمشاعر المتأججة أمام هذه المباهج الرائعة من طبيعة أريانة. فنذكر من موشح
للهادي المدني هذه الابيات وهو بعنوان «الربيع»:

ألا باكر لروض جاده الوسمي في الفجر
وناد الصّحب والطّبي الغرير وربة الخدر

عهد الأمان. والباجي المسعودي هو
الباجي المسعودي ناثر ومترسل ومؤرخ

وجئ بالنأي محفوا بكاسات من الخمر
فذا فصل الربيع الغصن أحيانا وحيانا فقم بالله غن القوم يوم السعد وافانا
ألا أقطف ورده فيها بقايا من ندى الليل
كنخذ فيه قد جالت دموع النيه والدل
وناولها فتاة من ذوات الأعين النجل

فدع عنك الكرى هيا لنقطف ورد أريانا وقم أنشد لإخوان الصفا الورد أحيانا
وهذا موشح للشاعر الطاهر القصار، وهو ملحن وموثق في تسجيل بالإذاعة الوطنية التونسية تؤديه
المجموعة الصوتية للرشيديّة. وجاء فيه التثويه بورود أريانة ومائها السلسيل الذي «يسعد به العليل» فيقول:

منزه بأحسن يزهو	ونسيم مستطاب
يتم رياض الورود ظهرا	*** وأجعل بأريانة المقيـل
وأنشق زمان الأصيل نشرا	*** في ظل زيتونها الظليل
الأفق باسـم	والجو نـاعـم
والطير تشـدو	*** بلا وتـر
والطل قد كلل الروابي	وطرز الزهر بالـدر

ومن الشخصيات اللامعة في العلم والأدب ممن أقاموا في أريانة للتداوي وطلب شفاء الأبدان بهوائها ومائها
نذكر واحدا من شيوخ الزيتونة المرموقين قدم إلى أريانة طلبا للصحة والاستشفاء وهو الشيخ محمد النخلي
(1869 - 1924) وهو أصيل مدينة القيروان. يقول في مذكراته عن المرض الذي ألم به:

«فكرت فظهر لي إيقاف الأدوية وترك الطبيعة تحارب المرض إن كانت لها قوة، والتنقل إلى الهواء النقي،
فاخترت مناخ أريانة لحسن هوائها ونفع مائها إذ يوجد بها ماء معدني صالح للمعدة جدا. فانتقلت إلى هذا المناخ.
وكان يسكنها الأمير محمد الحبيب باي ولي عهد الأمير محمد الناصر باي مترعا بها كل سنة
(وكان النهج المخاذي لزاوية سيدي عمّار جنوبا يحمل اسمه إلى عهد قريب) فاقتضى الحال أن أزوره وان
أقدم له قصيدة مدح على ما جرت به عادة هؤلاء الأمراء من الارتياح للثناء والإطراء بالحق والباطل. وقد
كانت إجازة هذه القصيدة الملعونة أن أوصى طبيبه اليهودي شالوم بمعالجتي وفرط الاعتناء بشأني.

وقد زارني هذا الطبيب وشاهدت فيه من عجائب الجهل والطيش ما هو عبرة لأولى البصيرة». عن كتاب:
«أثار الشيخ محمد النخلي (1869 - 1924) سيرة ذاتية وأفكان إصلاحية». جمع وتحقيق عبد المنعم
النخلي وتحقيق ومراجعة حمادي الساحلي. ونشر دار الغرب الإسلامي. 1995.

وقد حظي منا الشيخ محمد النخلي بمحاضرة بعنوان «موقف الشيخ محمد النخلي مصلحا بين
النزعة الاتباعية والنزعة التجديدية» وذلك في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الدينية بمناسبة المولد
النّبوي الشريف لسنة 1417 هـ بالقيروان تحت عنوان «الشيخ محمد النخلي وإسهامه في حركة الإصلاح
والتجديد» في يومي 22 و23 جويلية. 1996. ونشرت هذه المحاضرة ضمن بقية محاضرات الندوة في

الكتاب العاشر من سلسلة آفاق إسلامية التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية في سبتمبر 1997

وأكرمت بلدية أريانة الشيخ محمد النخلي بتسمية أحد أنهجها باسمه. والشيخ محمد النخلي هو غني عن التعريف فهو على غرار الشيخ «سالم بوحاجب» قطب من أقطاب الحركة التجديدية الإصلاحية في تونس في نهاية القرن التاسع عشر والرّبع الأول من القرن العشرين. وهو أستاذ الشيخ الطاهر ابن عاشور صاحب «التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم». وقد مدح هذا الشيخ أستاذه بقصيدة موجودة في الكتاب الذي جمع بعضا من آثاره. وتخرج على الشيخ محمد النخلي ثلّة من شيوخ أجلاء كان لهم صيت مذكور في تجديد التعليم بجامع الزيتونة المعمور.

ومن أبرز من استطاب الإقامة في أريانة من شعرائها المعاصرين صاحب ديوان «إرادة الحياة» أبو القاسم الشابي. وقد سكنها في أخريات حياته القصيرة، وهو في حالة صحية حرجة. ولعلّه سكنها طلبا لهوائها النقيّ مستجيبا في ذلك لنصيحة أطبائه. يقول عنه أبو القاسم محمد كرو في كتابه: «الشابي حياته وشعره» (في صفحة 52 من الطبعة الثالثة لسنة 1960): «ثمّ هو ينحدر من توزر إلى تونس يوم 1934/8/26 وينزل أولا ببعض فنادق العاصمة ثمّ يستقرّ في سبتمبر بضاحية أريانة. أقول يستقرّ وفي الحقيقة نجده في نفس تلك الصّائفة مصوّرا بحمام الأنف مع السيّد مازيغ والسّنوسي».

ولم تطل إقامة شاعر الحبّ والحياة، أبي القاسم الشابي في أريانة الجميلة فيدخل المستشفى الإيطالي (الحبيب ثامر حاليا) في 3 أكتوبر 1934 وهو مصاب بمرض القلب إذ كان يألم من ضيق الأذينة القلبية، أي أن دوران دمه الرئويّ لم يكن كافيا. ثمّ يوافيه الأجل المحتوم في فجر الثلاثاء التاسع من أكتوبر 1934. ولم نعر في ديوانه «إرادة الحياة» في تاريخ شهر سبتمبر 1934 الذي قضاه في مدينة أريانة عن قصيدة يصف فيها بساتين أريانة أو يسجّل فيها إعجابه بما رآه فيها من طبيعة زاهية غناء. فالقصيدة الأخيرة المؤرّخة في ديوانه هي «فلسفة الثعبان» التي قالها في 1934/2/8 ويستهلّها بقوله:

كان الرّبيع الحيّ روحا حالمًا غصن الشّباب معطر الجلباب
يمشي على الدّنيا بفكرة شاعر ويطوفها في موكب خلّاب
والأفسق يملأه الحسان كأنّـــــــــــــــــه قلب الوجود المنتج الوهاب...

أمّا القصيدتان اللتان تتّمان مجموع قصائد الديوان، فهما بغير تاريخ وقد عنونهما الشاعر، الأولى «قال قلبي للإله»، والثانية: «زئير العاصفة».

فلا نجد أثرا لمدينة الورد في شعر الشابي بصفة صريحة وقد يكون ذلك مرتبطا بالظرف الحرج الذي كانت عليه حالته الصحيّة، وربّما كان ذلك يعود لانعكاسات المرض على حالته النفسيّة أيضًا فتعطلت قريحته الشعريّة قصرا، ثمّ إنّ الأطباء نصحوه ودعوه إلى ترك الشّعْر إلى حين لما كان لذلك من تأثير على أعصابه التي أصبح توترها ظاهرا في الأيام الأخيرة من حياته.

وخلاصة القول فإنّ الأدباء الذين سنخروا قرائحهم لوصف هذه المدينة الجميلة وهذا المربع الخلّاب، لا يمكن حصرهم. وقد اقتصرنا على ذكر بعضهم وأرودنا مختارات من أقوالهم. ولا يفوتنا أن نلفت الانتباه إلى الأغاني التي ترنّمت فيها الأصواف المطربة لكبار الفنّانين، بحاسن مدينة أريانة.

الحمد لله يوم السّعد وافانا

فيل

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

الكتاب

ويمكن أن نخصّص سجلاً أدبيّاً كاملاً نفرد به هذه المدينة وبساتينها الرائقة من الوصف والمديح وما دار فيها من المنتديات الأدبية وقد يطول بنا الحديث في هذا الموضوع. وما من شك أن هذا الإطار الطَّبِيعِيّ الخلّاب قد نبّه المشاعر وأرقص عرائس الشّعْر على رنة الأوتار، وشحذ القرائح واستلهم الفنّانين بالقلم والفرشاة. والرّصيد في هذا الميدان كبير ومتنوّع الطّبع والألوان. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يؤكّد منزلة مدينة أريانة من حيث طبيعتها ويثبت القيمة الفنّية التي حظيت بها مع الزّمان إلى جانب ما عاشه ساكنوها، في تنوّعهم وأثناء تردّدهم عليها، من أحداث يمكن أن نؤرّخ بها للبلاد كاملة. ومن أبرز من سكن مدينة أريانة في سانية غير بعيد عن ساحة سلا حالياً شيخ جامع الزّيتونة محمّد الطّاهر ابن عاشور الجذّ. وقد خصّه أحمد بن أبي الضياف بالترجمة عدد 394 بالجزء الثامن من كتاب «إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» وهذا نصّها:

محمد الطاهر بن عاشور:

أبو عبد الله محمّد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور. نشأ هذا الذكي في حجر أبيه وتربيته أخيه. وهو من بيت شرف وصلاح وترجم لجدهم الوزير في تاريخه وكذلك حسين خوجة. ولما حفظ القرآن بمكّتب حوانيت عاشور أقبل على العلم ونبذ ما سواه، فأخذ عن أخيه أبي عبد الله محمّد بن عاشور وعن شيخنا أبي عبد الله محمّد بن ملوك، وكان يستنجه ويقدمه، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمّد بن الخوجة، وعن شيخ الشيوخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي وعن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمّد بيرم الثالث، وعن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد معاوية وكان ذلك عند التفات الهمة من المشير أبي العباس أحمد باي إلى العلم وأهله، بترتيب المدرسين وإجراء جرايتهم، ووقف الكتب العلمية بالجامع على الطلبة.

فحبس على طلب العلم شبابه، ولازم أبوابه، ولم يلبث أن اقتحم على الفحول أعلالها، وطمح إلى الغايات البعيدة فنالها، وفاض العلم حوضه، وأثمر روضه، فتصدّر للتدريس في النحو والبيان والأصول وغيرها من علوم الأدب، فاثالت إليه النّاس من كل حذب، وجرى منه بالجامع الأعظم سيل الإفادة، وسعد به سوق العلم أي سعادة، يقدم الإفادة على سائر لذاته، بداع قوي من ذاته، إذا تصدر للتدريس رأيت الدرّ الفاخر من البحر الزاخر، ومصدق «كم ترك الأول للآخر».

وانتفع به أعيان من أهل المملكة أي انتفاع، ولم تزل رتبهم في ارتفاع، فلم يرعهم إلا تقديمه لخطّة القضاء فانطوا على أحر من جمر الغضى، وذلك أن الرجل لما علا كعبه واشتهر في العلم صيته في قليل من الزمن، وتحقّق المشير أبو العباس أحمد باي أن تحصيله كان في دولته ومن ثمرات عنايته قال في مجلسه: «هذه ثمرة غرسني نريد الانتفاع بها في حياتي» واستشار فيه صاحبنا شيخ الإسلام أبا عبد الله محمّد بيرم فلم يعبه إلا بصغر السن، فقال له: «هل تعلم أعلم منه بمن تقدمه بالسّن؟» فأجاب بعدم العلم، فقدمه للخطّة في 25 رجب من سنة 1267 (الاثنين 26 ماي 1851) وكان يومئذ في الفنون المعقولة أحسن منه في الفقه.

وللرجل همة حملته على الانقطاع إلى الدواوين الفقهية، وعمر بها أوقاته، حتى تدارك في قليل من

الزّمن ما فاتته، وجرى مع فحول الفقه الفداء إسماعيل التميمي من مشي «لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقه» وباشر الخطّة إذ ذاك بميزان عدل، لا يميل للفجور.

ولباي ذلك العصر عناية بالخير ربية وبيعت بالأوامر له. وكان كثير ما يفتي منازعه وجيّد مباحثه، فترى السرور يوحى ورغب منه أعيان من تلامذة

العشائين. وله حاشية على القطر. وقد هذا ما يتعلق بترجمة الرجل في العلم ثم انتقل في دولة المشير أبي والاحتساب على فواضل الأجاس في وقصده بمقتضى التحبّيس المعلق عند والحساد.

ثم انتقل إلى مجلس البي والسكان، فلم يكن عند الظنّ في مص ذلك من المصلحة بالاجتهاد.

وكان عالي الهمة، زكيّ النفس والفهم والتّصلّع بالعلم، وهما نعمتان وكان في قضائه موضعاً لانتقاده.

وكان سليم الصّدر، حسن

طيّب المعاشرة، بعيداً عن التصنع في لمن يعذله دونك وقولي، ماشئت من وعلى كل حال فقد عاش عا

ومن نقص الهمة الحسد على النعمة

ولم يزل في هذه الدّار يدأب على

نهار يوم الاثنين الحادي والعشرين من

جسده الشريف إلى داره بتونس، ومن

في هذه المدينة وساتينها الرائقة من الوصف
في هذا الموضوع. وما من شك أن هذا
من رتبة الأوتار، وشهد القرائح واستلهم
من الأوتار. وهذا إن دل على شيء فأنما
تحتفظ بها مع الزمان إلى جانب ما
كان يمكن أن نؤرخ بها للبلاد كاملة.
سلا حاليًا شيخ جامع الزيتونة محمد
حجة عدد 394 بالجزء الثامن من كتاب

المؤرخ بن محمد بن عاشور. نشأ هذا
الرحم جدهم الوزير في تاريخه وكذلك
علم وتبذ ما سواه، فأخذ عن أخيه أبي
وكان يستنجد به ويقدمه، وعن شيخنا
إسحاق إبراهيم الرياحي وعن شيخ
عبد الله محمد معاوية وكان ذلك عند
ترتيب المدرسين وإجراء جرايتهم، ووقف

فتحهم على الفحول أعلالها، وطمح إلى
التدريس في النحو والبيان والأصول
أخرى منه بالجامع الأعظم سيل الإفادة،
سرع قوي من ذاته، إذا تصدر للتدريس

في ارتفاع، فلم يرعهم إلا تقديمه لخطه
لا كعبه واشتهر في العلم صيته في قليل
سنوات ومن ثمرات عنايته قال في مجلسه:

شيخ الإسلام أبا عبد الله محمد بيرم
سألت؟ فأجاب بعدم العلم، فقدّمه
كان يومئذ في الفنون المعقولة أحسن منه

وعثر بها أوقاته، حتى تدارك في قليل من

الزمن ما فات، وجرى مع فحول الفقهاء في مضمارهم، ومعارك أنظارهم، يحذو في الفقه حذو العلامة أبي
الفداء إسماعيل التميمي من مشاركة الأصول بالفروع، لا يذكر فقها وترجيحا إلا بحديثه ويقول:
«لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء، وما يمنعني أن أعلم الدليل مثل ما علموه؟»
وباشر الخطه إذ ذاك بميزان عدل، لا يلتفت إلى خوف ولا عزل، وشرذ أهل الزور، وغل أيدي الملدّين وأهل
الفجور.

ولبأي ذلك العصر عناية بأخباره، واستحسان لأثاره، وأطلق يده في أخذ أوامر المنتصبين للإشهاد إن رأى
ريبة ويبعث بالأوامر له. وكان كثيرا ما يقول لي: «ما فعل القاضي الشريف؟»، فأحكي له ما يبلغني عنه من غريب
منازعه وجيد مباحثه، فنرى السرور بوجهه. وعلى ثقل الخطه كان يريح نفسه بالتدريس في بعض الأحيان.
ورغب منه أعيان من تلامذته أن يكمل لهم شرح المحلي لجميع الجوامع فأجابهم لذلك بين
العشاءين. وله حاشية على القطر، وتقاييد على حاشية عبد الحكيم في البيان، وشرح على بردة البوصيري.
هذا ما يتعلق بترجمة الرجل في العلم وثقوب الفكر ومباشرة خطه القضاء.

ثم انتقل في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي إلى خطه الفتوى ونقابة الاشراف
والاحتساب على فواضل الأحياس في طرق البر العامة، والنظارة على بيت المال، على خلاف نص الحبس
وقصده بمقتضى التحبيس المعلق عند باب الشفاء من الجامع. وبذلك سلقته الألسن الحداد من الأكفاء
والחסاد.

ثم انتقل إلى مجلس الباي الخاص والمجلس الأكبر للشورى الحامي لحقوق المملكة والدولة
والسكان، فلم يكن عند الظن في مصلحة البلاد والعباد، وربما أعان شرع الوحدة بالاستبداد لما رأى في
ذلك من المصلحة بالاجتهاد.

وكان عالي الهمة، زكي النفس، لم يقنع بشرف النسب، حتى أضاف له الشرف المكتسب من نور
الفهم والتصلع بالعلم، وهما نعمتان وكل ذي نعمة محسود. وعلى وجود حساده وتظاهر أضداده، لم يجدوا
في قضائه موضعا لانتقاده.

وكان سليم الصدر، حسن الأخلاق، عذب البيان، كاتبًا شاعرا بليغا، أبي الضيم، ثابت الجنان،
طيب المعاشرة، بعيدا عن التصنع في الزي الذي هو رأس مال المفلس، يلتحف في الشتاء بالحوالي، ويقول
لمن يعذله دونك وقولي، ماشئت من محاضرة تتحف المجالس والمحاضر، ويسبي النواظر زهرها الناضر.
وعلى كل حال فقد عاش مملًا الأغراض، غير مكترث بما في أيدي الحسدة من سهام الاعتراض.
ومن نقص الهمة الحسد على النعمة.

ولم يزل في هذه الدار يدأب على أسباب الخطوة والارتقاء، إلى أن رحل إلى جوار جده بدار البقاء،
نهار يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي حجة سنة 1284 (13 أبريل 1868) ببستانه بأريانة. وحمل
جسده الشريف إلى داره بتونس، ومن الغد دفن بزاوية جده مع آله الطيبين. وحضر جنازته الباي وأخوته

ورجال دولته، واشتدّ عليه أسفه بالبكاء وكاد ان لا يتخلّف عن جنازته أحد. وأعقب ابنا صغيرا تلوح عليه النجاة. ورثاه شاعر العصر أبو الثناء الشيخ محمود قبادو بقصيدة كلّها عيون: مطلعها:
خطب له الدين أرني لحظ مذعور والنّاس ما بين مبهوت ومبهور
(راجع الديوان ص 137 جزء 1)

شخصيّة لا تنسى في أريانة: الأميرة نازلي فاضل، رائدة النهضة في مصر وتونس:

من أبرز الشخصيات المرموقة التي عرفتها مدينة أريانة الأميرة نازلي فاضل (1853 - 1913)، سليلة البيت الخديوي في مصر. يقول عنها الأستاذ أبو القاسم محمد كرو في كتابه «الأميرة نازلي فاضل رائدة النهضة في مصر وتونس» في صفحة 12: «تنحدر الأميرة نازلي فاضل من الأسرة العلوية المصرية... التي أسسها محمد علي باشا، فهو رأسها الأول ومنه تواصل الأبناء والحفاد وفروعهم إلى نهاية الملك فاروق المعروفة». ويحدثنا صاحب الكتاب عن الخلاف الذي حدث بين الخديوي عبّاس وأخيه ووليّ عهده الأمير مصطفى فاضل، والد الأميرة نازلي، وذلك بسبب حرمانه من ولاية العهد التي كانت بالوراثة للأكبر في الأسرة. فسعى الخديوي إسماعيل لدى الباب العالي ليصبح وليّ العهد الابن الأكبر للحاكم، فظفر بفرمان من الباب العالي عام 1866 وغير به نظام الوراثة في مصر. وفعلا تولّى ابنه توفيق بعده الحكم سنة 1879 وأصبح أخوه مصطفى فاضل وليّ العهد السابق مجرد أمير وحرم قصرا من منصبه. هاجر الأمير إلى تركيا غاضبا مع عائلته وهناك ظفرت ابنته الأميرة نازلي بثقافة عالية وأتقنت من اللّغات: العربية والفرنسيّة والانكليزيّة والتركيّة، كما تكلمت الايطاليّة والألمانيّة إلى حدّ كبير.

وأما الشّيخ الفاضل ابن عاشور فينوّه بفضائلها ويجعلها من رواد الإصلاح التّونسيّ في الثّلاث الأوّل من القرن العشرين ومن أركانه القويّة فيقول عنها في كتابه «من أعلام تونس في الثّلاث الأوّل من القرن العشرين»:

«وكانت كثيرة التّردّد على فرنسا وإيطاليا، قويّة الميل إلى الحياة السّاسيّة التي قامت فيها بأدوار هامّة بين السّلطان عبد الحميد وبين الوطنيّين الأحرار. وبوفاة والدها رجعت إلى مصر وبقيت كثيرة التّرداد على تركيا وأروبا. وقد تزوّجت سفير تركيا بايطاليا (جاء زواج نازلي الأوّل سنة 1873 من خليل باشا شريف، وزير خارجيّة الدّولة التركيّة ثمّ أصبح سفيراً بايطاليا حتى وفاته في يناير 1879)».

وكان أخوها الأمير حيدر مقيما في باريس ومعدودا من كبار أدباء اللّغة الفرنسيّة... وقد أتيحت للأميرة نازلي في رحلاتها إلى أروبا فرص التّعرف برجال من أعلام الحركة الإصلاحيّة بتونس مثل الوزير حسين والشّيخ محمد بيرم وتوفّقت صلتها بالشّيخ بيرم وأبنائه بعد استقرارهم بمصر... كما مكنتها من التعرف بأفراد من نخبة الشّباب التّونسيّ الذين زاولوا دراستهم الثّانويّة بالمدرسة الصّادقية بتونس ثم واصلوا دراستهم العليا بكلّيّات جامعة باريس. وكثير من هؤلاء الشّبان كان تعرّفها بهم عند السيد جمال الدين الأفغاني وفي مركز العروى الوثقى.

قصّدت تونس سنة 1314 هـ
القاسم محمد كرو في كتابه عنها (ص
عنها في جريدة الحاضرة.

ويواصل الشّيخ الفاضل ابن
وخليل، ونخبة من الشّباب التّونسيّ
مؤسّسها علي بوشوشة، والبشير
ويونس حبّوج وصالح البكوش...
ويقول محمد فريد (1868 - 1913)
ما كتبه عن نازلي فاضل: «تربت تربية
الدّولة العليّة بباريس، وعاشت معه
زوج، صاحب في أثنائها الكثيرين من
زوجة القائد الطاهر بن عياد. فتعرّفت
(1913 / 12 / 28).

وقد كان لها صالون أدبي عند
الدين الأفغاني ومحمد عبده وسعد
الهللّاي وإبراهيم المولحي وحين
وفي هذا الصّالون كان الحاضر
(وكانت نازلي تدعو إلى تعليمها وترى
كتابي قاسم أمين: «تحرير المرأة» والمرأة
والفنون الجميلة، ويتحسّسون أسس
وتخليصه من التّأخر والجهل. وكانوا
وفي صالونها دافعت عن عرابي وثورة
المثقفين في مصر ومن البلاد العربيّة
السّياسيّة والترديّ الفكريّ والأدبيّ
وكان للأميرة نازلي فاضل الأثر
الرّذ على «الدّوق داركور» سنة 1894 و
قدرة المصريّين على النهوض ونفض
سعد زغلول، فيخبرتها أدركت فيه جو
الوزراء.

قصدت تونس سنة 1314 هـ (يوافق 12 / 6 / 1896)، بوصاية آل بيرم. ويلاحظ الأستاذ أبو القاسم محمد كرو في كتابه عنها (ص 84)، أن زيارتها الأولى كانت في مايو سنة 1899 حسب خبر طويل عنها في جريدة الحاضرة.

ويواصل الشيخ الفاضل ابن عاشور: « واتصلت أول مقدمها بالشيخ سالم بوحاجب وابنيه عمر و خليل، ونخبة من الشباب التونسي العاملين في حركة الإصلاح القائمين على جريدة الحاضرة، (ومن أهم مؤسسيها علي بوشوشة، والبشير صفر ومحمد بن الخوجة و خليل بوحاجب (زوجها) والعربي بن عمر ويونس حجوج وصالح البكوش...)»

ويقول محمد فريد (1868-1919)، وهو رئيس الحزب الوطني، أيام الاحتلال البريطاني بمصر، في ما كتبه عن نازلي فاضل: « تربت تربية أروبية ثم تزوجت بخليل شريف باشا أخ علي باشا شريف، سفير الدولة العلية بباريس، وعاشت معه سنين بها، عيشة أروبية بحتة. ولما توفي عادت لمصر وبقيت مدة بلا زوج، صاحبت في أثنائها الكثيرين من الإفرنج والمصريين. وكانت تتردد على تونس لزيارة أختها رقية هانم زوجة القائد الطاهر بن عياد. فتعرفت بالسيد خليل بوحاجب وتزوجته وبقيت معه إلى أن ماتت في (28 / 12 / 1913).

وقد كان لها صالون أدبي عند عودتها إلى مصر قرّبت فيه كبار رجال الفكر والسياسة أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين ومحمد فريد وأحمد فتحي زغلول وإبراهيم الهلباوي وإبراهيم المويلحي وحسين رشدي وغيرهم.

وفي هذا الصّالون كان الحاضرون يتدارسون مسائل الإصلاح الاجتماعي وأحوال المرأة المصرية (وكانت نازلي تدعو إلى تعليمها وترى أن المجتمع لا يرتقي إلا بالارتقاء بها لذلك كانت المحرّضة على نشر كتابي قاسم أمين: «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، كما كان المقلوبون على ناديها يتدارسون العلوم والآداب والفنون الجميلة، ويتحسّسون أسس الفكر الرّاقى وسبل التنوير عن طريق العلم قصد السمو بالمجتمع وتخليصه من التأخر والجهل. وكانوا يناقشون الكتب الأروبية التي كانت تهاجم مصر والحضارة العربية. وفي صالونها دافعت عن عرابي وثورته التي شنتها على الاستعمار الإنكليزي. وفي هذا المنتدى الرّفيع لأبرز المثقّفين في مصر ومن البلاد العربية كالشيخ بيرم من تونس تولدت المشاعر القومية بعد فترة من الكبت السياسي والتردي الفكري والأدبي.

وكان للأميرة نازلي فاضل الأثر الكبير على مثقفي عصرها من ذلك أنها استحثت قاسم أمين على الرّد على «الدّوق داركور» سنة 1894 وعلى نفقتها، فنشر كتابه «المصريون» وبرهن فيه للدّوق «داركور» على قدرة المصريين على النهوض ونفض غبار التخلّف عنهم. وكان لها صداقة متينة بالزعيم الوطني المصري سعد زغلول، فخبّرتها أدركت فيه جوانب القوة ورشحته زوجا لصفية هانم ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء.

نقطة في مصر وتونس:
الأميرة نازلي فاضل (1853-1913)، سليلة
الأميرة نازلي فاضل رائدة النهضة
العلمية المصرية... التي أسسها محمد
الملك فاروق المعروفة.

الأميرة نازلي فاضل وأخيه وليّ عهده الأمير
في العهد التي كانت بالوراثة للأكبر في
عهد الابن الأكبر للحاكم، فظفر بفرمان
منه توفيق بعده الحكم سنة 1879
من منصبه. هاجر الأمير إلى تركيا
تحت من اللغات: العربية والفرنسية

لإصلاح التونسي في الثلث الأول
للام تونس في الثلث الأول من القرن
السنة التي قامت فيها بأدوار هامة
في مصر وبقيت كثيرة الترداد على
سنة 1873 من خليل باشا شريف،
(1879).

اللغة الفرنسية... وقد أتيحت
لحركة الإصلاحية بتونس مثل الوزير
استقرارهم بمصر... كما مكنتها من
التحوية بالدرسة الصادقية بتونس ثم
كان تعرفها بهم عند السيد جمال

كما أقنعت به بضرورة تعلّم اللّغة الفرنسيّة وكذا فعلت مع صديقها الشّيخ محمّد عبده. وكان لها التأثير الإيجابيّ على التّطوّر الفكريّ لرواد صالونها وكان لهم منزلة ثقافية متميزة في ذلك العصر وثناء ذهنيّ واسع ومن أبرزهم الشّيخ محمد عبده الذي بدأت علاقته بها منذ عودته من المنفى سنة 1888 وكان لها أيضًا الأثر فيما عرف به من نظرة تقدّمية في تحرير المرأة وقدم لها اثنين من تلاميذه المرموقين سعد زغلول وقاسم أمين. وفي صالونها، سحرت كل من حضره بثقافتها العميقة وبهزتهم بحصافتها وتمكنها



مصطفى بهجت فاضل



الأميرة نازلي فاضل



الحيدوي توفيق



الحيدوي إسماعيل

فزادت من مشاعرهم الوطنية وعمّقت تعلقهم بالتّقدم والتّطور وخاصة تجديد الإسلام وبعثه قويا متطورا من جديد رغم تظاهرها بالميل إلى الزّوايا كمعظم رجال عصرها. وإن صلة هذه الأميرة المصلحة بمدينة أريانة تعود إلى سنة 1899 حيث نزلت بقصر آل البكوش

صديقها الشيخ محمد عبده. وكان لها
تأثير عميق في ذلك العصر وثراء
في عودته من المنفى سنة 1888.
لها اثنين من تلاميذه المرموقين سعد
العميق وبهرتهم بحصافتها وتمكنها



نعفي بهجت فاضل



الخديوي توفيق

سنة تجديد الإسلام وبعثه قويا متطورا

1899 حيث نزلت بقصر آل البكوش

كإقامة أولى لها في تونس قبل أن تنتقل إلى قصر زوجها خليل بوحاجب (1280-1358هـ) بالمرسى
فأقامت ناديها الجديد في تونس بعد القاهرة. وضمت إليه نخبة من المثقفين، وفي هذا القصر استقبلت
صديقها القديم الشيخ محمد عبده في زيارته الثانية من 9 إلى 22 سبتمبر 1903. ونما يذكر أنه جاء
خصيصا لزيارتها. أما زيارته الأولى التي التقى فيها بشيوخ جامع الزيتونة فكانت من 6 ديسمبر 1884 إلى
4 جانفي 1885.

ونختم القول عن هذه السيدة القادمة إلى تونس وعن إقامتها بقصر محمد البكوش بأريانة إذ
الحديث عن دورها في الحركة التنويرية الإصلاحية وخاصة ما قامت به للنهوض بالمرأة وتغيير وضعها متسع
ويستدعي تبسّطا أكثر لشمول سيرة هذه المصلحة. ويكفي أن نعطي صورة عن نشاطها في تونس بنقل فكرة
مما كتب عنها بجريدة الحاضرة في العدد 548 ليوم 30 مايو 1899: «ليلة الأحد الفارط تناولت دولتها
الطعام بدار الفاضل البارع الوجيه صديقنا السيد علي بن أحمد، رئيس الجمعية الخلدونية. فشرفت منزله
في الساعة السابعة مساء ثم حضر نخبة من شبّان الأهالي وخاصة أجباءنا من مجلسها لشرب الشاي
والتأنس بمذاكرتها، فتجاذبت أعنة الحديث مع الحاضرين في مواضيع شتى بين أدبية وتاريخية وسياسية
دلّت على تحنّك البرنسس وكرميتها وسعة أطلاعها وغزارة معلوماتها وتوقّد فطنتها وخصوصا تفقّهما
في مقتضيات الأحوال الرّاهنة مما لا يسع المقام بإفاضة القول فيه... ولاقت من جميع الحاضرين كل تحلّة
وإكرام وحسن مؤانسة واحترام، ودامت تلك المؤانسة إلى نصف الليل، حينها توجهت دولة الأميرة لحل
نزولها ببستان السيد البكوش بأريانة».

تنظيم إداري جديد

تعود مدينة أريانة بالنظر إدارياً في الوقت رئيساً للبلدية ومشرفاً على ميزانية بالنظر الإداري إلى مسؤول واحد هو وحمام الانف وأريانة وباردو ومثوبة وسيدى بوسعيد.

وبمجرد بداية عهد الاستقلال تونس الكبرى وتعود بالنظر إلى والي ثم اقتضى التوسع العمراني في المواطنين مع مختلف المصالح الإدارية 1983 هما ابن عروس وأريانة.

وتمّ تنصيب أول وال على أرض المسؤولية إلى يوم 20 جويلية 2002 واختير مركز الولاية عند نشأة حكومة الاستقلال مع بعض الموقع



لبنات

في مسار الحداثة

تنظيم إداري جديد

تعود مدينة أريانة بالنظر إداريًا في العهد الحسيني إلى قائد الاحواز يعينه الباي. ويكون القائد في نفس الوقت رئيسا للبلدية ومشرفا على ميزانياتها ومنظما للحياة العمرانية فيها. وأحواز مدينة تونس العاصمة التي تعود بالنظر الاداري إلى مسؤول واحد هو قائد الاحواز هي على التوالي بحسب الأهمية السكانية: حلق الوادي وحمام الانف وأريانة وباردو ومنوبة والمرسى وراوس وقرطاج وابن عروس ومقرين وسان جرمان (الزهاء اليوم) وسيدي بوسعيد.

وبمجرد بداية عهد الاستقلال عن الحماية الفرنسية سنة 1956 أصبحت هذه الاحواز تنتمي إلى إقليم تونس الكبرى وتعود بالنظر إلى والي تونس.

ثم اقتضى التوسع العمراني في هذا الاقليم وكذلك التنظيم الاداري الجديد في كل ما يسهل تعامل المواطنين مع مختلف المصالح الادارية تقسيما جديدا نتج عنه بعث ولايتين جديدتين في نفس الاقليم سنة 1983 هما ابن عروس وأريانة.

وتمّ تنصيب أول وال على أريانة في 16 مارس 1983 (انظر الجدول المصاحب عن تنامي الولاية في هذه المسؤولية إلى يوم 20 جويلية 2002).

واختير مركز الولاية عند نشأتها في مقر بلدية أريانة. وقد كان هذا المقر كنيسة في عهد الحماية استرجعته حكومة الاستقلال مع بعض المواقع الدينية الأخرى ضمن اتفاقية رسمية مع الفاتكان، وهو مقرها الحالي. وقد



مقر ولاية أريانة في مكان (الكنيسة القديمة)



أدخلت عليه اليوم تحسينات وظيفية وجمالية كبيرة. وهذا المقر قد تركّز فيه البلدية منذ سنة 1963 إذ كان مقرّها الاصلي غير بعيد عن زاوية سيدي عمّار، محاذيا للمدينة العتيقة. وعند نشأة الولاية سنة 1983 انتقلت إدارة بلدية أريانة إلى مقرّها الحالي وهو قصر عبد الرحمان بن عياد. وبسبب التطور العمراني المطرد انبثقت عن ولاية اريانة في 29 جويلية سنة 2001 (الرائد الرسمي عدد 62 صفحة 2024 بتاريخ 4 أوت 2001) ولاية جديدة هي ولاية متوبة. وبذلك أصبح عدد الولايات 24 ولاية بالجمهورية.

ولاية أريانة

الولاة الذين تعاقبوا على ولاية أريانة منذ إحداثها
الاسم واللقب المباشرة المفاداة

03/02/1988 27/07/1984 كمال الحاج سلسي

27/07/1984 16/03/1983 أحمد بن جميع



التطور العمراني والنشاط البلدي في

اقتضى التطور العمراني والنشاط البلدي في بلدية في البلاد هي بلدية الحاضرة (أو عاصمة) وأول من ترأسها الجنرال حسين. إلى ومن خريجي المدرسة الحربية بباردو، ومن متعدّدة وهامة في الدولة (أنظر ترجمته في قانونهاج). وكانت وفاة الجنرال حسين في وتواصل إرساء البلديات في محلات الأهمية ونوعية العمل:

- 1 - البلديات les municipalités
 - 2 - لجان البلديات les commissions municipales
 - 3 - لجان الطرقات les commissions de voirie
- والملاحظ أن الأعضاء المشرفين عليها و بأوامر تصدر في الرائد التونسي إذ لم يصدر ونذكر هذه البلديات واللجان

02/07/1991 25/10/1990 عبد الرحمان بوحريزي

25/10/1990 03/02/1988 عبد الله الكمي



13/09/1996 19/05/1994 محمد الحبيب براهيم

19/05/1994 02/07/1991 نجيب الدريسي



20/07/2002 07/07/2000 علي الطرابلسي



07/07/2000 13/09/1996 مندر الفريجي



20/07/2002 فاتر عياد



تتبع فيه البلدية منذ سنة 1963 إذ كان

الحالي وهو قصر عبد الرحمان بن عياد.
سنة 2001 (الرائد الرسمي عدد 62
وبذلك أصبح عدد الولايات 24 ولاية

03/02/1988 27/07/1984 سي



02/07/1991 25/10/1990 حريزي



13/09/1996 19/05/1994



التطور العمراني والنشاط البلدي في الإيالة التونسية

اقتضى التطور العمراني والتوق إلى التمدن وتنظيم الحياة اليومية في المدن التونسية بعث أول بلدية في البلاد هي بلدية الحاضرة (أو عاصمة تونس) وكان ذلك قبل الحماية الفرنسية، في 30 أوت 1858. وأول من ترأسها الجنرال حسين، إلى شهر سبتمبر 1865. وهو من المماليك مثل خير الدين التونسي ومن خريجي المدرسة الحربية بباردو، ومن موظفي الباي المرموقين في القرن التاسع عشر، شغل مناصب متعددة وهامة في الدولة (أنظر ترجمته في كتاب «أسس الحماية الفرنسية صفحة 83 طبعة 1959، لجان قاناج»). وكانت وفاة الجنرال حسين في 27 جويلية 1887.

وتواصل إرساء البلديات في مختلف مدن البلاد التونسية، وهي مرتبة في ثلاثة أصناف حسب

الأهمية ونوعية العمل:

1 - البلديات les municipalités

2 - لجان البلديات les commissions municipales

3 - لجان الطرقات les commissions de voirie

والملاحظ أن الأعضاء المشرفين عليها والمسيرين لأعمالها يعيّنهم الباي من الاعيان والموظفين السامين بأوامر تصدر في الرائد التونسي إذ لم يطبق النظام الانتخابي إلا بمقتضى القانون الانتخابي في سنة 1957. ونذكر هذه البلديات واللجان البلدية مرتبة في أصنافها الثلاثة إلى تاريخ تأسيس لجنة الطرقات

Commissions de Voirie

لجان الطرقات:

- 1 - توزر 23 جويلية 1888
- 2 - زغوان 18 مارس 1891
- 3 - عين دراهم 27 جوان 1892
- 4 - طبرقة 27 جوان 1892
- 5 - سيدي بوزيد 5 فيفري 1893
- 6 - جرجيس 24 ديسمبر 1893
- 7 - تالة 5 فيفري 1904
- 8 - سوق الخميس 25 جويلية 1905
- 9 - غر الدماء 20 نوفمبر 1905
- 10 - بن قردان 13 ديسمبر 1906
- 11 - أريانة 1 جويلية 1908
- 12 - متلوي 11 نوفمبر 1908

أريانة بين الحاضر والزمن الآتي

إن سنة 1956، وهي سنة

الفاصلة بين مرحلة النشأة والتأسيس

بدأت تتأكد مسؤولية المتساكنين، كولا

تنظيم الشؤون الاقتصادية والحياة الاح

البلديين للاضطلاع بالوظيفة التي

لتركيز البنية الأساسية للمدينة انطلاقا

من نتائجها اتساع المساحة البلدية في

السكانية ومن حيث نسبة السرعة في

وهذا النمو العمراني الكبير في

لإدارة بلدية تستجيب في صلوحيها و

أساسية لحياة مجتمعية ومدنية متطورة

والتحليل، في المكان المناسب من

ومن أهم ما يمكن أن نسجله

المجلس البلدي، لم تقع إلا في حدود

ضبطنا في الجدول الموالي أسماء رؤساء

بالعمل البلدي، وهو عمل تمتت أسس

بأريانة في أول جويلية 1908 بأمر من محمد الناصر باي (1855 - 1922).

وبإعلان النشر والتنفيذ للوزير المفوض، المقيم العام الفرنسي قيرال ألابيت، Alapetite Gabriel

(1907 - 1918).

Municipalités

البلديات:

- 1 - تونس 30 أوت 1858
- 2 - حلق الوادي 10 جوان 1884
- 3 - الكاف 8 جويلية 1884
- 4 - بنزرت 16 جويلية 1884
- 5 - صفاقس 16 جويلية 1884
- 6 - سوسة 16 جويلية 1884
- 7 - المهدية 4 نوفمبر 1884
- 8 - القيروان 20 فيفري 1895
- 9 - باجة 22 ديسمبر 1895
- 10 - سوق الاربعاء 7 جوان 1898
- 11 - قابس 11 أفريل 1905

Commissions municipales

لجان البلديات:

- 1 - المنستير 24 جانفي 1887
- 2 - نابل 30 جويلية 1887
- 3 - جربة 13 سبتمبر 1887
- 4 - حمام الأنف 9 مارس 1899
- 5 - رادس 9 مارس 1899
- 6 - قفصة 8 جويلية 1903
- 7 - طبرقة 19 مارس 1904
- 8 - ماطر 10 مارس 1905
- 9 - فريفييل (منزل بورقيبة) 11 مارس 1905
- 10 - تبرزق 2 جويلية 1905
- 11 - مجاز الباب 20 ديسمبر 1905

Commissions de Voirie

لجان الطرقات:

- 1 - توزر 23 جويلية 1888
- 2 - زغوان 18 مارس 1891
- 3 - عين دراهم 27 جوان 1892
- 4 - طبرقة 27 جوان 1892
- 5 - سيدي بوزيد 5 فيفري 1893
- 6 - جرجيس 24 ديسمبر 1893
- 7 - نالة 5 فيفري 1904
- 8 - سوق الخميس 25 جويلية 1905
- 9 - غر الدماء 20 نوفمبر 1905
- 10 - بن قردان 13 ديسمبر 1906
- 11 - أريانة 1 جويلية 1908
- 12 - متلوي 11 نوفمبر 1908

أريانة بين الحاضر والزمن الآتي.

إن سنة 1956، وهي سنة تخلص البلاد التونسية من ربقة الحماية الفرنسية، تعتبر العتبة الفاصلة بين مرحلة النشأة والتأسيس لبلدية أريانة، ومرحلة الانبعاث الجديدة. وفي هذه المرحلة بالذات بدأت تتأكد مسؤولية المتساكنين، أولا في إعانة المجلس البلدي أثناء القيام بما له من أدوار هامة تتمثل في تنظيم الشؤون الاقتصادية والحياة الاجتماعية في كامل المساحة البلدية وثانيا في حسن اختيار المستشارين البلديين للاضطلاع بالوظيفة التي سخرها لها مجهودات كبيرة كالإشراف على إنجاز المشاريع العمرانية لتركيز البنية الأساسية للمدينة انطلاقا من هيكلها القديم ثم تحديد مخططات لأحياء سكنية جديدة. فكان من نتائجها اتساع المساحة البلدية في تواصل مطرد جعل مدينة أريانة تحتل مكانة متميزة من حيث الكثافة السكانية ومن حيث نسبة السرعة في التطور والتهيئة العمرانية.

وهذا النمو العمراني الكبير في حجمه والسرعة في تطوره استلزم هيكلة ملائمة في نوعها وتنظيمها لإدارة بلدية تستجيب في صلوحياتها وخدماتها لمناطق سكنية مترامية الأطراف، كلها جديدة متفرقة لبنية أساسية لحياة مجتمعية ومدنية متطورة في مثل هذا النسق السريع. وسنأتي على هذه الجوانب بالدرس والتحليل، في المكان المناسب من الفصول الآتية في هذا التاليف.

ومن أهم ما يمكن أن نسجله هنا أن ممارسة العمل الانتخابي للمتساكنين، في مباشرة اختيار أعضاء المجلس البلدي، لم تقع إلا في حدود سنة 1957 أي بعد الاستقلال بسنة واحدة. وعلى سبيل الحصر ضبطنا في الجدول الموالي أسماء رؤساء بلدية أريانة وحددنا المدة النيابية التي اطلعوا فيها بمسؤولية القيام بالعمل البلدي، وهو عمل تمتنت أسسه شيئا فشيئا مع الأيام، وهو كذلك متواصل في إتقانه وجدواه.

المدة النيابية

الاسم واللقب

1957 - 1966 (ثلاثة دورات)

مصطفى الحجيج



1966 - 1967

1967 - 1969

عبد الرحمان الخبثاني

1985 - 1986

1972 - 1975

1990 - 1995

محمود المستيري



1975 - 1980

المنصف درغوث

1969 - 1972



محمد مزالي



1986 - 1990

عبد الرؤوف سعيد

1980 - 1985



عيسى البكوش



ومن الملاحظ أن رئاسة البلدية قبل
للاشراف على كامل إقليم تونس
والمرسى وقرطاج وابن عروس ومقرين
الكثافة السكانية).

وتفوض الأعمال البلدية إلى
نيكولا كوفوبولو (وهو المالك لسانية
آخر من أشرف على الاحواز القايد
وانطلاقا من سنة 1956 -

من سنة 1956 إلى 1957 السيد
وبمجرد صدور القانون الانتخابي

المنتخب في 5 ماي 1957، وقع
محمد الشعار وعبد الرحمان الخبثاني
والشاذلي الغرياني والبشير الغربي
تواريخ تنصيب المجالس البلدية

18 ماي 1957

18 ماي 1960

21 ماي 1963

18 ماي 1966

10 ماي 1969

18 ماي 1972

2005 - 2000

1995 - 2000 صلاح البلطسي

علي خلبوس



ومن الملاحظ أن رئاسة البلدية قبل الاستقلال كانت موكولة إلى قائد الاحواز الذي يعينه الباي مسؤولا للإشراف على كامل إقليم تونس الكبرى عدا الحاضرة تونس وضمّ حمام الانف وأريانة وباردو ومنوبة والمرسى وقرطاج وابن عروس ومقرين وسان جرمان اليوم (الزهاء) وسيدي بوسعيد. (مرتبة حسب الكثافة السكانية).

وتفوّض الأعمال البلدية إلى مساعد الرئيس. وكان آخر من تولّى هذا المنصب في بلدية أريانة نيكولا كوفوبولو (وهو المالك لسانية القريقي المشتملة على بئر بلحسن وقد أهدى هذه البئر للبلدية). وكان آخر من أشرف على الاحواز القايد خير الدين عزّوز بين سنتي 1949 و 1953 وانطلاقا من سنة 1956 - سنة الاستقلال - تولّى رئاسة المجلس البلدي، لفترة النيابة الخصوصية من سنة 1956 إلى 1957 السيّد مصطفى الحجّيج.

وبمجرّد صدور القانون الانتخابي جرت بأريانة الانتخابات الأولى لاختيار المجلس البلدي الجديد المنتخب في 5 ماي 1957 ووقع تنصيبه في 17 ماي 1957 برئاسة السيّد مصطفى الحجّيج وعضوية: محمّد الشّعار وعبد الرّحمان الخبثاني وجورج صرقاتي ومحمّد النّمري ومحمّد القريّتلي ومحمّد شبيب والشاذلي الغرياني والبشير الغربي وبنجمان بورجال.

تواريخ تنصيب المجالس البلدية من استقلال تونس إلى اليوم إثر صدور القانون الانتخابي

- 18 ماي 1957 تنصيب المجلس البلدي الأول لبلدية أريانة
- 18 ماي 1960 تنصيب المجلس البلدي الثاني لبلدية أريانة
- 21 ماي 1963 تنصيب المجلس البلدي الثالث لبلدية أريانة
- 18 ماي 1966 تنصيب المجلس البلدي الرابع لبلدية أريانة
- 10 ماي 1969 تنصيب المجلس البلدي الخامس لبلدية أريانة
- 18 ماي 1972 تنصيب المجلس البلدي السادس لبلدية أريانة

(ثلاثة دورات)

1967 - 1969

1972 - 1975



1975 - 1980



1986 - 1990



- 27 ماي 1975 تنصيب المجلس البلدي السابع لبلدية أريانة
07 جوان 1980 تنصيب المجلس البلدي الثامن لبلدية أريانة
05 جوان 1985 تنصيب المجلس البلدي التاسع لبلدية أريانة
05 ديسمبر 1986 جلسة استثنائية لتسديد شغور منصب الرئيس
30 ماي 1990 تنصيب المجلس البلدي العاشر لبلدية أريانة
30 ماي 1995 تنصيب المجلس البلدي الحادي عشر لبلدية أريانة
06 جوان 2000 تنصيب المجلس البلدي الثالث عشر لبلدية أريانة

أريانة المدينة الواعدة

تفتحت «مدينة الورود» على حاضر جديد واعد في العقد الأول من هذا القرن. فأصلها المتجذرة أعطتها انطلاقة عمرانية بدت مظاهرها في نشأة أحياء جديدة أخذت تتسع يوما بعد يوم وتكتسح الحقول والبساتين على حساب الأراضي الفلاحية التي تقلص إنتاجها بصفة ملحوظة. وكان لا بد لهذا التطور العمراني السريع من مستلزمات اقتصادية واجتماعية تستجيب للحياة العصرية وما تقتضيه من الخدمات. وأهم هيككل تأكدت جدواه مع الأيام يتمثل في المؤسسة البلدية التي تسهر على تنظيم الحياة في المدينة بمختلف متطلباتها والاستجابة إلى حاجيات المتساكنين في مختلف مشاغلهم اليومية. فتأسست في أول جويلية

ووقع التنصيب على أعضاء المجلس
- مصطفى الدنقزلي (1865 - 1926)
جرت به الترتيب الإدارية قبل استقالة
- الأعضاء:

- 1- دلسول Delsol
 - 2- بريون Barrion
 - 3- بوتاي Bouteille
 - 4- كركسي Carcassé
 - 5- فلنزي (ريمون) (Raymond) ensi
 - 6- سالم اللّمسي، شيخ أريانة
 - 7- منجي بكوش
 - 8- بليش (سمويل)
 - 9- الطيب بن عياد
- وأكد أمر الباي في فصله الأول أن هذا
قائد الأحواز، من خمسة أعضاء أوروپيين



الفصل الثالث
وزيرا لاير ملكنا جلاله العدل بما تضمنه أمرنا هذا
وكتب في ٢ جيلادي الثانية سنة ١٢٢١ و ١ جويلية سنة ١٩٠٨
نسخة أمر علي نصه بعد فائتحة
من بيد الله سبحانه الترتيب عليه المرفوع جميع الأمور التي
تتعلق بمصالح الناصر بأمرنا بالي صاحب الملكة الترتيبية - دد الله
تملى أماله وبقده أماله الى من يقع على أمرنا هذا من الخاصة
والعامة أما بعد فانه بعد الملاحا على الامر العالي المرفوع في مرة
أبريل عام ١٨٩٨ الصادر في تشكيل المجلس البلدية - دد الله
المرفوع يوم التاريخ الصادر في جعل لجنة طرقات بأمرنا وعلى
ماوراه وزيرنا لاير أصدرنا أمرنا هذا بما يأتي
الفصل الأول
سينا المرفوع وأدنا مصطفى الدنقزلي مامل الأحواز رئيسا
للمجلس المذكورة
والسيو دلسول والسيو بريون والسيو بوتاي والسيو كركسي
والسيو بليش وريون دد الله - دد الله غير أريانة - والسيو
الكوش والسيو شعوبل والطيب بن عياد أعضاء



محمد الناصر باي

سنة 1908 (الثاني من جمادى الثانية 1326) بلدية أريانة بمقتضى أمر محمد الناصر باي (1855 - 1922)،
وبإعلان النشر والتنفيذ للوزير المفوض، المقيم العام لفرنسا بتونس قابريال ألابيتيت (Gabriel
(Alapetite) (1854 - 1932) (انظر في وثيقة الرائد الرسمي النص الكامل لهذا الأمر)



مصطفى الدنقزلي

ووقع التتصيص على أعضاء المجلس البلدي الأول لمدينة أريانة وهم المعينون بمقتضى هذا الأمر السادة:
- مصطفى الدنقزلي (1865 - 1926)، وهو قائد الأحواز بصفته رئيسا لكل بلديات أحواز العاصمة كما
جرت به التراتيب الإدارية قبل استقلال تونس.

- الأعضاء:

1- دلسول Delsol

2- بريون Barrion

3- بوتاي Bouteille

4- كركسي Carcassé

5- فلنزي (ريمون) Valensi (Raymond)

6- سالم اللّمسّي، شيخ أريانة

7- منجي بكوش

8- بليش (سمويل)

9- الطيب بن عياد

وأكد أمر الباي في فصله الأول أنّ هذا المجلس البلدي الأول لمدينة أريانة يتركّب عدا الرئيس الذي هو عادة
قائد الأحواز، من خمسة أعضاء أوروبيين وأربعة أعضاء تونسيين.

السابع لبلدية أريانة
الثامن لبلدية أريانة
الثالث لبلدية أريانة
نحو منصب الرئيس
العاشر لبلدية أريانة
الحادي عشر لبلدية أريانة
الثاني عشر لبلدية أريانة

أول من هذا القرن. فأصلاتها المتجذرة
تتسع يوما بعد يوم وتكتسح الحقول
سعة ملحوظة. وكان لا بدّ لهذا التطور
العصري وما تقتضيه من الخدمات.
تسيّر على تنظيم الحياة في المدينة
عالم اليوم. فتأسست في أول جويلية



الفصل الثالث

وزيّننا لا نكر مكلفنا جلاله المملوك باختياره أمرنا هذا
وكتب في 1 جمادى الثانية سنة 1326 وفي 1 جويلية سنة 1908
نسخة المراسلة نصها بعد فالتحت
من بين الله سبحانه الترتيب عليه الأرض جميع الأمور اليه
بنته محمد الشير وانا باي صاحب الملكة التوسية - ذلك
على اصداله وبقدره آتاه الى من يلف على امرنا هذا من الخامة
بالقائمة اما بعد فانه بعد الملاحا على الامر المملوك في عزة
المريل عام 1888 الصادر في تشكيل المجلس البلدية ومن قام
المرم يوم التاريخ الصادر في جعل لجنة طرقات باروانة وعلى
شخصه وزينا لا كبر لصدورنا امرنا هذا بما يلي

الفصل الاول

سيّدنا الرئيس ولدنا مصطفى الدنقزلي حامل لأحواز رئيسا
للجنة المذكورة
والسيد دلسول والسيّد بريون والسيّد بوتاي والسيّد كركسي
والسيّد فلنزي والسيّد ريمون ومن سالم اللّمسّي شيخ أريانة. والسيّد
التيكوش والسيّد سمويل والطيب بن عياد اعضاء

أريانة منتزه مدينة تونس

قامت أريانة ببساتينها الغناء بوظيفة المنتزه لسكان مدينة تونس على امتداد القرن التاسع عشر. وواصلت هذه الوظيفة إلى حدود الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 وكان المتفسّحون في أرجاء هذه الحقول الخضراء وبين بساتين الورد اليهود بصفة خاصة من حيّ الحارة المعروفة اليوم بالحفصية في المدينة العتيقة من العاصمة تونس، يتردّدون على أريانة أيام السّبت وفي اليومين الأخيرين من عيد الفصح، وقيمون فيها كرنفالا متميّا في عيد «بورم»، ويتدرد المتفّسّحون على بساتين الورد وعلى بعض المطاعم التي تخصصت في الدّجاج المشويّ والاستسقاء من بئر بلحسن، ثمّ تكون العودة إلى تونس بعد هذه النّزهة الرّائعة.

وتواصلت هذه العادات للنّزهة وتناول هذه الأكلات المخصوصة إلى عهد غير بعيد. ثمّ اضطلعت أريانة بوظيفة أخرى جديدة وهي أن أصبحت مركزا استشفائيا. ويعود ذلك إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وذاع صيت أريانة منذ الحين بما يجده فيها العليلون ومن توعّكت صحتهم من شفاء عاجل بسبب هوائها النقيّ في حقول الزّيتون الشّاسعة وشرب ماء بئر بلحسن الذي يتداوى به من أمراض الكلى. وشاع في الناس شرقا وغربا ذلك المثل السّائر: «لو كان أريانة فيها بحر ما يمشي أحد للقبر».

والقول يشير إلى أنّ هذه البلدة تتوفّر على بيئة سليمة الهواء ونقيّة إلى حدّ أنّه لا ينقصها إلا البحر لتصبح في منتهى الكمال إلى جانب ما توفّر لها من كمال الجمال. ولقد حازت الكمال في كلّ شيء.

وزادتها شهرة أن أصبح الأطباء يرسلون إليها من المرضى من أصيبوا بالأمراض الصّدرية وليس من باب الصدفة أن ينشئ فيها يهود تونس العاصمة مارستان للأمراض العقلية، وأضيفت إليه سنة 1938 دار العجّز. ثمّ أسّست فيه كتابة الدّولة للصّحة العموميّة والشؤون الاجتماعيّة سنة 1956 مستشفى للأمراض الصّدرية، خاصّا بالأطفال. وكان ذلك على مرتفعات الجهة الشّماليّة الغربيّة من مدينة أريانة. ويمثّل المستشفون مع عائلاتهم قرابة خمسمائة، قبيل الحرب العالميّة الثانية، يضافون إلى السّكان الأصليين للمدينة. ويمكن القول إنّ أريانة مثّلت مركزا استشفائيا هاماّ لسكان تونس خاصّة من اليهود. وقد نفّس فيهم مرض ذات الصّدر إثر الحرب العالميّة الثانية وذلك قبل استحداث العلاج بالأدوية الحديثة والمضادّات للجراثيم.

ودون أن تفقد أريانة وظيفتها كمنتزه وكمركز استشفائي وهي التي بدأت تتقلّص شيئا فشيئا، فإنّها استبدلت ذلك بوظيفة جديدة وهي أن أصبحت ضاحية سكنيّة تتّسع يوما بعد يوم لتحتملن لا الموسرين من سكّان العاصمة ثمّ بنوا القصور والدّور الفخمة فيها فحسب إنّما أنضاف إليهم أعداد أصبحت تتكاثر مع الزّمان لتجعل من أريانة، بانتهاء الحرب بدءا من سنة 1945 ضاحية مترامية الأطراف قصدها للاستقرار فيها عائلات كثيرة من الموظّفين الأوروبيين والأسر التّونسيّة التي ما كان لها لتغادر العاصمة لولا ضيق المساكن فيها وغلاء الكراء وتداعي المنازل في أكثرها للسّقوط إثر الحرب.

ويعتقضى هذه الهجرة العامرة لتتطلّع إلى مستقبل جديد أيضا، وتشكّل مجموعة سكنيّة متنوّعة الأفاق من حادّات تتصدّر لمسؤوليات جديدة وثقيلة الواجب المتساكنين في هذه المدينة التي تبدو الاختصاصات لتلبية حاجيات المواطنين وتشهد سنوات ما قبل الاستقلال (1956) يجد فيها كل المتساكنين على مختلف

وتواصل نفس الارتقاء لمدينة أريانة هذا التّاريخ ميلاد أحياء جديدة تريد أن نقول أنّ هذه المساحة قد بلغت منتهى ومن المعلوم أنّ مدينة أريانة قد تزوّدت المدينة بالنّور الكهربائي منذ 1920 ووصلها أنبوب الماء سنة 1920 بمجرّد للماء في أعلى رابية تطلّ على المدينة السّكان. وبمجرّد انتهاء سدّ وادي النيل بعض السّكان التزوّد من بئر بلحسن عائلة «كوفوبولو» Covoupoulo نائبا لرئيس البلديّة المساعد السيد البلديّة كما جرت عادة الحكومة التّونسيّة أكبر للباي فيما بعد.

وتسديدا لحاجيات سكّان مدينة أريانة 1934 وقبل نشأته كان الذّبح يقع في بصفة عرضيّة للغرض.

وفي سنة 1936 أصبح لمدينة أريانة سنة ستين وتسعمائة وألف، لم يصلها وفي سنة 1910 أصبح لمدينة أريانة وقد كان السّكان يتنقلون بعربات ضخمة 1960 عوّضته الحافلات التي تنقل السّكان

تونس على امتداد القرن التاسع عشر. 1918 وكان المتفصحون في أرجاء حي الحارة المعروفة اليوم بالحفصية في تونس وفي اليومين الأخيرين من عيد تونسين على بسايتين الورد وعلى بعض لحسن، ثم تكون العودة إلى تونس بعد

عودة إلى عهد غير بعيد. ثم اضطلعت لعودة ذلك إلى أواخر القرن التاسع عشر مليون ومن توعكت صحتهم من شفاء بلحسن الذي يتداوى به من أمراض

فيها بحر ما يمشي أحد للقبر. وتبقى إلى حد أنه لا ينقصها إلا البحر ولقد حازت الكمال في كل شيء.

من أصيبوا بالأمراض الصدرية وليس بالأمراض العقلية، وأضيفت إليه سنة 1956 والشؤون الاجتماعية سنة 1956 من تفتتات الجهة الشمالية الغربية من الحرب العالمية الثانية، يضافون إلى تشخيصا هاما لسكان تونس خاصة من جعلت قبل استحداث العلاج بالأدوية

في التي بدأت تتقلص شيئا فشيئا، كجبة تسع يوما بعد يوم لتحضن لا فحسب إنما أنصاف إليهم أعداد سنة 1945 ضاحية مترامية الأطراف من التونسية التي ما كان لها لتغادر كبرها للسقوط إثر الحرب.

وبمقتضى هذه الهجرة العارمة لسكان العاصمة إلى الضاحية القديمة الجديدة أصبحت مدينة أريانة تتطلع إلى مستقبل جديد أيضا، وتشكل ضمنه وظائف اجتماعية جديدة لهذه المدينة الناهضة لتحتوي مجموعة سكنية متنوعة الآفاق من جهة، ومتعددة الحاجيات من جهة أخرى. وأصبحت مدينة أريانة تتصدّر لمسؤوليات جديدة وثقيلة الوطأة؛ فكان لا بدّ من إرساء إدارة مركزية تشرف على تنظيم حياة المتساكنين في هذه المدينة التي تبدو وكأنها قد بعثت من جديد، وكان لا بدّ من بعث أسواق متنوعة الاختصاصات لتلبية حاجيات المواطنين ومن إقامة مصالح إدارية ومؤسسات تربوية وصحية واجتماعية. وتشهد سنوات ما قبل الاستقلال (1956) انبعاث مدينة اكتملت فيها كل المرافق لحياة عصرية منظمّة يجد فيها كل المتساكنين على مختلف أعمارهم جميع ما يساعدهم على الارتقاء والعيش الكريم.

وتواصل نفس الارتقاء لمدينة أريانة منذ ذلك التاريخ ولا نخاله قد تمّ إلى اليوم إذ نرى إلى حدود هذا التاريخ ميلاد أحياء جديدة تزيد في اتساع رقعة المساحة البلدية وقد بلغت 118.000 هكتارا ولا يمكن أن نقول أن هذه المساحة قد بلغت منتهاها.

ومن المعلوم أن مدينة أريانة قد تهيأت إلى هذه الوظيفة السكانية الجديدة منذ بداية القرن فقد تزوّدت المدينة بالنور الكهربائي منذ 1912 عن طريق الخطوط الواصلة إليها من المولّد بحلق الوادي. ووصلها أنبوب الماء سنة 1920 بمجرد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وقد بني للغرض خزان للماء في أعلى رابية تطلّ على المدينة، وتتزوّد في بادئ الأمر من ماء زغوان الذي لم يعد يغطّي حاجيات السكان. وبمجرّد انتهاء سدّ وادي الليل استكملت المدينة مستلزماتها من الماء بقناة جديدة وإن واصل بعض السكان التزوّد من بئر بلحسن التي أصبحت من ممتلكات البلدية بعد أن أهداها صاحبها من عائلة «كوفوبولو» Covoupoulo اليونانية الأصل والفرنسية الجنسية، وكان واحد من هذه العائلة نائبا لرئيس البلدية المساعد السيد «موتان» Moutton (من سنة 1935 إلى سنة 1938)، وكان رئيس البلدية كما جرت عادة الحكومة التونسية آنذاك، قائد الاحواز السيّد الحبيب الجلولي الذي أصبح وزيرا أكبر للباي فيما بعد.

وتسديدا لحاجيات سكان مدينة أريانة من اللحوم بني المسلخ البلدي في جهتها الشرقية سنة 1934 وقبل نشأته كان الذبح يقع في أرض مهملة بمكان يدعى برج الدّونوي أوفي محلات خاصة هيئت بصفة عرضية للغرض.

وفي سنة 1936 أصبح لمدينة أريانة قنوات لتسريب الفضلات والمياه المستعملة. ولكن إلى حدود سنة ستين وتسعمائة وألف، لم يصلها الغاز من معمل فرنس فيل بالعمران.

وفي سنة 1910 أصبح لمدينة أريانة خطّ الترامواي (Tramways) يصلها بمدينة تونس العاصمة، وقد كان السكان ينتقلون بعربات ضخمة تجرّها خيول (Omnibus à chevaux) وبدءا من شهر فيفري 1960 عوضته الحافلات التي تنقل السكان ذهابا وإيابا بين تونس وأريانة وزال خطّ الترامواي.

وكان لا بدّ من إيجاد مرافق لتزويد السكّان الذين أصبحوا يتزايدون مع الأيام، بكلّ ما يحتاجون إليه من الخضّر والغلال، فأسست مصالح بلدية أريانة السّوق المركزيّة سنة 1945 وسط ساحة متّسعة من المدينة العتيقة. ومن الملاحظ أنّ السكّان الأصليين لمدينة أريانة لم يكونوا في حاجة إلى هذه السّوق لولا قدوم هذه الأسر الكثيرة التي عمّرت أريانة ووسّعت في طاقتها العمرانيّة، ذلك لأن هؤلاء السكّان الأصليين كانوا في جلّهم من ملاك البساتين التي كانت تزوّد العاصمة بشتّى أنواع البقول والثمار والحبوب، وإنتاجهم الفلاحي مرغوب فيه لجودته المتميّزة ونكهته المعروفة لدى سكّان العاصمة، ويكفي أن نذكر بطيخ جعفر الذي طبّقت شهرته البلاد.

تحول نوعي في العمل البلدي بأريانة

وجّه سياحة رئيس الجمهورية زين العابدين بن عليّ عنايته بالعمل البلدي وركّز في العديد من المناسبات على دعوة المسؤولين، في جميع مستويات الدّولة، لإيلاء وظيفة البلديّة كل ما تستحقّه من تنظيم وتطوير، إذ بها يضمن المتساكنون حياة أفضل ويتحقّق الرقيّ المطّرد في الميادين الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة للمجتمع في كامل أنحاء البلاد التّونسيّة. ونقتطف فقرة تبرز هذه النّظرة التّقدّميّة التي توضّح مسار برنامج السياسة الإنمائيّة الحكيمّة التي ارتأها سيادته في العمل البلدي ووضّح نتائجها المخطّطة في صلب النّماء الشّامل للبلاد. وقد وردت كلمته في الخطاب الذي اختتم به ندوة الولاية في يوم السّبت 14 ديسمبر 1996:

«إنّ العمل البلدي من أسس التّقدّم بمقومات حياة المواطنين ومشاركتهم في رسم معالمها وتجهيز الديمقراطية المحليّة. وقد حقّق هذا القطاع تحوّلاً نوعيّاً عميقاً بفضل الإجراءات والمبادرات المتتالية التي شملناها بها، فتمّ التّخفيف من الإشراف المباشر على البلديات وتطوير طرق التّصرّف بها وتعصير وسائل عملها. كما مكّناها من تنمية مواردها البشريّة بالتّكوين والرّسكلة ودعم إمكانيّاتها الماليّة بما يخدم الأهداف ويحقّق المرونة والعدالة والموضوعيّة».

إنّ العمل البلدي في مدينة أريانة انصهر في هذه السياسة الإنمائيّة الشّاملة، وشهدت المساحة البلديّة على امتدادها تطوّراً كبيراً في جميع المجالات، وهذا لا يخفى على كلّ من تجوّل في أرجائها. واعتمد هذا العمل البلدي أساساً على الإعلام وتبادل الخبرات وتكاثف الجهودات قصد النّجاعة في تحقيق الأهداف المرصودة. والقاعدة المثلى للنّجاعة التي تحقّقت مرحلياً في بلدية أريانة ارتكزت على تكثيف اتّصالات أعضاء المجلس البلدي بالمواطنين في زيارات ميدانيّة وإطلاعهم على مخطّطات البلديّة ومشاريعها، واتّسمت هذه الاتّصالات بروح الانسجام والتّعاون. واستدعى إنجاز المشاريع البلديّة - في هذه الفترة النيابيّة - ضبطاً دقيقاً للأولويّات في تلبية الحاجيات التي يتطلّع إليها المواطن.

وأشرف أعضاء مجلس بلدية أريانة على تأطير النّقلة النوعيّة في ظروف عيش المواطن بدءاً من ترقية محيطه وتعصير الخدمات المقدّمة إليه المتمثلة في:

- تعبّد الطّرقات وترصيفها
- تحسين مداخل مدينة أريانة ومواضع
- إحداث المناطق الخضراء
- تركيز شبكات التّطهير
- توسيع التّثوير العمومي
- مدّ قنوات الماء الصّالح للشرب
- إحداث المرافق الشبابيّة (من رياضيّة)
- إنجاز المشاريع الاقتصاديّة وتنظيم
- المبيعات.

وتبقى قاعدة العمل لدى كلٍّ ومحوره. وتبقى النّظرة السائدة عند الحاجيات التي يتطلّع إليها المواطن في ولكنّ المواطن في هذا المضمار وجوه المشاركة الانضمام إلى حملات وشهدت المساحة البلديّة بأريانة (2000 - 2005) تمثل خاصّة في وأريانة العليا. وتطلب ذلك إرساء من تعبّد الطّرقات والتّثوير والنّظرة تصنيفها استلزم الأمر تعصير المبادرات حيث تنظيم الإدارة وتركيز المصالح وكذلك بدافع إدخال الطّرق الملائمة ضمان الجدوى والإتقان. ونذكر على زيادة في إحكام الجدوى في العمرانيّة درء المشاكل المملكيّة العقاريّة القانونيّة وحسماً من جانب آخر للبناء في المشاريع الإنمائيّة للبلديّة. وأصبح تعقيد ظهرت بوادره في النّظام البلدي وشاركت بلدية أريانة مشاركة وتهذيب الأحياء وتطهيرها وخاصّة الشّوارع

ويتزايدون مع الأيام، بكل ما يحتاجون
تربية سنة 1945 وسط ساحة متسعة من
يكونوا في حاجة إلى هذه السوق لولا
العمرائية، ذلك لأن هؤلاء السكّان
العاصمة بشتى أنواع البقول والثمار
عروقة لدى سكّان العاصمة، ويكفي أن

عنايته بالعمل البلدي وركّز في العديد
إلى وظيفة البلدية كل ما تستحقّه من
الترقي المطرد في الميادين الاجتماعية
فتطف فقرة تبرز هذه النظرة التقدّمية
يادته في العمل البلدي ووضّح نتائجها
الذي اختتم به ندوة الولاية في يوم

ومشاركتهم في رسم معالمها وتجسيم
الإجراءات والمبادرات المتتالية التي
طوّر طرق التصرّف بها وتعصير وسائل
مكانياتها المالية بما يخدم الأهداف

الشملة، وشهدت المساحة البلدية
كلّ من تحوّل في أرجائها. واعتمد هذا
قصد النجاعة في تحقيق الأهداف
التي ارتكزت على تكثيف اتصالات
محطّات البلدية ومشاريعها، واتّسمت
البلدية - في هذه الفترة النيابية - ضبطا

في ظروف عيش المواطن بدءا من ترقية

- تعبيد الطّرقات وترصيفها

- تحسين مداخل مدينة أريانة ومواصلة تجميلها

- إحداث المناطق الخضراء

- تركيز شبكات التّطهير

- توسيع التّنوير العمومي

- مدّ قنوات الماء الصّالح للشرب

- إحداث المرافق الشبابية (من رياضية وثقافية)

- إنجاز المشاريع الاقتصادية وتنظيم الأسواق القديمة وفتح أسواق جديدة تلبية للطلبات المتزايدة وتخصّص
المبيعات.

وتبقى قاعدة العمل لدى كلّ أعضاء المجلس البلدي خدمة المواطن التي هي أساس نشاطهم
ومحوره. وتبقى النظرة السائدة عند المسؤول البلدي في أخلاقيّاته وفي سلوكه هي تحقيق الأولويات وتلبية
الحاجيات التي يتطلع إليها المواطن في تفان بغير حدود ويتطوّر لا يعرف التّوقف.

ولكنّ المواطن في هذا المضمار مدعوّ من جهته إلى المبادرة بالمشاركة مباشرة في العمل الميداني. ومن
وجوه المشاركة الانضمام إلى حملات التّنظيف والعناية بالبيئة بدءا من مسكنه وحيّه.

وشهدت المساحة البلدية بأريانة تطوّرا عمرانيا لم يسبق له نظير منذ بداية المدّة النيابية الحالية
(2000 - 2005) تمثل خاصّة في امتداد أحياء جديدة ونذكر على سبيل المثال أحياء النّصر والأندلس
وأريانة العليا. وتطلب ذلك إرساء التّجهيزات الأساسية للمدينة المتمثلة في الحاجيات العمرانية الضّرورية
من تعبيد الطّرقات والتّنوير والنّظافة والتّطهير... ولتحقيق هذه الإنجازات الكثيرة في آن والمتنوعة في
تصنيفها استلزم الأمر تعصير المعدّات البلدية الخاصّة بكلّ قطاع، وكذلك إدخال الهيكلة اللاّزمة من
حيث تنظيم الإدارة وتركيز المصالح. وذلك قصد «تطوير طرق التصرّف وتعصير وسائل العمل» من جهة،
وكذلك بدافع إدخال الطّرق الملائمة للعمل العصري مستهدفين في ذلك الجدوى والسّرعة في الإنجاز مع
ضمان الجدوى والإتقان. ونذكر على سبيل المثال إدخال الاعلاميّة في أجهزة الإدارة.

وزيادة في إحكام الجدوى في التّحكم في المدّ العمراني وقع الحرص على إعداد مثال التّهيئة
العمرانية درءا لمشاكل الملكية العقارية وما ينتج عنها من تأخّر في تسليم رخص البناء لطالبيها في المواعيد
القانونيّة وحسما من جانب آخر للبناء دون مخطّطات بلدية مسبّقة مما يعقّد الحياة المنظّمة ويدخل الفوضى
في المشاريع الإنمائية للبلدية. وأصبح لأريانة قدرة مشهود بها في حسم هذه المشاكل العمرانية وتجاوز كلّ
تعقيد ظهرت بوارده في النّظام البلدي.

وشاركت بلدية أريانة مشاركة فعلية في البرامج الوطنية القطاعيّة في ميادين النّظافة والعناية بالبيئة
وتهذيب الأحياء وتطهيرها وخاصّة الشعبيّة منها. والبرامج في تواصل مطّرد ونذكر من أهمّها - وهو بصدد

الإنجاز دون توقف - برنامج تجميل المدينة.

والمجلس البلدي الحالي ثابت العزم على إقرار أسباب نجاح التوجه الجديد الذي أقرته الدولة وهو المتعلق بالانتقال من مرحلة الإصلاح للمؤسسة البلدية في نطاق الإصلاح الشامل قصد إدراك مرتبة الامتياز. وينتج عن هذا التوق الجديد إلى الأفضل الارتقاء بحياة المواطنين إلى عيش متطور وملائم لتطلعاتهم إلى نسق النمو في القرن القادم.

وارتكزت هذه النظرة الجديدة في التوجه البلدي لسلطة الإشراف على إقرار العديد من الترتيبات والإجراءات منها ما يركز على إصدار العديد من القوانين التنظيمية ومنها ما يتعلق ببعض التعديلات المتتالية لتسهيل العمل الإجرائي.

ونذكر من كل ذلك على سبيل المثال:

أ - تطوير صندوق القروض ومساعدة الجماعات المحلية،

ب - إثراء القانون الأساسي للبلديات بتنقيحات عملية أكثر التصاقا بالواقع الخصوصي للمناطق

ج - تعصير وسائل التصرف والإذن بتعميمها في جميع القطاعات، مع تكثيف العناية بالعنصر البشري وحسن تسيير الأرصدة والقدرات.

د - مراجعة التنظيمات الهيكلية بالبلدية.

هـ - إصدار تشريع جديد تمثله أحسن تمثيل مجلة الجباية المحلية ومجلة التهيئة الترابية والتعمير.

و - إقرار مخططات بلدية للاستثمار تنصهر ضمن المخطط الوطني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية

ز - بعث الجامعة الوطنية للمدن التونسية التي جمعت في عضويتها كافة بلديات الجمهورية. ومن الأعمال التي تسهر على تحقيقها:

❖ الحث على إنجاز برامج مشتركة ومتوازية لتحقيق الرقي الاجتماعي في الجهات ويندرج في البرامج الوطنية القطاعية في ميادين النظافة والعناية بالبيئة.

❖ إيجاد التكامل والتفاعل والتناغم مع سلطة الإشراف على جميع مستوياتها وطنيا وجهويا.

❖ الدعوة إلى مزيد البذل والتفاني من جميع البلديات لتكريس الخيارات الوطنية فيما يخص المحافظة على المكاسب المنجزة والمزيد من خطوات النجاح.

ومن مكاسب عهد التغيير التي مكنت بلدية أريانة من التوق إلى آفاق جديدة في مستوى طريقة العمل وضبط مخططات الإنجاز يمكن أن نذكر:

❖ إقرار مخطط الانتداب وتنفيذه بحسب حاجياتها العملية التي تستوجبها التدخلات الأنية القارة أو الأعمال الظرفية للمشاريع الكبرى في كل ما تستلزمه من الإطارات والأعوان سواء في السلك الإداري أو في المراكز الفنية.

❖ إيجاد مرونة التصرف بين البلدية وسلطة الإشراف فيما يتعلق بالانتداب لجميع أصناف البلديين، فحول

القانون الجديد المنقح للقانون الأساسي

❖ عزم بلدية أريانة على إدخال الإعمار المدنية والتصرف في الأجور والتصرف المحلية.

❖ تطوير العمل المستقبلي للبلدية

المصاريف بإحداث الحاسبة التحليلية

❖ اعتماد بلدية أريانة خوصصة خدمات

جديدة في الخدمات البلدية بدأت

واستقصاء منافعها للمساكنين بالتشاور

❖ تدخل المجلس البلدي في مراجعة

تسييرها مع إسنادها مشمولات جديدة

تم اتخاذ العديد من الإجراءات من

المواطنون وذلك قصد اختصار الأجل

عندها التسعين على الدخول في مش

العمل تتضح في تهيئة مداخل المدينة

والسرّعة. ووقّرت هذه الإنجازات سهر

حركة المرور بمدخل المدينة من جهات

ساعات النهار.

انطلاقة جديدة للحياة البلدية بأريانة

عملا بمنشور السيد وزير الدولة

الهيكلية النموذجي للإدارة البلدية، و

حجم العمل ومتطلباته سعى المجلس

العادية الرابعة لسنة 1995 المنعقدة يوم

أريانة بمصادقة وزارة المالية بتاريخ 16

الهيكل البلدي متطور يستجيب لنظرة

ويتضمن الأبواب التالية:

1 - الكتابة العامة وتشمل:

❖ مصلحة التنظيم والإعلامية والأساسية

التوجه الجديد الذي أقرته الدولة وهو الإصلاح الشامل قصد إدراك مرتبة المواطنين إلى عيش متطور وملائم

شرف على إقرار العديد من الترتيبات ومنها ما يتعلق ببعض التعديلات

الواقع الخصوصي للمناطق

مع تكثيف العناية بالعنصر البشري

التهيئة الترابية والتعمير.

للمساهمة الاقتصادية والاجتماعية

للمؤسسات الحكومية. ومن الأعمال

التي في الجهات ويندرج في البرامج

مستوياتها وطنياً وجوياً.

الوطنية فيما يخص المحافظة على

في اتفاق جديدة في مستوى طريقة

استجوبها التدخلات الآتية القارة أو

الأعوان سواء في السلك الإداري أو

على جميع أصناف البلديين، فحول

القانون الجديد المنقح للقانون الأساسي للبلديات لرئيس البلدية انتداب الأعوان إلى حدّ صنف أ.2. ❖ عزم بلدية أريانة على إدخال إعلامية تدريجياً في مجالات متعددة من الخدمات البلدية مثل الحالة المدنية والتصرف في الأجور والتصرف في الميزانية والتصرف في المخزونات وفي مكتب الضبط وفي الجباية المحلية.

❖ تطوير العمل المستقبلي للبلدية في نطاق تعصير الأساليب وطرق معالجة التصرف المالي وتدقيق المصاريف بإحداث الحاسبة التحليلية.

❖ اعتماد بلدية أريانة خصوصية خدمات التنظيم ورفع الفضلات المنزلية. وقد أدى هذا التعامل إلى نوعية جديدة في الخدمات البلدية بدأت تتأكد جدواها في التقييم الأول لها. وأعضاء المجلس يواصلون متابعتها واستقصاء منافعها للمتساكنين بالتشاور معهم وتقبل مقترحاتهم.

❖ تدخل المجلس البلدي في مراجعة مشمولات الدوائر البلدية السبع الممثلة لبلدية أريانة والنظر في طرق تسييرها مع إسنادها مشمولات جديدة تمكن من تقريب الخدمات من المواطن كتكوين قبضة مالية. كما تم اتخاذ العديد من الإجراءات من أجل التخفيف في عدد الوثائق بالنسبة إلى الخدمات التي يطلبها المواطنون وذلك قصد اختصار الأجل وتطبيق المخططات العمرانية في المواعيد المحددة إذ البلدية مقدمة في عيدها التسعين على الدخول في مشروع طموح وشامل يتعلق بتجميل المدينة. وقد ظهرت بوادر هذا العمل تتضح في تهيئة مداخل المدينة وتنظيم حركة المرور بعد بناء المحولات الجديدة للطرق المتوسطة والسريعة. ووفرت هذه الإنجازات سهولة التنقل خاصة عند توظيف الطريق السريعة الحزامية التي سهلت حركة المرور بمدخل المدينة من جهاتها الأربع وخففت هذه الطرق من ضغط المرور واحتباسه في مختلف ساعات النهار.

انطلاقة جديدة للحياة البلدية بأريانة

عملاً بمنشور السيد وزير الدولة وزير الداخلية عدد 46 المؤرخ في 26 أوت 1992 والمتعلق بالتنظيم الهيكلي النموذجي للإدارة البلدية، واستجابة للتطور الذي شهدته الجماعات العمومية المحلية من حيث حجم العمل ومتطلباته سعى المجلس البلدي الحالي إلى إقرار تنظيم هيكلي متطور ووافق عليه خلال دورته العادية الرابعة لسنة 1995 المنعقدة يوم الخميس 21 ديسمبر 1995 وحظي هذا التنظيم الهيكلي لبلدية أريانة بمصادقة وزارة المالية بتاريخ 16 مارس 1996 وبمصادقة وزارة الداخلية في 25 مارس 1996. وهذا الهيكل البلدي متطور يستجيب لنظرة مستقبلية في العمل البلدي بأريانة والمخططات التنموية الجديدة ويتضمن الأبواب التالية:

1. الكتابة العامة وتشمل:

❖ مصلحة التنظيم والإعلامية والأساليب

❖ مصلحة الرياضة

❖ مصلحة التنشيط الثقافي والمهرجانات

❖ مصلحة الشؤون الاجتماعية والدينية

6 - الإدارة العامة للمصالح الفنية

أ - إدارة الصحة والنظافة وحماية الحي

❖ الإدارة الفرعية للتنظيف وفيها:

❖ مصلحة التنظيف

❖ مصلحة تسيير المصّب

❖ الإدارة الفرعية للوقاية وحفظ الصحة وفيها:

❖ مصلحة الوقاية الصحيّة

❖ مصلحة مراقبة المواد الغذائية والمحلا

❖ مصلحة البيطرة ومراقبة الإنتاج الحيواني

❖ مصلحة مقاومة التلوث

❖ الإدارة الفرعية للبيئة والعناية بالحي

❖ مصلحة المناطق الخضراء

❖ مصلحة المنابت

❖ مصلحة العناية بالشواطئ

ب - إدارة التهيئة والبنية الأساسية

❖ الإدارة الفرعية للدراسات والتهيئة وفيها:

❖ مصلحة الدراسات المعمارية

❖ مصلحة رخص البناء والتقسيم

❖ مصلحة التهيئة العمرانية

❖ الإدارة الفرعية للتجهيزات الأساسية

❖ مصلحة تعهّد الطرقات والمرور

❖ مصلحة الأشغال الجديدة للطرق

❖ مصلحة الإنارة

❖ مصلحة الشبكات التحتيّة والتطهير

❖ مصلحة المعدّات والورشات

ج - إدارة الأشغال وتضمّ إدارتين فرعيتين

❖ مصلحة العلاقات الخارجية والإعلام

❖ مصلحة شؤون المجلس والمكتب واللجان

❖ مصلحة مكتب الضبط المركزي

❖ مراقبة التراتيب والشرطة البلدية

2 - خلية التفقّد

3 - إدارة الشؤون الإدارية والمالية والموارد:

وتشمل إدارتين فرعيتين:

أ) الإدارة الفرعية للشؤون الإدارية وفيها:

❖ مصلحة الموظّفين والعملة

❖ مصلحة التكوين والرّسكلة

❖ مصلحة السّلامة المهنية

❖ مصلحة الحالة المدنيّة والانتخابات

ب) الإدارة الفرعية للشؤون المالية وفيها:

❖ مصلحة الميزانيّة والقروض

❖ مصلحة الأداءات والاستخلاصات والموارد

❖ مصلحة المفاضة

❖ مصلحة الشراءات والصّفقات

4 - إدارة الشؤون الاقتصادية والقانونية وتضمّ:

أ - الإدارة الفرعية للشؤون الاقتصادية وتشمل:

❖ مصلحة الأملاك المختلفة

❖ مصلحة الأسواق والتنمية الاقتصادية

❖ مصلحة مستودع الحجز

ب) الإدارة الفرعية للشؤون القانونية وتشمل:

❖ مصلحة العلاقات العامة وشؤون المواطن

❖ مصلحة الدراسات والاستشارات القانونية

❖ مصلحة النزاعات والقضايا.

5 - إدارة الشؤون الاجتماعية والثقافية وتضمّ:

❖ الإدارة الفرعية للثقافة والرياضة والشؤون الاجتماعية وتشمل:

❖ مصلحة الطفولة والشباب والتربية

- ❖ مصلحة الرياضة
- ❖ مصلحة التنشيط الثقافي والمهرجانات
- ❖ مصلحة الشؤون الاجتماعية والدينية.
- 6 - الإدارة العامة للمصالح الفتية وتضم ثلاث إدارات:
 - أ - إدارة الصحة والتظافة وحماية المحيط وتشمل ثلاثة إدارات فرعية:
 - ❖ الإدارة الفرعية للتنظيف وفيها:
 - ❖ مصلحة التنظيف
 - ❖ مصلحة تسيير المصب
 - ❖ الإدارة الفرعية للوقاية وحفظ الصحة وفيها:
 - ❖ مصلحة الوقاية الصحية
 - ❖ مصلحة مراقبة المواد الغذائية والحلّات العمومية
 - ❖ مصلحة البيطرة ومراقبة الإنتاج الحيواني
 - ❖ مصلحة مقاومة التلوث
 - ❖ الإدارة الفرعية للبيئة والعناية بالمحيط وفيها:
 - ❖ مصلحة المناطق الخضراء
 - ❖ مصلحة المنابت
 - ❖ مصلحة العناية بالشواطئ
 - ب - إدارة التهيئة والبنية الأساسية وتضم إدارتين فرعيتين:
 - ❖ الإدارة الفرعية للدراسات والتهيئة وفيها:
 - ❖ مصلحة الدراسات المعمارية
 - ❖ مصلحة رخص البناء والتفاسيم وشهائد انتهاء الأشغال
 - ❖ مصلحة التهيئة العمرانية
 - ❖ الإدارة الفرعية للتجهيزات الأساسية وفيها:
 - ❖ مصلحة تعهد الطرقات والمرور
 - ❖ مصلحة الأشغال الجديدة للطرقات
 - ❖ مصلحة الإنارة
 - ❖ مصلحة الشبكات التحتية والتطهير
 - ❖ مصلحة المعدات والورشات
 - ج - إدارة الأشغال وتضم إدارتين فرعيتين:

❖ الإدارة الفرعية للبناءات وفيها:

❖ مصلحة الورشات وتعهد البناءات

❖ مصلحة الأشغال الجديدة للبناءات

❖ مصلحة التجهيزات الرياضية

❖ الإدارة الفرعية للتخطيط والمشاريع الكبرى وفيها:

❖ مصلحة التخطيط والدراسات والتنسيق

❖ مصلحة المشاريع الكبرى.

الخدمات البلدية وتقريبها من المواطن:

الدوائر البلدية

إن الهدف من إرساء هيكلية متطورة للإدارة البلدية بأريانة منذ المصادقة عليها من سلط الإشراف في 16 مارس 1996 هو إدخال دفع جديد للعمل البلدي وتنظيم الخدمات في شتى الميادين والسهر على إنجازها بامتياز والارتقاء بحياة المواطنين اجتماعيًا وثقافيًا.

وإجتهد أعضاء المجلس الحالي في تمكين المتساكنين من الخدمات التي هم في حاجة إليها وذلك بتقريبها منهم والتحكم في القيام بها في أتم الظروف عن طريق الدوائر البلدية التي وقع تعصير العمل فيها ودعم إدارتها بالاطارات اللازمة من موظفين وعملة. وكلف بالإشراف على تسييرها عضو من المجلس البلدي يرأس مجلس الدائرة الذي يشارك فيه مواطنو المنطقة للتباحث في جلسات دورية تنتظم لتدارس المخططات في ما يعود بالفائدة على الجهة.

وعدد هذه الدوائر سبعة وهي على التوالي بحسب تاريخ إنشائها:

دائرة المنازة	مناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة:	منطقة المنزه الخامس
1982/9/24	منطقة المنزه السادس
تاريخ فتحها للعموم:	منطقة المنزه السابع
1983/3/10	منطقة المنزه الثامن
عدد السكّان: 24.615	
عدد المساكن: 7258	
المساحة الترابية:	
891 هكتارا.	

دائرة رواد	لمناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة: 1982/9/24	رواد - رواد الشاطئ سيدي عمر - حي اليمامة جعفر 1 و 2 - الغزالة 2
تاريخ فتحها للعموم: 1985.8.01	النخيلات - حي الاذاعة حي ابن رشيق - حي النصر
عدد السكّان: 16.507	
عدد المساكن: 4108	
المساحة الترابية: 2597 هكتارا.	

دائرة سكرة	لمناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة: 1982/9/24	سكرة البريد - دار فضال شطرانة 1 - سيدي صالح -
تاريخ فتحها للعموم: 1983.5.3	شطرانة 2 - سيدي فرج -
عدد السكّان: 23.174	شطرانة 3 - الزوايدية -
عدد المساكن: 5066	جامع الروضة - سيدي سفيان
المساحة الترابية: 1902 هكتارا.	

دائرة أريانة المدينة	لمناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة: 1987.12.24	أريانة المدينة - أريانة الجديدة الجهة اليمنى من مدخل
تاريخ فتحها للعموم: 1988.4.15	أريانة - الحي الشعبي - حي النزهة - حي المستقبل
عدد السكّان: 29.396	برج البكوش - حي النور -
عدد المساكن: 6396	حي التعمير طريق رواد كلم 1
المساحة الترابية: 578 هكتارا.	طريق بنزرت حي الياسمين - حي ابن سينا

المصادقة عليها من سلط الإشراف
في شتى الميادين والسهر على

في هم في حاجة إليها وذلك بتقريبها
في شتى وقع تعصير العمل فيها ودعم
في تسييرها عضو من المجلس البلدي
في جلسات دورية تنتظم لتدارس

تتبع لها
الاس
سادس
البحر
البحر

معطيات جمالية عن بلدية أريانة

- 1 - عدد السّكان: 152,694
- 2 - عدد المساكن: 36,303
- 3 - المساحة الترابية للدوائر السبعة: 2
- 4 - المساحة الجمالية للبلدية: 18,000

أهم الإنجازات البلدية

في نطاق التّهضة الشاملة المتصلة منطلقاته وإتمام أعماله أعضاء الحكومة الإغاثية بلا هوادة ولا فتور. وفي نطاق هذا من البرامج، يستهدف منها أعضاء المجالس البلدية وفي كلّ دوائرها السبع قصد إسكان من حيث نظافة البيئة وتعبيد الطرقات المنطقة البلدية وتهيئة المساحات العمومية المتساكنين وتلبية ما يحتاجون إليه في رياضية أو غيرها.

- ويمكن أن نذكر أهم الإنجازات والخدمات التي تليق بالرقى الذي وصل إليه:
- ❖ بناء سوق بلدية ببرج الوزير، التكاليف
 - ❖ تهيئة حي جميل بالمنزه السادس
 - ❖ تهيئة مدينة أريانة بتبليط الممرات في
 - ❖ تهذيب مدرسة النخيلات، التكاليف
 - ❖ بناء محلات تجارية بالمركب التجاري
 - ❖ بناء مركب إداري وتجاري بحي الغزالة
 - ❖ صيانة وتهذيب مقر البلدية، التكاليف
 - ❖ بناء دار الشباب بأريانة، التكاليف
 - ❖ تسييج سوق الدواب ببرج سيدي
 - ❖ بناء مكتبة عمومية بشارع الطيب
 - ❖ بناء سوق بلدية بأريانة الجديدة، التكاليف
 - ❖ توسيع روضة برج البكوش، التكاليف

دائرة برج الوزير	لمناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة: 1987.12.24	حيّ جيرة - حيّ المنصورة
تاريخ فتحها للعموم: 1989.3.4	حيّ الفتح - حيّ النسيم 1 و 2
عدد السّكان: 29.772	حيّ التعمير الخامس - حيّ سيدي سفيان - حيّ الصّحة
عدد المساكن: 6091	- حيّ المطار - حيّ ابن كيلاني
المساحة التّرابية: 852 هكتارا.	- حيّ الحرّة - حيّ الهناء - حيّ ستار - حيّ المنطقة الصناعية 2 - حيّ المرباط - حيّ السعادة حيّ الورود.

دائرة أريانة العليا	لمناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة: 1987.12.24	أريانة العليا - رياض الأندلس
تاريخ فتحها للعموم: 1988.4.7	أريانة الجديدة - الجهة اليسرى من مدخل مدينة
عدد السّكان: 16.683	أريانة - برج التركي - الحيّ الشعبي الجهة اليسرى -
عدد المساكن: 4081	الغزالة 2 - المحرزية - النحلي - حيّ النقر 1-2
المساحة التّرابية: 852 هكتارا	

دائرة الغزالة	لمناطق التابعة لها
تاريخ إحداث الدائرة: 1991.12.16	الغزالة 1 و 2 و 3 - حيّ الجامع
تاريخ فتحها للعموم: 1992.3.31	حيّ الأمل - حيّ النصر - حيّ السعادة 1 و 2 - حيّ الصحافة - جعفر 2 - النخيلات - تقسيم بلخوجة - تقسيم النسيم - تقسيم المواصلات - تقسيم ابن عثمان - حيّ السلام - وادي المخزن - تقسيم المرباط - وادي الحياط
عدد السّكان: 12.541	
عدد المساكن: 3303	
المساحة التّرابية: 500 هكتارا.	

معطيات جملية عن بلدية أريانة

- 1 - عدد السُكّان: 152,694
- 2 - عدد المساكن: 36,303
- 3 - المساحة الترابية للدوائر السبعة: 8,172 هكتارا.
- 4 - المساحة الجملية للبلدية: 18,000 هكتارا.

أهم الإنجازات البلدية

في نطاق النهضة الشاملة المتميزة للعمل البلديّ وضمن النشاط المكثف الذي أشرف على منطلقاته وإتمام أعماله أعضاء الحكومة، شهدت بلدية أريانة حركة دائبة في إنجازاتها وتحقيق مشاريعها الإنمائية بلا هوادة ولا فتور. وفي نطاق هذا العمل الدؤوب الذي لم يسبق له نظير دبت حركة نشيطة لكثير من البرامج، يستهدف منها أعضاء المجلس البلدي تحقيق البرنامج الإنمائي لمدينة أريانة على امتداد مساحتها البلدية وفي كلّ دوائرها السبع قصد إسعاد المواطنين في محيط تكتمل فيه - مع الأيام - كلّ صفات التميّز من حيث نظافة البيئة وتعبيد الطرقات وتبليط الأرصفة وبعث المنتزهات الخضراء وتنوير كلّ رقعة من المنطقة البلدية وتهيئة المساحات العمرانية بكلّ ما تستجيب إليه الحياة الرّاقية وتقريب الخدمات من المتساكنين وتلبية ما يحتاجون إليه في أعمالهم أو في أوقات ترفيههم في مختلف الأنشطة ثقافية كانت أو رياضية أو غيرها.

ويمكن أن نذكر أهمّ الإنجازات التي استهدفها المجلس البلدي قصد الإرتقاء بحياة المواطنين وإسداء الخدمات التي تليق بالرقى الذي وصلته بلادنا في عهدها السعيد:

- ❖ بناء سوق بلدية ببرج الوزير، التكاليف 47.500 دينار
- ❖ تهيئة حي جميل بالمنزه السادس وتجميله بنافورة ماء، التكاليف 80.000 دينار
- ❖ تهيئة مدينة أريانة بتبليط الممرّات في المساحات الخضراء وإدخال التنوير، التكاليف 25.000 دينار
- ❖ تهيئة مدرسة النخيلات، التكاليف 10.500 دينار
- ❖ بناء محلات تجارية بالمركب التجاري والثقافي بالمنزه الخامس، التكاليف 47.500 دينار
- ❖ بناء مركب إداري وتجاري بحي الغزالة، التكاليف 155.000 دينار
- ❖ صيانة وتهذيب مقر البلدية، التكاليف 150.000 دينار
- ❖ بناء دار الشباب بأريانة، التكاليف 16.000 دينار
- ❖ تسييج سوق الدوّاب ببرج سيدي صالح، التكاليف 22.000 دينار
- ❖ بناء مكتبة عمومية بشارع الطيب المهيري، التكاليف 85.000 دينار
- ❖ بناء سوق بلدية بأريانة الجديدة، التكاليف 175.000 دينار
- ❖ توسيع روضة برج البكوش، التكاليف 59.000 دينار

شعبة لها

من المنصورة
في النسيم 1 و 2
خمس - حي
حي الصحة
في ابن كيلاني
في الهناء
المنطقة
في الرابط
في الورود

شعبة لها

في الاندلس
بدا - الجهة
مدخل مدينة
شركي - الحي
اليسرى
رية - النحلي

شعبة لها

في الجامع
من الصور - حي
حي الصحافة
لات - تقسيم
في النسيم
لات - تقسيم
في السلام
تسيم الرابط

♦ بناء مقهى بمنزله بئر بلحسن وتهيئة قاعة الاجتماعات وتهيئة جناح إداري وممر مغطى يربط قاعة الاجتماعات الحالية ببنية القبة ببئر بلحسن، التكاليف 242.000 دينار

♦ تهيئة القاعة العليا ببئر بلحسن وتجهيزها بمكيفات هواء لتخصيصها للندوات والاجتماعات وذلك خلال سنة 1996، التكاليف 85.000 دينار

♦ تهيئة مدخل منتزه بئر بلحسن وإتمام السياج الخارجي وإحداث رواق خارجي وإنجاز قاعة الشطرنج وكان ذلك سنة 1997، التكاليف 30.000 دينار

♦ بحث متحف لورد أريانة، التكاليف 30.000 دينار

♦ تكوين منبت قار للورد والنباتات المتميزة بمسح 3000 متر مربع، التكاليف 160.000 دينار

♦ تجميل المدخل الشمالي لمدينة أريانة وهو مشروع رئاسي، التكاليف 445.000 دينار

♦ إعادة بناء ضريح سيدي عمار المعروف في بوسط المدينة في سنة 1994، التكاليف 90.000 دينار

♦ إنجاز مشروع ساحة سلا وتوأمتها مع مدينة «سلا» المغربية (قرب الرباط)، التكاليف 160.000 دينار وساهمت البلدية في إنجاز منتزه النحلي:

التكاليف 60.000 دينار

♦ تهيئة فضاء الاستراحة بمخيم الصنوبر

♦ بناء كراسي وطاولات ثابتة داخل الخيم

♦ تهيئة مركب صحي بجانب ساحة الألعاب

♦ إقامة سياج حول البحيرة الجبلية.

♦ إيجاد مسلك صحي داخل المنتزه

♦ تركيز عشرين وحدة ضوئية

♦ تهيئة شارع الحبيب بورقيبة بأريانة (القسط الأول)

التكاليف 200.000 دينار

♦ تبليط الأرصفة

♦ التنوير العمومي

♦ إحداث مناطق خضراء

♦ تهيئة شارع الحبيب بورقيبة بأريانة إلى ساحة مقر لجنة التنسيق بأريانة (القسط الثاني)

التكاليف 100.000 دينار

♦ تبليط الساحة وبقية الأرصفة بالجليز

♦ مد خطوط التنوير

♦ إثبات حوافز الطريق

♦ أحواض الورود

♦ سلالات المهملات على الجدران والأعمدة

♦ تجميل ساحة سيدي عمار

♦ إحداث نافورة مياه

♦ تبليط الأرضية بالجليز

♦ تنوير الساحة

♦ مأوى مغطى للسيارات

♦ بناء دار ثقافة بشطرانة، التكاليف

♦ تهيئة روضة عزيز تاج، التكاليف

♦ تهيئة مقبرة سيدي الجبالي

♦ تسييج المقبرة

♦ تركيب باب حديدي

♦ تعبيد الممرات في الجبانة

♦ إتمام بناء فضاء مغطى لمواكب الدفن

♦ إحداث نقاط إنارة داخل الجبنة

♦ تثبيت التربة بجدار من الإسمنت

♦ حديقة رياض المنازه بمساحة 3.5 هكتار

♦ صيانة الحديقة وتعهدا بصفاة مستم

♦ تهيئة ملعب رياضي

♦ تشجير الحديقة

♦ تسييج الحديقة

♦ المسالك الداخلية

♦ النقاط الضوئية

♦ أرضية الحديقة

♦ حاويات للنظافة

♦ المقاعد العمومية.

لا يخفى على أحد أن المشاريع

التي اتخذها المجلس البلدي للتنهوض

سيادة رئيس الجمهورية في مؤتمر الامت

اللازمة.

وفي نطاق البناءات البلدية المبرمجة

1 - بناء مستودع بلدي ببرج سيدي

2 - بناء مسلخ بلدي ببرج سيدي

3 - بناء مقر الدائرة البلدية بأريانة المدينة

4 - بناء مقر الدائرة البلدية بالمنازة بكس

جناح إداري وممر مغطى يربط قاعة
دينار

للتدوات والاجتماعات وذلك خلال

وقت خارجي وإنجاز قاعة الشطرنج وكان

التكاليف 160.000 دينار

445.000 دينار

التكاليف 90.000 دينار

الرباط، التكاليف 160.000 دينار

60.000 دينار

200.000 دينار

القسط الثاني)

100.000 دينار

♦ تبليط الأرضية بالجليز

♦ تنوير الساحة

♦ مأوى مغطى للسيّارات

♦ بناء دار ثقافة بشطرانة، التكاليف 30.000 د

♦ تهيئة روضة عزيز تاج، التكاليف 17.000 د

♦ تهيئة مقبرة سيدي الجبالي

♦ تسييج المقبرة

♦ تركيب باب حديدي

♦ تعبيد الممرات في الجبّانة

♦ إتمام بناء فضاء مغطى لمواكب الدفن

♦ إحداث نقاط إنارة داخل الجبّانة

♦ تثبيت التربة بجدار من الإسمنت المسلّح

♦ حديقة رياض المنازه بمساحة 3,5 هكتارات، بالمنزه السادس:

♦ صيانة الحديقة وتعهدا بصفة مستمرة بواسطة المناولة

♦ تهيئة ملعب رياضي

♦ تشجير الحديقة

♦ تسييج الحديقة

♦ المسالك الداخليّة

♦ النقط الضوئية

♦ أرضية الحديقة

♦ حاويات للنظافة

♦ المقاعد العموميّة.

التكاليف 30.000 دينار

التكاليف 80.000 دينار

تكلفة المشروع 300.000 دينار

لا يخفى على أحد أن المشاريع البلديّة تواصلت في نطاق المخطط الإنمائي الشامل وحسب القرارات التي اتخذها المجلس البلدي للنهوض بأريانة إلى المستوى الأرقى وتماشيا مع سياسة الامتياز التي أذن بها سيادة رئيس الجمهورية في مؤتمر الامتياز. وتواصل تحقيق المشاريع المبرمجة في مواعيدها المحددة وبالذقة اللازمة.

وفي نطاق البناءات البلديّة المبرمجة نذكر:

1 - بناء مستودع بلدي ببرج سيدي صالح. وتقدر تكاليفه بـ 700.000 د

2 - بناء مسلخ بلدي ببرج سيدي صالح. وتقدر تكاليفه بـ 1.050.000 د

3 - بناء مقر الدائرة البلديّة بأريانة المدينة، بكلفة 250.000 د

4 - بناء مقر الدائرة البلديّة بالمنازه بكلفة 250.000 د، وتمت الأشغال في الموعد المحدد خلال سنة 1998 .

أما فيما يتعلق بالمشاريع البلدية الأخرى فالعناية موجهة إلى:

- 1 - إنجاز سوق الجمعة، بكلفة 200.000 د
- 2 - تهيئة ضريح سيدي عمّار، بكلفة 120.000 د
- 3 - تهيئة الملعب البلدي القديم، بكلفة 192.000 د
- 4 - تهيئة الملاعب بالأحياء التالية:

- الغزالة
 - أريانة العليا
 - المنازه
- التكاليف 210.000 د

- 5 - تجميل المناطق الخضراء، بكلفة 70.000 د

- 6 - تجميل المدينة وتهيئة الساحات في مخطط عمراني مضبوط بكلفة 100.000 دينار
- 7 - تهيئة القسط الثاني في نطاق البرنامج الوطني لتهديب الأحياء الشعبية عن طريق وكالة التهديب والتجديد العمراني. مثال ذلك: حي دار فضال بتكلفة 1.500.000 دينار

معطيات بلدية جديدة

بمقتضى الأمر الرئاسي الصادر في الرائد الرسمي بتاريخ 4 أفريل 2003 عدد 27 أدخل تحويل جذري على الهيكل العام لبلدية أريانة وانبثقت عن هذا الأمر بلديتان جديدتان هما بلدية سكرة وبلدية رواد. فأصبحت بلدية أريانة تمسح 1846,476 هكتار، بنسبة سكانية تقدر بـ 47,86 ساكن في الهكتار الواحد أي بـ 4786 ساكن في الكلمتر المربع. (انظر توزيع السكّان حسب البلديات والمساحة التابعة لها في الجدول المصاحب).

ونقدّم أحدث أمثلة المخططات الاستثمارية وما نتج عنها من تقويم للمشاريع المنجزة في بلدية أريانة. ونما يجلب انتباه المطلع على هذه الجداول المعبرة غزارة الإنجازات وكثرتها ثم إتمامها كاملة في التواريخ المحددة. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على المتابعة المستمرة والحرص على توفيتها حقها في ضوابط زمنية دقيقة. وعند إعمال النظر تتأكد من أن السير البلدي طويل النفس، والعمل فيه لا ينقطع وهو بصفة تصاعديّة ولا يرى القائمون به حدود نهايته لأنه بالفعل لا ينتهي ولن ينتهي. وكأنما بلدية أريانة ما تزال في طور النشأة. والدارس للوضع الاجتماعي العام في هذه البلدية يتأكد من أن النمو فيها مطرد لا يقف والانتساع العمراني هو العامل الأساسي. وهذا ما يفسر تعدد المشاريع الرئاسية في كل موضوع من العناوين البلدية، ذلك لأن الميزانية الحالية وبمقتضى المداخل التي تتوفر من استخلاص الأداءات، لم تعد تفي بكل ما يغطي كلفة المشاريع. وهذا العمري نهضة عارمة تشهدها بلدية أريانة كضاحية مركزية للعاصمة تونس ضمن النهضة الشاملة التي تشهدها البلاد. وهذه جميعا من مؤشرات النمو وتطور نوعية الحياة في المسكن والرياض والغذاء وطلب الوسائل الحديثة

للترفيه وهي تتطلب الملاعب والشواطئ الاجتماعية والثقافية بصفة عامة. ولولبي لا ينتهي لفا وصعودا.

سكرة	رواد
54.155	27.845
74.170	39.400
78.175	42.459
2.590,023	7.458,977
30,18 هك/س	5,69 هك/س
3018 كلم ² /س	569 كلم ² /س

للترفيه وهي تتطلب الملاعب والمناطق الخضراء والمنتزهات وما يتبعها في إطار الكماليات والرقى الاجتماعي والثقافي بصفة عامة. والنمو في هذا النسق هو دورة لا تنغلق وإنما هو في حقيقته دوران لولبي لا ينتهي لفاً وصعوداً.

توزيع السكان حسب البلديات والمساحة التابعة لها	البلديات	سكرة	رواد	أريانة
	سنة 1994	54.155	27.845	70.694
	سنة 2000	74.170	39.400	85.910
	سنة 2001	78.175	42.459	88.380
	المساحة بالهكتار	2.590,023	7.458,977	1.846,476
	نسبة السكان بالهكتار	30,18 هـ/س	5,69 هـ/س	47,86 هـ/س
	نسبة السكان بالكم ²	3018 هـ/كم ²	569 هـ/كم ²	4786 هـ/كم ²

كلفة 100.000 دينار

الشعبية عن طريق وكالة التهذيب

1.5 دينار

في أبريل 2003 عدد 27 أدخل تحويل

بلديتان جديدتان هما بلدية سكرة

سكانية تقدر بـ 47,86 ساكن في

السكان حسب البلديات والمساحة

من تقوم للمشاريع المنجزة في بلدية

لاحترات وكثرتها ثم إتمامها كاملة في

السترة والحرص على توفيتها حقها

بلدي طويل النفس، والعمل فيه لا

العمل لا ينتهي ولن ينتهي. وكأنما

العدم في هذه البلدية يتأكد من أن

سي. وهذا ما يفسر تعدد المشاريع

حالية ويقتضي المداخيل التي تتوفر

ع. وهذا العمري نهضة عارمة تشهدها

الشاملة التي تشهدها البلاد. وهذه

ش والغذاء وطلب الوسائل الحديثة

080 اقتناء معدات
9 تهذيب الأحياء الشعبية
حي البستان 2
حي دار فضال

قسط (1)
قسط (2)

الجملة



برنامج الاستثمار البلدي 2006-2002 بلدية أريانة

المشروع	الكلفة أ.د.	تمويل ذاتي أ.د.	قرض أ.د.	مساعدة أ.د.	م. أخرى أ.د.	2002	2003	2004	2005	2006
تعبيد الطرقات	1200	360	444	396			300	300	300	300
مد الأرصفة	600	180	222	198			150	150	150	150
التنوير العمودي	200	60	74	66			50	50	50	50
تعهد وصيانة البنية	136	40,800	50,320	44,880			34	34	34	34
تجميل المدينة	464	139,200	171,680	153,120		200	38	98	128	
السوق البلدي	650	260	390			350	300			
تجهيزات شبابية وثقافية	2245	404,750	404,750		1435,500	45		2200		
- مركب ثقافي	2000	360	360		1280			2000		
- مكتبة عمومية	200	36	36		128			200		
- ملعب حي	45	8,750	8,750		27,500	45				
إقتناء معدات	766	214,480	551,520				186	150	150	280
- معدات إعلامية	100	28	72				30	20	20	30
- معدات نظافة	666	186,480	479,520				156	130	130	250
البناءات الإدارية	550	275	275				100	50	400	
- المستودع البلدي	150	75	75				100	50		
- دائرة بلدية	400	200	200						400	
الدراسات	240		240			120	60	60		
المجموع	7051	1934,230	2823,270	858	1435,500	715	1218	3092	1212	814

ع/د	بيان المشروع	الاعتمادات المدرجة بالمخطط	الاعتمادات المستغلة 2001-1997	نسبة الإنجاز
080	اقتناء معدات	1000	1130	%113
9	تهذيب الأحياء الشعبية	1773	1804,6	%102
	« حي البستان 2	226	226	
	« حي دار فضال	1547		
	قسط (1)		916,600	
	قسط (2)		662,000	
	الجملة	13.623	13.805,6	%101,3



منظر مدخل منتزه النحلي - أريانة

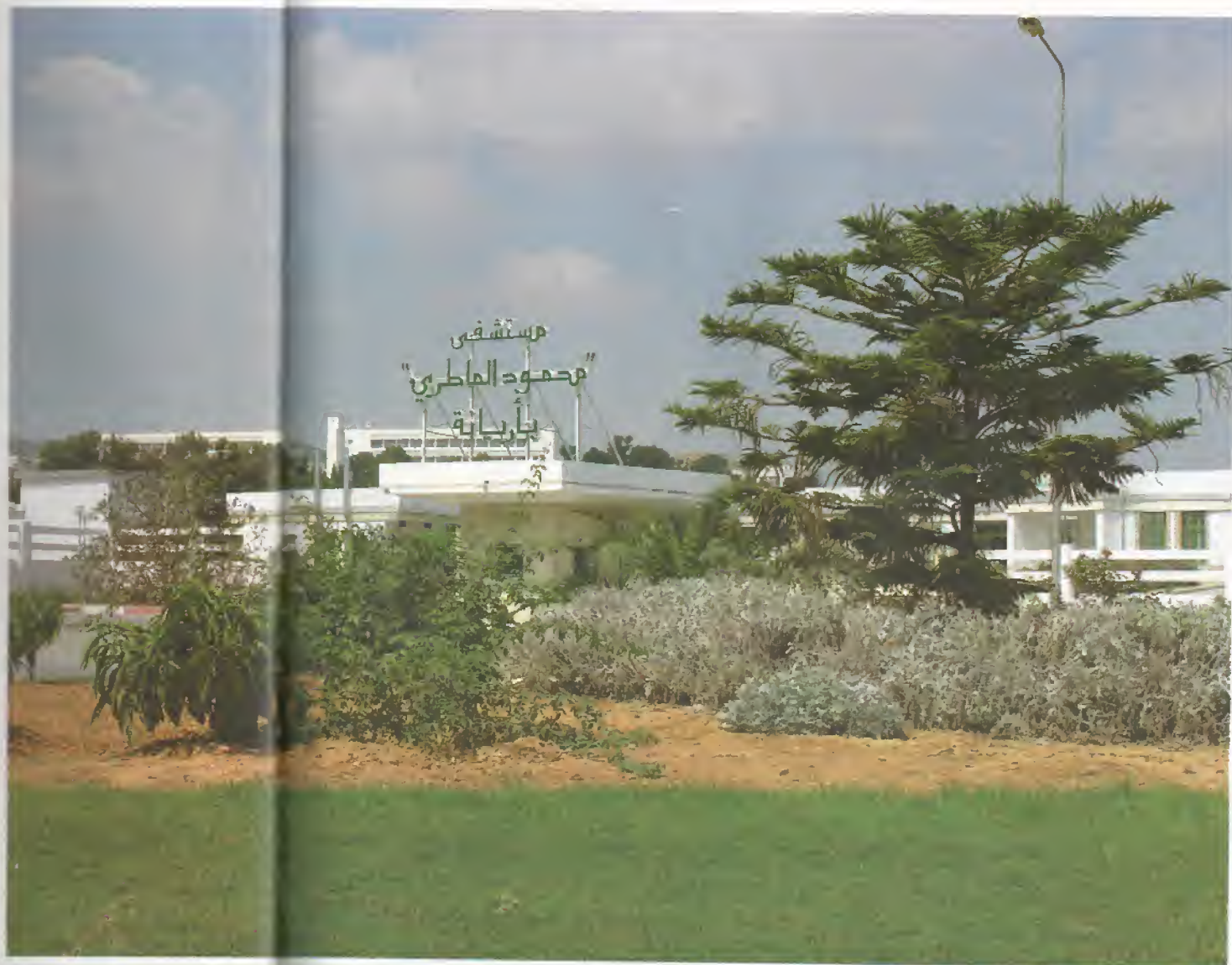
برنامج الاستثمار البلدي 2006-2002 بلدية أريانة

المشروع	الكلفة أ.د.	تمويل ذاتي أ.د.	قرض أ.د.	مساعدة أ.د.	م. أخرى أ.د.	2002	2003	2004	2005	2006
تعبيد الطرقات	1200	360	444	396				300	300	300
مد الأرصفة	600	180	222	198				150	150	150
التطوير العمومي	200	60	74	66				50	50	50



مرکز سکنی ریاض الأندلس





صورتان 3و2
حديقة في تقاطع طرق بالمنزه السادس



صورتان: 1و4
مفتوح مستشفى محمود الماطري



صورتان: 3
حديقة في تقاطع طرق بالمنزه السادس

صورتان: 4
مفتوح مستشفى محمود الماطري



مقام الولي المجاهد سيدي عمّار يصدد التهينة بأمر رئاسي

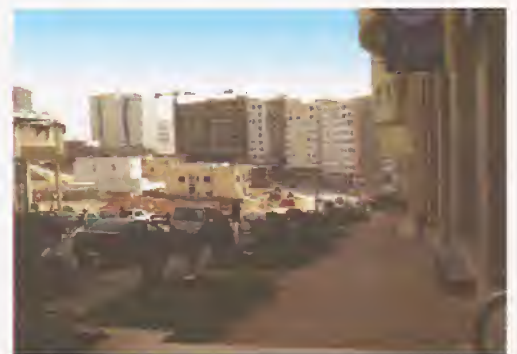




شارع الهادي نويرة



شارع الحبيب بورقيبة وتظهر على الصورة بلدية أريانة المدينة



شارع الهادي نويرة بالنصر

شارع علي بالهوان



شارع الهادي نويرة بالنصر



شارع علي بالهوان



مبنى البلدية على الصورة بلدية أريانة المدينة

نويرة بالنصر



المحولات بأريانة





تهيئة الطرقات بأريانة المنزه السابع



الطريق 20 x



مدينة أريانة في المسار الحضري

تعدّ مدينة أريانة من أبرز المدن ما تضمّنته من المواقع يدخل ضمن تزيخها الطويل.

إنّ صيانة هذه المكاسب من مقدّس، ثمّ إنّ القيام عليها وتعهّدها حضاريّ جماعيّ وتربية حسن مدنيّ بالانتماء إلى ماضيه عاملاً على كلّ جزء من مدينته هو جزء من حاضره بماضيه وتجعله في حوار مستمرّ تمثّل جزءاً من شخصيته. فلا بدّ أن يثري الشخصية الفردية ويوقظ القلب التّواصل قصد تبيين ملامح المستقبل سنة التّطور والحداثة.

وفي هذا السّياق الحضاريّ تأريخيّ 1984 وهي تهدف إلى المحافظة على المواطن واجب العناية بالمعالم الأصيل تجنّباً للمسح أو الانقراض. وفي السّياق التّحسيني، نظمته جمعيات المدن التّاريخية. فالملتقى الرّابع فأنه انتظم في يوم 29 في مادّة صيانة المدن والمعالم. ويهدف إلى التّباحث في تنظيم المدونة القانونية للعمل الفنّي والتّقني، وخاصّة القانونيّة العامة التي تنادي بتطبيقها وساعد على إنجاح هذا الملتقى الوطني للتّراث وجمعية معالم ومواقع التّراث، وفيها دعوة ملحة لصيانة سلوك حضاريّ جديد يتمثّل في الجذور. وفي هذا الملتقى من دعم لمقومات الهوية الوطنيّة لدى كلّ



السوق المركزية بأريانة بعد إعادة تهيئته



ساحة 7 نوفمبر بالمنزه السادس

مدينة أريانة في المسار الحضاري:

تعدّ مدينة أريانة من أبرز المدن التاريخية التونسية نظرا لما تشتمل عليه من المعالم العتيقة. وإنّ ما تضمّنته من المواقع يدخل ضمن المكتسبات التراثية التي تمثّل كنوز بلادنا الموروثة عبر السنين في تاريخها الطويل.

إنّ صيانة هذه المكاسب من كلّ ما يتهدها بالإتلاف والاندثار يدخل أولا ضمن عمل وطني مقدّس، ثمّ إنّ القيام عليها وتعهّدها بالعناية في مرحلة ثانية، إنّ هو إلّا عمل ثقافي يستدعي إرساء سلوك حضاري جماعي وتربية حسّ مدنيّ في الضمير الفرديّ حتّى يصبح كلّ فرد متعلّقا بهذا الوطن معتزّا بالانتماء إلى ماضيه عاملا على تطوير حاضره وإرساء أسس صحيحة لمستقبله. فيصيح، في نهاية الأمر، كلّ جزء من مدينته هو جزء من ممتلكاته يزود عنه كما يزود عمّا في حوزته من أعلّاق تليدة تربط حاضره بماضيه وتجعله في حوار مستمرّ بلا انقطاع مع أمجاده وجذوره، ذلك لأنّ هذه الثّقائس من تراثه تمثّل جزءا من شخصيّته. فلا بدّ حينئذ من هذا الحوار الصّامت المتكلّم بلغة غير اللّغة المعهودة لأنّه يثري الشّخصيّة الفرديّة ويوقظ الضمير الجماعي فيربط الماضي بالحاضر في داخل النفوس ويبنّي جسور التّواصل قصد تبيّن ملامح المستقبل واستشرافه وتعديله بما يضمن الأصالة والتّجذّر مع التّفكّح واتباع سنّة التّطوّر والحدّاث.

وفي هذا السّياق الحضاري تأسّست جمعيّة المحافظة على المدينة العتيقة بأريانة يوم 11 ماي 1984 وهي تهدف إلى المحافظة على التّراث والتّعريف به ثمّ القيام بالأنشطة الثّقافية التي تنمّي لدى المواطن واجب العناية بالمعالم الأثريّة في المدينة العتيقة والسّهر على المحافظة على طابعها التّونسيّ الأصيل تجنّبا للمسح أو الانقراض.

وفي السّياق التّحسيسيّ، شاركت جمعيّة أريانة للمحافظة على المدينة العتيقة في عدّة ملتقيات نظّمها جمعيات المدن التاريخية. فالأوّل كان بتونس سنة 1990 والثّاني بصفاقس والثّالث بجزيرة. وأمّا الملتقى الرّابع فأنّه انتظم في يوم 29 ماي 1992 بأريانة بقصر البكّوش وكان موضوعه: «التّشريع التّونسيّ في مادّة صيانة المدن والمعالم». ويهدف هذا الملتقى بصفة خاصّة إلى خلق الوعي بقيمة التّراث وأهميته وإلى التّباحث في تنظيم المدوّنات القانونيّة لصيانة المدن التاريخيّة ثمّ إرساء الأرضيّة الثّقافيّة الملائمة للعمل الفنّي والتّقني، وخاصّة القانوني الذي يضمن الصّيانة والتّدخل وربط كلّ ذلك بالأسس القانونيّة العامّة التي تنادي بتطبيقها على المستوى العالمي بصفة فعليّة وميدانيّة منظّمة اليونسكو.

وساعد على إنجاح هذا الملتقى كلّ من الولاية وبلديّة أريانة والمندوبيّة الجهويّة للثقافة والمعهد الوطني للتّراث وجمعيّة معالم ومواقع. والتّوصيات التي صدرت عنه كانت النّواة الأولى لإصدار «مجلة التّراث» وفيها دعوة ملحة لصيانة الآثار وكلّ ما يمتّ إلى التّراث بصلّة. وهو في مجموعته دعوة إلى إرساء سلوك حضاريّ جديد يتمثّل في الوفاء للماضي وفي تأمين أسس المستقبل قصد تجنّب الانبثاق والتّنكّر للجذور. وفي هذا الملتقى من دعم لقواعد التّواصل في مجالات الفكر والفنّ والمعمار ما يضمن إثبات مقومات الهويّة الوطنيّة لدى كلّ فرد من المجتمع. فمن أجل هذه الأهداف المرموقة تعدّ مثل هذه



التدوات مسألة حضارية دقيقة ترمي إلى ترسيخ مفهوم الصيانة للمكتسبات حتى يتواصل نفسها وتتعايش أساليبها في المنشآت الجديدة بالتوليد وتكوين الابتكار ولا يكون ذلك إلا بالإبراز والتعريف والتوظيف. وفي نطاق هذا المسار الحضاري الجديد لمدينة أريانة توجه السيد رئيس بلدية أريانة إلى **مجلسة رئيس الجمهورية يوم السبت 3 نوفمبر 2002** عند حضوره على الجلسة الممتازة للمجلس الجهوي لولاية أريانة بكلية جاء فيها:

«سيد الرئيس، إن معنى الترميم لا ينضب، وإن عطف سيادتكم موصول لا ينقطع وفي إطارها نطلب من سيادتكم من حرص على صيانة التراث باعتباره جزءا من حضارة تونس، اسمحوا لي يا سيادة الرئيس أن أرفع إليكم التماسا من أكرم عابكم للمدينة العتيقة بأريانة التي تحتاج إلى مزيد من الصيانة والتعهد راجين من سيادتكم التفضل بالرد على مساعدتهم بلدية أريانة على إنجاز برنامجها في هذا الصدد».

عيد الورد بأريانة:

اقتترنت مدينة أريانة وربوعها بأزهار الورد في الذاكرة الجماعية بكامل البلاد. ويعود ذلك إلى عهد بعيد قد يتجاوز ثلاثة قرون منذ بداية الهجرة الأندلسية. وتنسب العناية ببساتين أريانة إلى هذه الأفواج المهاجرة من العدة الأندلسية التي قدمت إلى البلاد التونسية قبل سقوط مدينة غرناطة سنة 1492 للميلاد، وتعاقبت عليها واستقرت في العديد من القرى كأريانة وغيرها من المواطن التونسية كقلعة الأندلس وتستور وسليمان وبلي وغار الملح ومنزل جميل وبنزرت. واستطاب أفراد هذه الجاليات العيش في أماكن قد تشبه مواطنهم الأصلية، واستبشروا بما وجدوه من حسن الاستقبال وقصدوا تونس هارين بدينهم وعرضهم وأموالهم من طغيان المتسلطين عليهم من سكان المدن المسيحية بشمال شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا) وقد عرفوا بحذقهم في شتى فنون المعمار وفي مختلف علوم الفلاحة والبستنة. واشتهروا بذوقهم الرفيع في زراعة الأزهار واستخراج عطوراتها وخاصة الورد بمختلف أنواعه. وركزوا عنايتهم خاصة على واحدة من هذه الورود هي التي عرفت بها أريانة ومنها يستخرجون عطرا مخصوصا استعملوه في شتى أكلاهم وفي حلولياتهم التي تعلموا صناعتها وبرعوا في تصنيفها في أرضهم الأصلية وتوارثوها جيلا بعد جيل. وكانوا يقيمون الحفلات عند جني هذه الوردة المخصوصة ويحتفون في دورهم الريفية وفي داخل البلدية أيضا بتقطير هذه الزهرة التي أصبحت عنوانا لفصل الربيع عندهم. وتفتنوا في استخراج مائها ويعرف عندهم بروح الورد أو عطر الورد. وتكثر الزغاريد والحفلات والأهازيج في البيوت بهذه المناسبة. فهو عرس الورد.

لكن هذه التظاهرة الفلاحية في كامل الجهة تتخذ في بعض الفترات صفة المهرجان. ثم تقلصت مع الأيام إلى أن أصبحت محدودة لا تراها إلا في بعض الدور وعند بعض العائلات حتى تحركت همم بعض المسؤولين فبعثوها من جديد وجعلوها طابعا مميزا للجهة كما كان الأمر في سالف الأزمان. وبهذه الصفة قرونا ماضي أريانة بحاضرها في الاحتفاء «بورود أريانة الذي يوقظ راقدا الجبانة» حسب المأثور من الأمثال في المحافظة الشعبية. وأصبحت هذه التظاهرة عيدا يحتفل به في كل موسم سنوي وهو اليوم

عيد الورد بأريانة.

بدأت هذه التظاهرة في ربيع سنوي، لكنه - ككل بداية - محدود الاحتفال في مسيرة المدينة الترميمية. وأخذ هذا العيد مكانه المرموق في واستعاد أهميته في الوعي العام لدى وتوفرت لعيد الورد ما يستوجب وتدرج إلى حد هذه السنة (2004) على سبيل المثال:

- الدورة السادسة من 28 أبريل إلى

- الدورة السابعة من 30 أبريل إلى

- الدورة الثامنة من 08 ماي إلى

إن دورات مهرجان الورد تسير

وهي تكتمل وتنضج من دورة إلى أخرى

ويمكن القول اليوم إن عيد

من بلادنا وإن الاحتفال به بلغ

بالورود والزهور والرياحين المتنوعة

كل عيد للورد وهي المدينة المتوامة

وحرص القائمون على عيد

التنصيب عليها بالرائد الرسمي

تأسيس جمعية ثقافية: اسم الجمعية

تصنيف الجمعية: جمعية ثقافية

المقر الاجتماعي: منتزه بئر بلحسن

وصل الإيداع: عدد 113 بتاريخ 17

رئيس الجمعية: عيسى البكوش: 81

وفي نفس السياق وإلى جانب

وهي التي لها أنشطة هامة في ربط

وخلاصة القول إن عيد الورد

وفيه تلتقي مختلف الفنون. وهذا العيد

وهو ككل تظاهرة جماعية تطلع

ربط صلتهم بماضيهم وتطوير حاضرهم

للمكتسبات حتى يتواصل نفسها
ولا يكون ذلك إلا بالإبراز والتعريف
توجه السيد رئيس بلدية أريانة إلى
على الجلسة الممتازة للمجلس

لا يتقطع وفي إطار ما
حاضرة تونس، استحوذوا
أريانة التي تحتاج إلى مزيد
أريانة على إنجاز برنامجها في

بكمال البلاد. ويعود ذلك إلى عهد
ببساتين أريانة إلى هذه الأفواج
قبل سقوط مدينة غرناطة سنة 1492
وغيرها من المواطن التونسية كقلعة
واستطاب أفراد هذه الجاليات العيش
من حسن الاستقبال وقصدوا تونس
سكان المدن المسيحية بشمال شبه
العمار وفي مختلف علوم الفلاحة
بورتها وخاصة الورد بمختلف أنواعه.
ت بها أريانة ومنها يستخرجون عطرا
صنعها وبرعوا في تصنيفها في أرضهم
حي هذه الورد المخصوصة ويحتفون
أصبحت عنوانا لفصل الربيع عندهم.
ونكثر الزغاريد والحفلات والأهازيج

لغترات صفة المهرجان. ثم تقلصت
لبعض العائلات حتى تحركت همم
كان الأمر في سالف الأزمان. وبهذه
يوقظ راقد الجبانة حسب المأثور من
س به في كل موسم سنوي وهو اليوم

عيد الورد بأريانة.

بدأت هذه التظاهرة في ربيع سنة 1982 في كامل المدينة. وأخذت منذ بدايتها صبغة مهرجان
سنوي، لكنه - ككل بداية - محدود الإشعاع والمدة. ثم أخذت الظروف الملائمة تتهيأ. ودخل هذا
الاحتفال في مسيرة المدينة التتويج، وأصبح لدى سكان أريانة رافد اعتزاز بماضيهم وتذكارة مدينتهم.
وأخذ هذا العيد مكانه المرموق في الموروث الثقافي، وأنسجم مع مكونات المدينة في المحافظة الجماعية،
واستعاد أهميته في الوعي العام لدى الساكنين قديمهم وحديثهم.

وتوفرت لعيد الورد ما يستوجب من الرعاية لدى السلط الجهوية من ولاية وبلدية وجمعيات ومؤسسات
وقد رُج إلى حد هذه السنة (2004) بصفة منتظمة إلى دورته الثامنة. ونذكر تواريخ الثلاثية الأخيرة منها
على سبيل المثال:

- الدورة السادسة من 28 أبريل إلى 05 ماي 2002

- الدورة السابعة من 30 أبريل إلى 05 ماي 2003

- الدورة الثامنة من 08 ماي إلى 16 ماي 2004

إن دورات مهرجان الورد تسير على درب التقدم وعلى ما تستوجبه النوعية قصد الأرقى والأحسن
وهي تكتمل وتنضج من دورة إلى أخرى.

ويمكن القول اليوم إن عيد الورد بأريانة أصبح تظاهرة مميزة للمدينة بلغت أصدائها حدودا بعيدة
من بلادنا وإن الاحتفال به بلغ بلدانا أخرى على حوض البحر المتوسط عرفت هي الأخرى باهتمامها
بالورود والزهور والرياحين المتنوعة. ولا أدل على ذلك من مشاركة وفد من مدينة قراس الفرنسية في
كل عيد للورد وهي المدينة المتوأمة مع أريانة.

وحرص القائمون على عيد الورد اليوم، على بحث جمعية عيد الورد سنة 2004 وقد نشر

التنصيب عليها بالرائد الرسمي عدد 64 بتاريخ 28 مارس 2002 في صفحة 1406

تأسس جمعية ثقافية: اسم الجمعية: عيد الورد بأريانة

تصنيف الجمعية: جمعية ثقافية فنية

المقر الاجتماعي: منتزه بئر بلحسن بأريانة

وصل الإيداع: عدد 113 بتاريخ 17 مارس 2001

رئيس الجمعية: عيسى البكوش: 2001.G0 842 APSB1

وفي نفس السياق وإلى جانب جمعية عيد الورد بأريانة نذكر جمعية أحياء الورد التي بعثت سنة 1991

وهي التي لها أنشطة هامة في ربط العلاقات مع الخارج.

وخلاصة القول إن عيد الورد بأريانة أضحي فعلا تقليدا راسخا في أذهان الساكنين يربطهم بماضيهم العريق

وفيه تلتقي مختلف الفنون. وهذا العيد يذكّي فعلا الحياة الثقافية وينمي الحركة الاقتصادية في المدينة

وهو ككل تظاهرة جماعية تطمح إلى الارتقاء الحضاري للمدينة بأريانة في شكلها وأصنافها وفي أوضاعهم الدائمة مع

ربط صلتهم بماضيهم وتطوير حاضرهم وبناء جسور التواصل لاستشراف مستقبلهم.





Handwritten text in a cursive script, likely Arabic or Persian, covering the right side of the page. The text is arranged in several lines, with some words appearing to be in a different script or dialect. The handwriting is somewhat faded and difficult to decipher.

الخاتمة

إن هذه الصفحات التي كتبها عن أريانة لا يمكن أن أصل بها إلى حد الاستقصاء والاستيعاب لكل ما يمكن أن يقال عن مدينة يتسع أمد أخبارها وأرجاء الأحداث التي عاشتها في الذاكرة التاريخية طيلة أحقاب قد تجاوزت الألف سنة ضمت في مطاويها كنوزاً من المعارف والأسرار قد تكون منطلقات لأبحاث وأطروحات جديدة تنير السبيل قصد فهم معمق لتاريخ وطننا. ولا يمكن بأية حال أن نصل إلى الإحاطة بصفة كلية بجميع مكوناتها. فكلما استزدت من البحث والتوسع في جمع الوثائق والنظر المتبصر في شتى المصادر والمراجع انفتحت أبواب جديدة قد تضيق وقد تتسع شأن كل عمل فكري يستدعي الثأني وحسن النظر، فأجأ إلى الاكتفاء أحياناً برسم الخطوط العريضة والاكتفاء على حساب التفاصيل والجزئيات بخلاصة واضحة للمعاني العامة التي يفرضها البحث ويشير إليها دون خلل أو تعسف أو إهمال.

والحديث في شؤون مدينة أريانة جديد متجدد في كل حين، ناهيك باسمها وتفسيره وإرجاعها إلى أصولها في مراحل النشأة والتكوين أو الانبعاث والازدهار. فالقول فيها تمتع وهنا تكمن لذة البحث كمن يستكشف كنوزاً مستعصية يتحكم فيها طلسم يستدعي استكناه سره وفتح مغالقة. وحدث ولا حرج عمن عاش في أريانة من أعلام بلادنا أو عمن نوهوا بمحاسنها وأمجادها وجمالها في أبلغ الأشعار وأعذب الكلام.

إن مكونات سيرة هذه المدينة مغرية بقدر ما هي مستعصية، لأنها بعيدة المنال، مبعثرة هنا وهناك دونما سلك يجمعها أو عقد يضمها كأنها الدرر الثمينة التي نثرها يد الزمان أو دسستها من بين خباياه في ما ضم من كنوز عزيزة وأعلاق رفيعة.

فإذا قدّم هذا الكتاب صورة عن مدينة أريانة تتكامل في ذهن مطالعه بعد قراءة كل صفحة فذاك حسبي. ولكنني أدعو - على كل حال - من عنده إليه زيادة أو إضافة مهما كان نوعها، ألا يخل بتقدمها والإدلاء بها لتكتمل عندنا جميعاً هذه الصورة المتألقة «لأريانة مع الزمان» فتاريخ أي مدينة أو أي معلم لا يكتمل استحضاره على حقيقته - خاصة إذا طال عهده - إلا بتضافر الجهود والعناية المتواصلة لتهديب وإزالة ماران عليه من الغبار والقدم حتى يظهر جلياً براقاً وفي نهاية الأمر جميلاً وجذاباً. ولهذا السبب اخترت تسمية الكتاب «أريانة مع الزمان»، فقد واكبت الأحداث بل لنقل خطوط الزمان وأفراحه، - هذا في ماضيها، وهي مع الزمان في حاضرها ومستقبلها تتطور وتنمو وترتقي. إنها مدينة تتقد حياة وحيوية. إنها تواكب الترقى الحضاري وتسائر الحداثة في شتى مظاهرها العمرانية والاجتماعية وكذلك الثقافية بمهرجاناتها وأعيادها ومواسمها في كل سنة متجددة.

إن هذا الكتاب واكب «أريانة مع الزمان». وهو خلاصة في مراحل حياة مدينة بدأت صغيرة وهي الآن في أتم نموها تتوثب لغد أفضل وإلى ارتقاء مطرد في جميع الميادين. ورقياً موكول لمتساكنيها ولكل من

تعلق بها وأراد لها الخير والازدهار.
وإني أتقدم بالشكر إلى
على إصدار هذا التأليف - وعلى
التراثية وبالأعياد المحلية كعيد الورد
وعرافة تاريخها وإحلالها ما تستحق
قديماً وحديثاً.

وأقدم بالشكر كذلك إلى
وإحلاله المكانة التي يستحقها في



بئر بلح

تعلق بها وأراد لها الخير والازدهار. والصورة التي قدمتها عنها هي أقل ما يقدم من جهد في هذا الشأن. واني أتقدم بالشكر إلى الدكتور صلاح البلطي رئيس بلدية أريانة وقد حرص شديد الحرص على إصدار هذا التأليف - وعلى تشجيعه المتواصل للثقافة وعلى عنايته بالمدينة العتيقة وبمكتسباتها التراثية وبالأعياد المحلية كعيد الورد كل ذلك قصد إخراج مدينة أريانة من النسيان والتعريف بتراثها وعراقة تاريخها وإحلالها ما تستحق من المنزلة الرفيعة في الذاكرة الجماعية وفي المسار المجيد لتاريخ تونس قديما وحديثا.

وأقدم بالشكر كذلك إلى الجمعية الثقافية لبلدية أريانة على توليها إصدار هذا الكتاب وإحلاله المكانة التي يستحقها في برنامجها الثقافي.



بئر بلحسن مقر الجمعية الثقافية لبلدية أريانة

إلى حد الاستقصاء والاستيعاب التي عاشتها في الذاكرة التاريخية معارف والأسرار قد تكون منطلقات لا يمكن بأية حال أن نصل إلى التوسع في جمع الوثائق والنظر المتبصر شمس شأن كل عمل فكري يستدعي حصة والاكتفاء على حساب التفاصيل ويشير إليها دون خلل أو تعسف أو

تحيث باسمها وتفسيره وإرجاعها إلى ليها منع وهنا تكمن لذة البحث كمن سره وفتح مغالقة. وحدث ولا حرج حدها وجمالها في أبلغ الأشعار وأعذب

لأنها بعيدة المنال، مبعثرة هنا وهناك الزمان أو دستها من بين خباياه في ما

مطالعه بعد قراءة كل صفحة فذاك لغة مهما كان نوعها، ألا يبخل بتقديهما الزمان، فتاريخ أي مدينة أو أي معلم لا من الجهود والعناية المتواصلة لتهديب الأمر جميلا وجذابا. ولهذا السبب لن نقل خطوب الزمان وأفراحه، - هذا بقي. إنها مدينة تتقد حياة وحيوية. إنها رامية والاجتماعية وكذلك الثقافية

مراحل حياة مدينة بدأت صغيرة وهي ورقية موكول لمتساكنيها ولكل من

♦ ابن خلدون (عبد الرحمان): كتاب العبر، طبعة بيروت 1985 .

♦ ابن أبي دينار: المؤنس - طبعة تونس 1286 هـ

♦ الشَّماخي (أبو العباس احمد): كتاب السَّير-القاهرة 1301 هـ .

♦ ابن أبي الضياف (أحمد): إتحاف أهل الزَّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، طبعة تونس 1966.1963

♦ العبدري الحياحي (محمَّد): الرِّحلة المغربية، تحقيق محمَّد الفاسي-الرِّباط 1965

♦ الحميري (محمَّد عبد المنعم): الرِّوض المعطار في خبر الأقطار - القاهرة 1956

♦ عبد الوهاب (حسن حسني): 1-مجمَل تاريخ الأدب التُّونسي-تونس 1968

2-خلاصة تاريخ تونس- تونس 2001

♦ القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك

تحقيق محمَّد الطَّالبي -تونس 1967

♦ كرو (أبو القاسم محمَّد): الأميرة نازلي فاضل: رائدة النهضة في مصر وتونس

دار الغرب العربي (سلسلة رَواد منسيون عدد 3)، أفريل 2003 .

المصادر باللغات الأخرى

- ♦ Allali (Jean Pierre): Juifs de Tunisie (Edition- Soline, Espagne 2003)
- ♦ D'Anthouard (Jean): Le village et les palais de l'Ariana
(Bulletin économique et social de la Tunisie 1951, 2ème tr)
- ♦ Bachrouche (Taoufik): Le Saint et le Prince ou les élites
Tunisiennes du pouvoir et de dévotion (Université de Tunis 1989)
- ♦ Bercher (Léon): La Risàla, ou épître sur les éléments du dogme et
de la loi de l'Islam selon le rite malékite (3è Edition, Alger 1968)
- ♦ Brunschvig (Robert): La berbérie Orientale sous les hafside, des
origines à la fin de 15è siècle (Adrien - Maisonneuve, Paris 1940-
1947).
- ♦ Dapper o.: Description de l'Afrique-Amsterdam 1686 .
- ♦ Dessort (Charles Roger): Histoire de la ville de Tunis (Alger 1924).
- ♦ Emerit (Marcel): La pénétration Industrielle en Tunisie (Revue
Africaine 1952).
- ♦ Ibn Fadhl -Allah al-Umari: Masàlik al-Absàr fi mamàlik al-Amsàr
(Traduction Gaudefroy-Demombynes, Paris 1927).
- ♦ Frank (L): Tunis, description de cette Régence (Paris 1850)
- ♦ Ganiage (jean): Les origines du Protectorat français en Tunisie
(Paris 1959)
- ♦ Gomez (Emilio Garcia): obervaciones sobre la qacida maqsura
d'Abu -al Hasan Hàzim al qartayanni (al-Andalus, volume 1, 1933.
fasc.1 Madrid).
- ♦ Grenville (T.Temple): Excursions in the mediterranean Algiers and
Tunis (Saunders et Osley, Londres 1835).
- ♦ Houdoy (J.): Tapisserie représentant la conquête du royaume de
Thunés par l'Empereur Charles Quint(Lille 1873).
- ♦ Idris (Hédi Roger): La Berbérie Orientale sous les zirides du 10è
au 12è siècles.
- ♦ Manâqib d'abu-lshàq al-Gabanyàni par Abu -al - qàsım al-Labidi
et Manâqib de Muhriz ibn Halaf par abu-al Tâhir al-Fârisi.(Edition et
traduction, Alger 1959).
- ♦ Jean Léon L'Africain: Description de l'Afrique (Edition Latine,
Elzevir Leyde 1632 - J.Temporal, Paris 1830).
- ♦ Khaled (Ahmed): Epître détaillée sur les situations des élèves,
leurs règles de conduite et celles des maîtres d'Abu -al-Hasan al-
Qâbisi (324-403 H.), pédagogue Tunisien du 10 è siècle (Edition
S.T.D, 1986).
- ♦ Latham (J.D.L.): Towards a study of andalusian immigration and
its place in Tunisian history (Cahiers de Tunisie, 1957).

1966.1963 طبعة تونس

1965

1956

1968

مالك

تونس



- ♦ Manchicourt (Charles): La région de Tunis (Annales de géographie, 1904).
- ♦ Marçais (Georges): L'architecture musulmane d'occident arts et métiers graphiques, (Paris 1954).
- ♦ Pellegrin (Arthur): - Histoire illustrée de Tunis et de sa banlieue (Saliba - Tunis 1955).
 - . Essai sur les noms de lieux d'Algérie et de Tunisie (S.A.P.I, Tunis, 1949).
- ♦ Pellissier (E.): Description de la Régence de Tunis et ses environs (Paris 1893).
- ♦ Penet (P.): L'hydraulique agricole dans la Tunisie méridionale (Tunis 1913).
- ♦ Perpetua (G.): géographia della Reggenza di Tunisi (Paravia, Torino 1882).
- ♦ Revault (Jacques): 1/ Palais, demeures et maisons de Tunis et environs (du 16è au 19è siècles). (La calade, Edisud, 1984).
 - 2/ Palais et résidences d'été de la région de Tunis (15è - 19è siècles) (Paris CNRS 1974).
 - 3/ Aspect de l'élément Andalou dans les palais et demeures de Tunis. (Madrid 1973).
 - 4/ Sidi Ammar, Patron de village d'Ariana-Cahiers des arts et techniques d'Afrique du Nord .1960
- ♦ Sebag (Paul): Les juifs de Tunisie au 19è siècle d'après J.J.Benjamin II (cahiers de Tunisie 1959).
- ♦ Saladin H.: Manuel d'art musulman (Paris 1907).
- ♦ Solignac (J.Marcel): Travaux Hydrauliques hafside de Tunis (Revue Africaine ,1936 II).
- ♦ Taïeb (Jacques): Notes sur le village et l'habitation traditionnelle d'El-Ariana (dans: cahiers des arts et techniques d'Afrique du Nord n°6 / 1961).
 - . Une banlieue de Tunis: l'Ariana (cahiers de Tunisie n°32, 4è trimestre 1960).
 - .Les juifs livournais sous le règne de l'Islam (réalité et perspective) (les nouveaux cahiers n°42, .1975).

علي حمريت

من مواليد القيروان في 06 ماي 1940

الشهادات

شهادة ختم الدروس الثانوية

شهادة ختم الدروس بدار المعلمين

شهادة الكفاءة المهنية في التربية

شهادة البكالورية التونسية بجزئها (شعبة فلسفة)

شهادة البكالورية الفرنسية بجزئها (شعبة فلسفة)

الإجازة في اللغة والاداب العربية

الإجازة في اللغة والاداب الفرنسية

شهادة الكفاءة في البحث

شهادة التبريز في اللغة والاداب العربية

شهادة ختم الدروس الانجليزية في معهد اللغات الحية بتونس

شهادة ختم الدروس الألمانية في معهد قوتة بتونس ومونيخ بألمانيا

الوظائف

معلم بالتعليم الابتدائي

أستاذ بترشيح المعلمات

أستاذ بالمعهد العلوي

متفقد أول للتعليم الثانوي

التعليم العالي

أستاذ بالمدرسة التحضيرية للدراسات العلمية والتقنية

أستاذ بالمدرسة الوطنية للإدارة



♦ Manchicourt (Charles): géographie, 1904).

♦ Marçais (Georges): L'art des métiers graphiques, (Paris 1904).

♦ Pellegrin (Arthur): - Histoire de la géographie (Saliba - Tunis 1955).

. Essai sur les noms de lieux.

Tunis, 1949).

♦ Pellissier (E.): Description des environs (Paris 1893).

♦ Penet (P.): L'hydraulique (Tunis 1913).

♦ Perpetua (G.): géographie (Torino 1882).

♦ Revault (Jacques): 1/ Description des environs (du 16è au 19è siècle).

2/ Palais et résidences royales (siècles) (Paris CNRS 1973).

3/ Aspect de l'évolution de la ville (Tunis. (Madrid 1973).

4/ Sidi Ammar, Patrimoine et techniques d'Afrique de l'Est.

♦ Sebag (Paul): Les juifs d'Algérie. J.J. Benjamin II (cahiers de la revue africaine).

♦ Saladin H.: Manuel d'histoire de l'Algérie (Revue Africaine, 1936).

♦ Solignac (J. Marcel): Topographie (Revue Africaine, 1936).

♦ Taïeb (Jacques): Notes de géographie d'El-Ariana (dans: cahiers de la revue africaine n°6 / 1961).

. Une banlieue de Tunis (Revue africaine, trimestre 1960).

. Les juifs livournois sous le régime colonial (nouveaux cahiers n°42, 1973).

تقديم الكتاب

التمهيد

أريانة في ماضيها التاريخي المجيد أو أريانة في مطاوي كتب التاريخ

المكونات الجغرافية لمدينة أريانة

المحيط الطبيعي

الإطار الإداري

المكونات التاريخية لمدينة أريانة

أريانة في المصادر القديمة

أريانة المدينة العربية

ما معنى أريانة في هذه التسمية العربية؟

من هم سكان أريانة من الأصول إلى اليوم؟

أريانة ونشأتها العربية (في نضالها تحت راية السنة السمحة)

أريانة وحضورها التاريخي بجوار العاصمة تونس

مدينة أريانة في نشأتها الأولى

أريانة في عهد الدولة الحفصية

المدينة المجاهدة

مشروع السقاية والري في العهد الحفصي

في مدينة تونس و أريانة

ساقية الحنايا المزودة لمدينة تونس بالماء

الساقية الفرعية الثانية إلى بستان أبي فهر بأريانة

خصائص هذه الجابية في بستان أبي فهر

53	ماهي مواد البناء التي تتكوّن منها الفسقية الكبرى ببستان أبي فهد بأريانة؟
60	ترميم ساقية الحنايا في العهد الحسيني:
83	أريانة الدرع الواقية لمدينة تونس
	أريانة المدينة المجاهدة
91	مظاهر الحضارة الحفصية في تونس وأريانة
94	المجاهد سيدي عمار المعروف بدين مدينة أريانة
95	سيدي عمار المعروف بـبو سنة-
97	سيدي عمار في الخيال الشعبي أو منزلة شيخ الطريقة الصوفية عند مريديه و أتباعه
	زاوية سيدي عمار في مدينة أريانة
98	الحركة الصوفية وأثرها في مدينة أريانة
100	سيدي عمار وفرقة العيساوية
	موسم سيدي عمار بمناسبة حلول المولد النبوي الشريف
101	الخرجة في سيدي عمار المعروف إلى سيدي أبي سعيد الباجي
103	انتصاب الحماية الإسبانية على تونس
	انعكاس ذلك على مدينة أريانة
104	الوضع السياسي في الدولة الحفصية وقدم الإسبان إلى تونس
109	نهاية الحماية الإسبانية وتدخل الأتراك
	اللقاء التركي الإسباني في حلق الواد
110	انقراض الحفصيين وبداية العهد التركي (981هـ/1574 م)
	منخص عن نشأة الدولة الحفصية (1228 - 1574 م/626 - 981هـ)
111	أريانة المدينة الحفصية
113	أريانة في حاضرها الواعد و مستقبلها المشرق
114	أريانة الحديثة : التحوّل السكاني والعمراني
120	مدينة أريانة...تحدّث أخبارها أو أريانة مع الزمن الآتي ...
121	المعالم والمواقع بأريانة القصور والأبراج
122	شواهد عن ماض عريق
126	بئر بلحسن بأريانة

9

12

15

16

18

20

21

23

33

34

35

40

41

47

49

53

كتب التاريخ

(م)

144	قصر ابن عياد مقر البلدية حالياً
145	وصف قصر ابن عياد اعتماداً على فصل جاك ريفو (J.Revault)
146	وصف قصر ابن عياد في وضعه القديم في مستهل القرن العشرين
146	مدخل القصر
	قاعة الإستقبال
	الدور والإقامات في بساتين سكرة
147	قصر قاسم بن سلطان أو برج الغطاس
	مدخل البرج
148	صحن البرج
	الكشك
	قاعة الإستقبال
149	الآبار والفسقية
	المرافق المشتركة
	معلم آخر: برج التركي
153	مدينة أريانة في عيون الأدباء
160	محمد الطاهر بن عاشور الجّد
162	شخصية لا تنسى في أريانة: الأميرة نازلي فاضل
166	أريانة في مسار الحداثة
167	تنظيم إداري جديد
168	ولاية أريانة
168	الولاية الذين تعاقبوا على ولاية أريانة منذ إحداثها
169	التطور العمراني والنشاط البلدي في الإيالة التونسية
170	البلديات
	لجان البلديات
171	لجان الطرقات
	أريانة بين الحاضر والزمن الآتي
172	رؤساء بلدية أريانة منذ تطبيق القانون الانتخابي
	تواريخ تنصيب المجالس البلدية من إستقلال تونس إلى اليوم
174	أريانة المدينة الواحدة
176	أريانة منتزه مدينة تونس
178	تحول نوعي في العمل البلدي بأريانة
181	انطلاقة جديدة للحياة البلدية

184	الخدمات البلدية وتقريبها من المواطن (التنظيم الهيكلي)
	الدوائر البلدية
	معطيات جمالية عن بلدية أريانة
	أهم الإنجازات البلدية
190	معطيات بلدية جديدة
	مدينة أريانة في المسار الحضاري
	عيد الورد بأريانة
212	الزيارة الرئاسية مسيرة التنمية في أريانة وربوعها وأفاقها المستقبلية
214	الخاتمة
216	المصادر باللغة العربية
217	المصادر باللغات الأخرى
219	المؤلف

144	
145	(J.Reva)
	عشرين
146	
147	
148	
149	
153	
160	
162	
166	
167	
168	
168	
169	
170	
171	
172	
174	
176	
178	
181	

نص : علي حمريث

تصميم، تصوير فوتوغرافي للمعالم، معالجة فرائط:

أسعد خالد

نشر شركة بوبليغراف - منشورات زخارف - تونس

© جميع الحقوق محفوظة

Edité par : Sté **Publigraph** (Editions Zakhâref)

Adresse : Bloc C. Espace TUNIS. App. C 2-1

Montplaisir - TUNIS - Tél./Fax : (216) 71 950 165

سحب من هذا الكتاب في طبعة أولى ثلاثة آلاف نسخة

برعاية بلدية أريانة ولجنتها الثقافية

تونس - سبتمبر 2004

Imprimé par : Imprimerie Champs - Elysées

Rue de l'Electricité - Zone Industrielle Ben-Arous

Tél: 71 388 555

ردمك : ISBN : 9973-112-02-4

منشورات زخارف

مريت
معالم، معالجة فرائط:

تونس - *خلاف*

Edité par : S^{te} Publ
Adresse : Bloc C.
Montplaisir - TUNIS

أولى ثلاثة آلاف نسخة
سنة الثقافية
2004

Imprimé par :
Rue de l'Electricité
TB

ISBN : 99



منشور لارز خيلاني